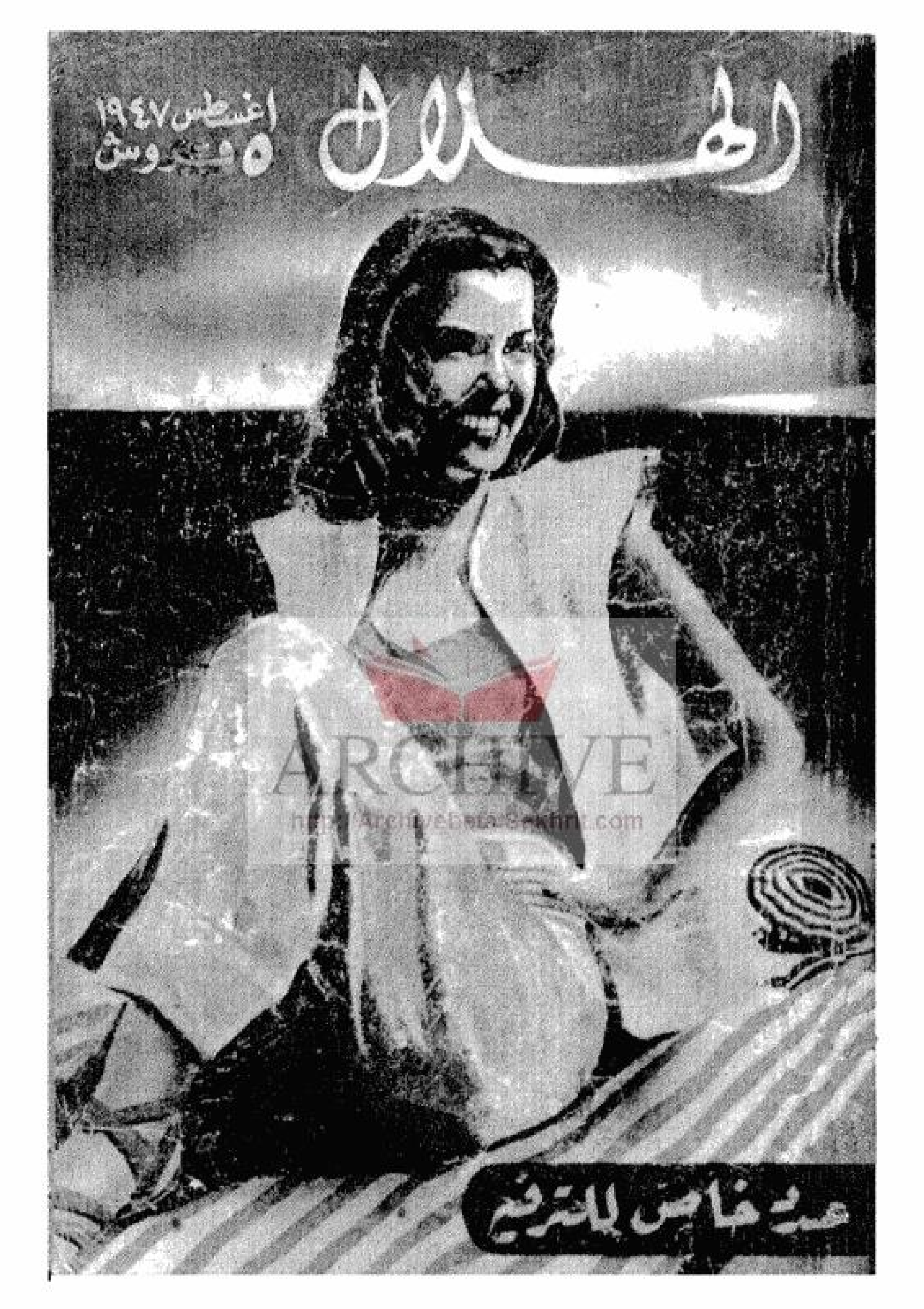
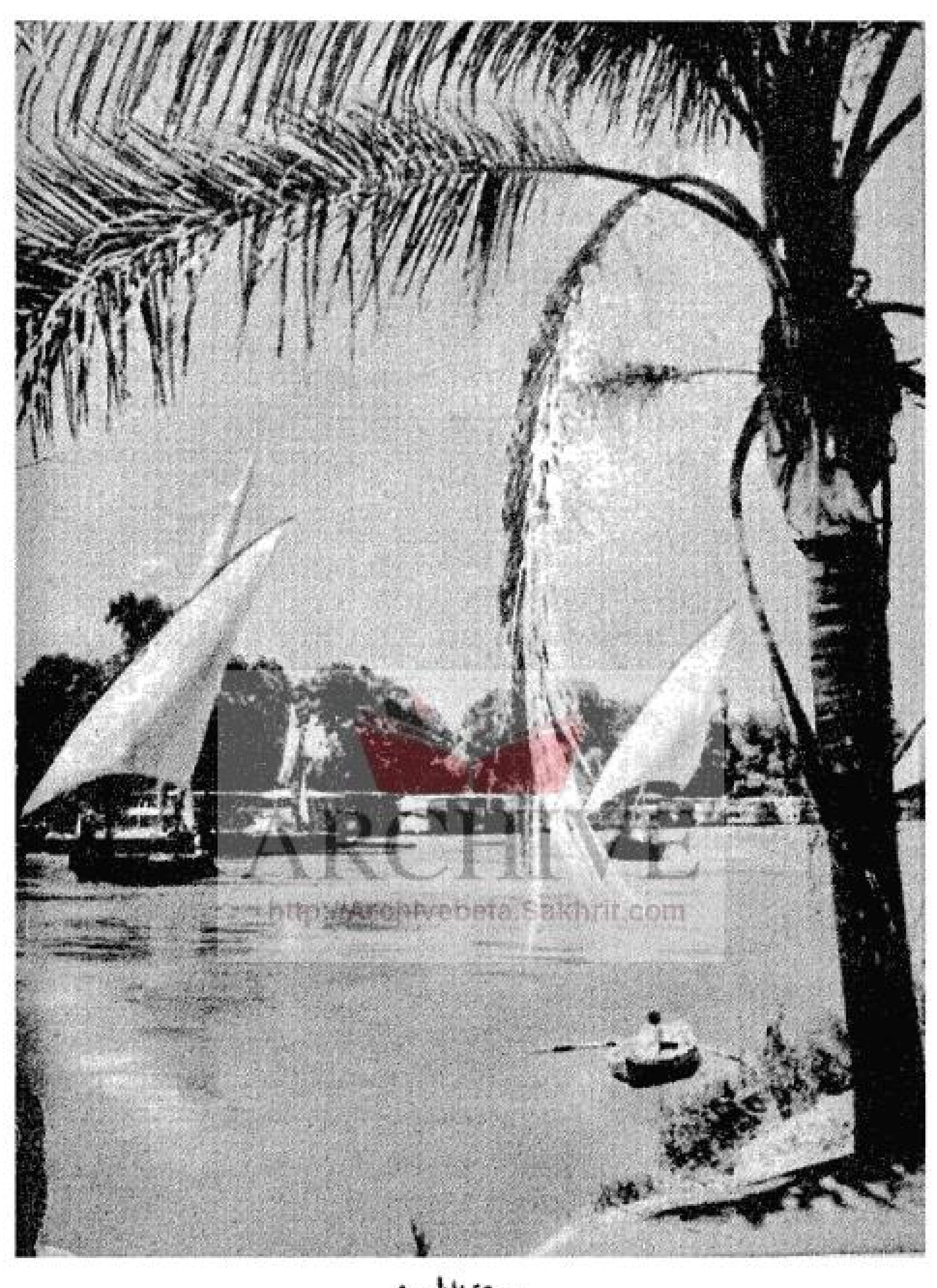

الهلال
اغسطس ١٩٤٧
٥ قروش
عدد خاص للترفيه
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـــذا العـــدد..

اذا حضر الصيف فتر الجسم ، وخمدت النفس ، الا عن قراءة . فالقراءة هى الهواية النافعة التى يقتل الانسان بهـا الحر ، وهى المسلاة التى يخف بها الوقت الثقيل . وقد اخترنا لهذا العدد مزاجا لطيفا رقيقا يأتلف وهذا الفصـل . فاكثرنا فيـه القصص ، والقصص من متع الحياة الاولى التى يعمـل فيها العقل قليلا ، ويعمـل الخيال كثيرا ، وترتوى الانفس وتتحرك القلوب . وضمناه من المقالات ما يخف وينفع ، وما يشبـع فى غير تخمة . واشعنا فيه ما حسبنا انه يكون اقرب الى الترويح والترفه

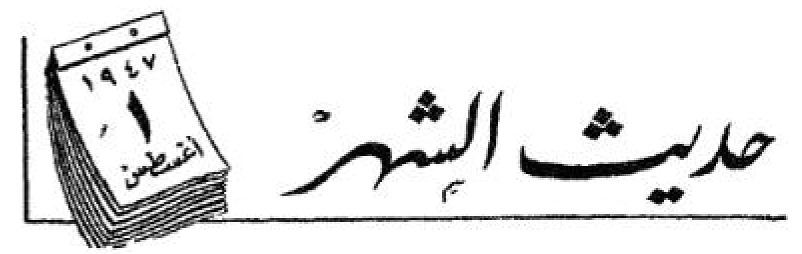
•

وقد استجاب القراء الى الدعوة التى وجهنـاها للمشاركة فى تحرير الهلال ، وكتب الينا منهم كتاب ناشئون غير معروفين — فهكذا وصفوا انفسهم . وقد نشرنا لهم فى هذا العدد مقالين نترك للقراء حدسهما ، وذلك ليعلم الكل اننا فى دعوتنا كنا جادين غير هازلين



روعة الطبيعة

منظر نيلي ساحر .. يبدو فيه جانب من « الجزيرة » ، وقد أحاطت به العائمات



صيف

هذا اغسطس، أحد شهور الصيف. وقد يكون أخرها لولا منافسة يوليو اياه فى هذا الفضل. وهو فضل لاشك فيه .. فالحر ينضج القطن والنبت، وينضج أيضا الانسان. والطبيعة لا تستطيع ان تعطى النبات بكيل، وتعطى الحيوان والانسان بكيل غيره. فلا بد أن نذكر دائما، اذا احتر الجو، أن هذا انما يكون لنأكل ونلبس، وأن نستشعر من بعد الذكر الصبر

جزع حديث

على ان الجزع من الصيف شيء حديث، والهرب منه الى شطئان مصر وشطئان أوربا شيء أحدث. فما علمنا أن الضجر به بلغ فى الأجيال الماضية مثل ما بلغ فى هذا الجيل. كانت الأجيال الماضية تستقر حيث أوجدتها الطبيعة، وحيث نزل بها المولد، تتوجه جنوبا اذا جاء الشتاء، وتتوجه شمالا اذا جاء الصيف، ولكن فى دائرة البيت أو دائرة الغيط. فاذا اتفقت كان الريف المقصد الأول لكل تغيير وتفريج لمن له أرض أو أهل يأوى اليها أو اليهم. وكانت المدن قلة، وكان الريف كثرة، وكانت العلائق معقودة، والأرحام موصولة، فما كان يعز على نازل بالريف ان يجد منزلا يحتاه، وسقفا يظله

عادات تغيرت

ولكن شد ما غيرت المدنية الغربية من عاداتنا، وأرهفت من احساسنا، وبدلت نظراتنا الى الأمور والأشياء. فالاجسام التى ألفت اليوم فى المدن المقعد اللين، وفى جوانبه الوسائد، يشق عليها فى القرية خشب الأريكة أو قش الكرسى. والاقدام التى ألفت سير الطريق الجامد الممهد، يشق عليها سير الطريق التى اذا سارت فيها سار معها التراب. والجلود التى تعودت ان تأوى الى مضاجعها سليمة، وتقوم سليمة، يشق عليها ان تقوم من نوم غير متصل لتجد ان البعوض قد خرقها عشرات الخروق، فاستقى من دمها حتى ارتوى. والانفس التى اعتادت الماء السهل، والغسل السهل، وعون المدنية الحاضرة بأدواتها وعتادها.

يشق عليها ان تنتقل ، بقصد الراحة والترويح ، نقلة كأنها نقلة من قرن الى قرن . فريف مصر على قربه ، ليس منا نحن أهل المدن ، وليس منا نحن أهل القرن العشرين

ارتفاع بالريف

وليس بنافع أن تذكر الناس بأن الاحساس بالحر حالة نفسية أكثر منها جسمانية ، وأن التشاكى يزيد فيها ، وأن الجسم المصرى خلق ليتحمل حر مصر وبردها ، وأنه لا يشكو الحر الا ذو علة ، أو رجل يلبس فى الصيف ملابس الشتاء ، ويأكل أكل الشتاء ، ويجرى عادات الشتاء

وليس بنافع أن تعدد فضائل الريف وأسواؤه قائمة . وليس بنافع أن تعدد الأضرار التى تحل بنا ، فى مالنا وغير مالنا ، بالخروج من مصر الى مصايف أوربا ، ولهذا الخروج فضائل لا تزال قائمة

انما النافع ان نرتفع بالريف الى حيث ارتفعنا بالمدن ، فنقضى بذلك لبانات تتصل بالصيف ، وتتصل بما هو أخطر من صيف وشتاء . واذا استعوقنا هذا ، فلا أقل من مصايف تقام اقامة فى بقع من ريف مصر مختارة

بحار مصر

وشطئان مصر ، وهى تبلغ فوق الألف من الأميال ، وبحارها ، يجب ان لا ننساها . فليكن لنا ببحارنا تعرف فى صيف أو شتاء ، وليكن لشبابنا بها تعريف ، لان لنا فى بحارنا مآرب سيكشف عنها المستقبل القريب

وبحر النيل

هكذا يسميه العامة، وما أحلاه اسما.

هذا النيل الجميل الذى قعدت عنده المدن ، وتكوكب عليه الأهلون ، وكذلك أذرعه المديدة العديدة التى جاس بها خلال البلاد ، ليست الا أبحرا مدها الله فى رقعة مصر تحمل للارض الرى وللزرع النماء ، وتحمل للناس فى الصيف أكثر من معنى من معانى النزهة والرياضة والاستبراد.

وفى الصيف جاز النيل أن يكون موكبا متصلا ، من شمال الوادى الى جنوبه، يجرى بكل مظهر من مظاهر التسرية عن النفس والترويح

ومن النيل تنشأ الغابات . وليس فى قيظ الصيف أحنى من غابة ولا أظل . والغابات ، بأشجارها القائمة، كثيفة وخفيفة ، تمد النفس بطعم من الجمال غير ما يمدها به النبات القصير ولو كان السندس اخضرارا . والذى أنشأ واصطنع فى قنا غابة أوت اليها اليوم صنوف من مستوحش الحيوان، لقادر أن يجعل فى كل بقعة من أرض مصر غابة ، يأوى اليها مستوحش الحيوان ومستأنسه فى آن



رمضان

وفى أغسطس يبلغ النهار أطوله ، ويبلغ الحر أشده ، ويبلغ شهر الصيام الذروة ، ففى نحو منتصفه يقع أكثر أيام العام طولا . وعلى قدر الطول وعلى قدر الحر ، يكون الأجر

والناس تنظر الى رمضان على أنه شهر التوانى والتراخى ، وهمود الجسم وخمود النفس . ولكن ما لهذا شرع الشارع الصيام . ان الصيام عند الجاهل جوع ، وهو عند العارف رياضة تتصل بالجسم قليلا وتتصل بالنفس كثيرا . فالذى يصوم رمضان ليجوع ثلاثين يوما ، ثم لا غير ، رجل خسر دنياه وما كسب من آخرته كسبا كثيرا

والناس تدخر لرمضان من سمين العيش وعسله ما يضيق به الشهر العادى والشهران ، فيصبح النهار جوعا ، والليل تخمة . وما أشد على الجسم وأفسد له ، وما أشد على النفس وأفسد لها ، من جوع بالغ يعقبه شبع بالغ . ان الطبيعة تكره الانتقال الباغت من حال الى حال .. من حال الى نقيضه . وهى لا تعرف الأحداث الا تدرجا . حتى بياض النهار وسواد الليل يكون بينهما شفق يقصر ويطول . ولو أننا حسبنا كم يأكل بعض الصائمين فى رمضان ، وكيف يأكلونه.

اوجدنا أنهم يأكلون أكثر مأكل وألذ مأكل . فرمضان ، على ما يعرفه أغنياء مصر والمتوسطون ، شهر طعام لا شهر صيام

مباهج

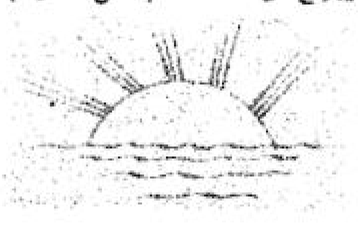
على أننا اذا نحينا الفلسفة جانبا ، وجدنا رمضان به كثير من مباهج الدنيا ومباهج الآخرة . فلرمضان مآكل ومشارب لا تعرف الا به ، ولا تعالج الا فيه ، ومنظرها يوحى به ، ومطلعه يوحى بها . ولرمضان اقفرار الشوارع والطرقات ساعة الغروب ، وهو منظر رائع يوحى للنفس أكثر من معنى من معانى الوحدة والنظام والجمال

ولرمضان امتلاء المساجد عند العشاء ، وتلألؤ مآذنها بالأضواء . ولرمضان السهر الطويل والسمر المتصل ، ولقاء الناس فى الظلام على المهل ، بعد أن كان فى وقدة النهار على عجل . ولرمضان طبل الطابل عند السحر . ولرمضان القرآن ، بأنغامه الشجية ، ومعانيه الطلية ، ينطلق من بيت الحارة ، وقصر الامارة . ولرمضان قصر الملك يهرع الى ساحته الناس فيدخلونه أهلا وسهلا ، على أوضاع متساوية ولو اختلفت بينهم فى الحياة الأوضاع

ولا يمضى من رمضان أكثره حتى يكون الناس قد ألفوا منه عيشا غير الذى عرفوه فى سائر الشهور . وتنذر أيامه بالنفاد ، فيأخذ يفعل الطبع فعله فى الناس ، فيأسون لنفاد أيامه ، وفوات عاداته ، وتزايل أنواره وسهراته . فيغنون فى وداعه ، وحتى فى رثائه . أغانى جرت العادة أن لا تكون الا للأحبة ، ما نزلوا حتى ارتحلوا ، وما أضحكوا حتى أبكوا . ويبثون رمضان الشوق كما يبث الانسان الانسان . ويطلبون اليه سرعة الاياب من بعد غياب

العيد

وفى أغسطس هذا يكون عيد الفطر . فهو شهر لا شك حافل . فالى كل قارىء ، وكل قارئة ، من كل مذهب ودين ، ومن له رأى فى الحياة ومن لا رأى له ، والى كل عبد من عباد الرحمن ، اليهم جميعا نزف تهنئة العيد وأمنيته . أعاده الله على أهل الشرق جميعا ، ولا نستثنى أهل الغرب . بحسن الحال ، على الهداية والتوفيق



• الاجازة انعاش وتجديد : اقضت فيها ألفاً ؛ أو لم تنفق شيئاً •

اجازة الصيف

بقلم الدكتور احمد زكى بك

— صباح الخير يا سيد محمود ، أين تقضى اجازتك هذا العام ؟

— فى المنزل ، وبين الأولاد ، وفى القاهرة يا سيد عمران ، لن أتحول عنها

— لا يا شيخ ، القاهرة فى هذا الحر ؟ أما أنا فالى البلاج ، سيدى بشر أو المندرة

والحق ان السيد محمودا كان يود ان يذهب الى سيدى بشر أو المندرة ، ولكن العين بصيرة ، واليد قصيرة .

وينتهى الصيف ويلتقى الصاحبان

— صباح الخير يا سيد محمود ، كيف وجدت اجازتك هذا العام ؟

— والله كانت طيبة ، والقاهرة ، على حرها ، استطاعت ان تلبى ماطلبنا منها من تغيير وترفيه . وكيف وجدت سيدى بشر ؟

— والله وجدتها فى الاسبوع الأول ، ثم ضاقت بى وضقت بها ، صار الأمر رتابة تمل ، فليس الا الرمل والا البحر ، والا قهوة المساء ترى فيها الوجوه الواحدة والحديث الواحد ، فتسأم هذه وهذا ، كما تسأم الطعام الواحد

لقد صدق محمود فى الذى قال ، واستمتع بالقاهرة وكان جائزا ان لا يستمتع . وصدق عمران فى الذى قال ، وهو لم يستمتع بالاسكندرية ، وقد كان جائزا ان يستمتع

ذلك ان الاجازة تتوقف على ما يطلب المرء منها ، وعلى كيف ينفعل بها

والاجازة ليس من شروطها الدائمة انتقال من مكان الى مكان ، وليست الاجازة انتقال جسم ، ولكنها انتقال نفس ، والجسم قد ينتقل ولا تنتقل النفس . والجسم قد يجثم حيث هو ، وتنتقل النفس ، ثم تعود تتقمصه أنعش ما يكون حياة ، وأشد ما يكون نشاطا

والاجازة من بعد ذلك فن

وليست الاجازة بالنوم والغطيط الدائم ، الا لمريض . وهى ليست بالسكون ، فالحياة تأبى السكون ، وهى ليست بالتوقف ، فالحياة لاتعرف الا الحركة . ولكن الحياة لا ترفض

الخطو السريع ان يتباطأ ، والوتر المشتد ان يرتخي وان يرتخي بالقدر الذى لا يمنع النغم ان يصدر عنه عند ضربه

يخطىء اذن من يظن ان الاجازة مكانها السرير ، يغشاه الرجل مساء فلا يستفيق الا ظهرا ، ويقضى اليوم بعد اليوم فى هذا الرقاد الذى هو أشبه برقاد الموت . ان الرجل منا سيرقد من بعد حياة رقادا طويلا ، فلم نستعجل رقدة القبر ، وهى ان حلت لم يكن من السهل القيام منها ؟

والرجل منا ، اذا استحل فى اليوم الأول والثانى من اجازته ان يطول رقاده حتى تطلع الشمس وتضحى ، فما ذلك على الأغلب لتعب فى جسمه ، ولكن لسأم فى نفسه ، وهو على الأكثر انتقام من روتين هد النفس حتى كاد يسويها بالتراب

ان « الروتين » لازم للحياة ، وكل شيء فى الحياة روتين ، فالشمس تطلع بالروتين ، وكذلك تغرب ، وكذلك تسخن وتبرد ، وتأتى للناس بالفصول فى تعاقب لا يختل أبدا . والنجوم كذلك تطلع على الناس بالروتين ، وهى كذلك تغيب . والبحر والنهر ، والجزر والمد ، والرياح ، تأتى على مواعيد لا تكاد تختلف . والحياة من طعام وجوع ، ونوم ويقظة روتين لا بد منه ، متناسقة لروتين الكون . ولكن الحياة الحديثة جعلت من الناس مكنات ، ومن دور العمل ادارات ، ومن المجتمعات دواليب منتظمة الحركة ، متعشقة الأجزاء ، متناسقة الدوران ، لاتسبق عجلة فيها عجلة ، ولايسبق محور فى اللف محورا ، ونحن ، معشر الناس ، فى مكنة الحياة الحديثة تروسها . نجرى فيها ، لاغصبا ولا اختيارا ، ولكن بغير ارادة . نجرى بحكم الروتين الذى لا يمهل المرء ان يفكر فيه . ونفس الانسان الحرة لم تخلق لتكون ترسا فى آلة ، لم تخلق لتطيع دائما ولو فى سبيل العيش . فالطاعة الدائمة ، والروتين الدائم ، يقتلها . والعصيان أحيانا ، والرجوع بها الا الانتقاء والتخير ، عن حكمة أو عن هوى ، أو حتى عن سوء رأى ، ينعشها ويرد اليها الحياة

فالاجازة عملها الأول الخلاص من الروتين ، والانتقام منه ، ولو الى حين ان الاجازة عملها الأول ان تبتعد بالانسان عما ألف

فلو استطعت ، فشد الرحال الى الاسكندرية أو روما أو باريس . ولكن لن يغنى عنك ذلك اذا أنت لم تخطط للرحلة ، فألقيت بجسمك فى روما أو باريس كما يلقى الحجر . ومن تخطيط الرحلة ان ترسم لعقلك ماذا يعمل ، ولقلبك كيف يفعل . فالبيئة الجديدة ليست حيطانا وشوارع

ووجوهـا فحسب ، وهى لو كـانت كذلك ، لأغنى المرء عن لقياها ما يراه فى بلده على الشاشة البيضاء . ولـكن البيئة الجـديدة فكر جديد ، وأسلوب للفكر جديد . وهى عاطفة جديدة ، وأسلوب لتحريكها جديد . تحريك بما يسر ويسوء ، وما يضحك وما يبكى

وللذين لايستطيعون شد الرحال، وكثير ما هم ، متعة قريبة لا تقل عـن متعة يطلبها الرجال بالبعدوالاغتراب. ولقد يعيش الرجلمنا فيالبلد الكبير، فيقضى فيه السنوات تتلوها السنوات، فيحسب انه عرفها حتى لم يبق فيها من ضروب المعرفة ما يطلب . والحق انه لم يعرف منها الا ما أذن لهالروتين ان يعرفه .. جانبا أو جنبات، وحيا أو أحياء، ولونا من العيش أو ألوانا، وطبقة من الناس أو طبقـات . أما سائر الجنبات وسائر الأحياء وسائر الألوان وسائر الطبقات ، فهو غريب عنها غرابة الرجل الأجنبى . انلكل رجل منا ، ولـكل امـرأة ، دنيـاه الصغيرة ، وهى دنى مختلفة ، تحددها النشأة وتحددها الثقـافة ويحددهـا العمل ، ويحددها الفقـر والثراء . وهى دنى متجاورة أحيانا ، ومتطاردة أحيانا ، ولكنها غير متطابقة أبدا

فلتكن اجازة من لا يستطيع رحيلا الى دنيا بعيدة ، اجازة فى تلك الدنى القريبة النتيتة العديدة. التى لاتكلف المرء أجر سفر فى أرض أو بحر

اكسر روتينك بالسير فى أحياء غير التى تعودت . در فى القـاهرة واكشف آثارها القديمـة ، واكشف أقواما صاروا ، لبعـدهم عنك وعن فكرك اليوم ، كبعض الآثار

انى لم أجد أشفى لنفسى فى يوم اجازة ، وأنا البعيد عن الأحياء التى نسميها تعسفا بالوطنية ، من دورة أدورها من الحسينية ، الى الجمالية ، الى النحاسين فالصاغـة فالسكرية ، فالعقادين فالخيمية ، وهلم جرا ، الى ان أنتهى بالسيدة زينب وما وراءها . وعلى القدم أدورها ، وتطول فأجعـل فيها محطات أحط بها استجماما.وفيها أنظر روائع للفن فيشبع حسى بالفن، وأنظر معالم للتاريخ فأحيـا حيـاة التاريخالبعيد والقريب.وأرىصناعات تغيرت عليها القرون ولم تتغير ،فأحن للعهد القديم وآسى له على السواء ، وأود لو ان القرون كانت أبطأ سيرا، والسنوات كانت أقصر خطوا وأرحم وقعا.والروائح تتغير من حى الىحى. فلو كنت أعمى لكانت الأنف دليلى على ما أنا فيه

والناس لا أساهم ، فجلسة الى بائع البهار،وحديث الى صبى القهوة، تفتح طاقات من العيـش غريبـة الى طريفة ، للفكر منها انتعاش وللقلب تفتح

وأكلة فى مطعم من مطاعم الطريق

غير ما ألفت ، على بساطة ، وعلى تبحبح ، وبين الاخلاط من الناس ، وحيث لا يمنع الفقير فقره ان يدخل ، ولا يمنع الغنى غناه ان ينزل. كل هذا يصنع بالنفس ما يصنع الجاز بمكنة السيارة، يغسلها من سوادها وقذرها ومن طحين المعدن بالدوران فيها

وكل هذا فى سبيل الروتين ، ان أمحقه ، وأن تمحقه . فالاجازة كسر للروتين ومحق له . عدا ما فى كل هذا من مآرب أخرى

سألت موظفا : كيف قضى اجازته؟ فابتسم ، فابتسمت وتمهلت ، على عنده جوابا . فقال لى فى خجل كثير : « لا أستطيع الا ان أصدقك فاعذرنى . انى بدأت اجازتى بغسل الصحون وطبخ الطعام للاولاد اراحة لزوجتى ، أو على الاقل حاولت طبخه أولا ثم حذقته أخيرا

فضحكت طويلا ، وضحك

وحسب الرجل الطيب انه انما فعل ذلك رحمة بزوجته . والحق انه فعله لذلك ، ولكنه فعله لا شك استجابة لطبع فيه سليم ، دله عليه السأم والروتين فدعاه الى التغيير . وهو تغيير أكثر من استبدال الحلة بالدفتر، والمغرفة بالقلم ، وشفط الطماطم بشفط القهوة . وهل هناك لذة أكبر من لذة النجاح فى اعداد لون من الطعام يتحلب له الفم من بعد نسخ التقارير وملء الخانات فى الأوراق

وسألته : وماذا غير هذا ؟

قال : والأولاد وأمهم كنا نذهب جميعا الى حديقة الحيوانات . نقضى فيها النهار . ويطعم الأولاد الحيوانات. وكنت أحسب انها لذة الاطفال خاصة. فاذا بى أطعم كما يطعمون ، وألتذ وأنا الكهل كما يلتذون

قلت : والامساء ماذا تصنع فيها ؟

قال : أحيانا نقضيها على النيل فى قارب ، مع الجبن والبطيخ وفى ضوء القمر وعلى النسيم ، وأحيانا أطلب من الاصحاب أبعدهم عهدا بلقائى

وذهبت عن الرجل وأنا أقول لنفسى : « هذا موظف لم يسعده الحظ كثيرا ، ولكنه فيلسوف عرف بالطبع الصحيح معنى الحياة . ذاق سأم العمل الراتب فعرف كيف يتروح منه ، وأحسن ترويحا . أحسنه فى وقفته من المطبخ ، وفى اطعامه الحيوان ، وفى الجبن والبطيخ على النيل، وفى اختياره من أصحابه أقدمهم عهدا . وفى كل شىء من هذا ، بعد عن المألوف الى غير المألوف . فالتذ ، وانتعش ، وتجدد

ان الاجازات انتعاش وتجديد ، أنفقت فيها مائة ، أو أنفقت ألفا ، أو لم تنفق شيئا

احمد زكى

دفاع عن الكسل!

« انى من أعدى أعداء الكسل بين الناس ولكننى أعرف أن للكسل حقه فى بعض الاوقات . . والفضل ما شهدت به الأعداء »

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

دفاعي عن الكسل كدفاع المحامى الذى تندبه محكمة الجنايات للوقوف مع المتهم بين يديها وفاقا لاحكام القانون، لان القانون يأبى أن يحرم المتهم حق الدفاع

وأحسب أن المهمة فى هذه القضية غير عسيرة . ولكننى كنت أرفضها لو عرضت على قبل خمسة أو ستة قرون . لان الدفاع عن الكسل فى عصرنا هذا غير الدفاع عنه فى العصور الماضية ، ولا سيما عصور النكسة والجمود

●

كان الكسل آفة كل عمل فى تلك العصور الماضية، وكان الكسل ضرورة لا اختيار فيها للعامل ولا للكسلان فى أكثر الاحيان . فكان الناس عرضة لحكم البطء والوناء اذا عافاهم الكسل من التخدير والاغراء، وكان مسافرهم يخرج من المدينة الى المدينة راكبا أو ماشيا فلا يصل الى غايته قبل بضعة أيام . وكان طابخهم ينتظر الوقود ساعات من أول النهار ليأكل طعامه فى الأصيل ، وكان ناسجهم ينسج فى الصيف ليلبس فى الشتاء . وقس على ذلك طغيان البطء والوناء على غير ذلك من الاشياء

كانت الحركة شهوة تشتهى لذاتها لانها قليلة عسيرة المنال . وكانت الاعمار تحسب بالسنين أو الحقب ولا تحسب بالايام والساعات

فاذا وقف المحامى عن الكسل فى تلك الازمنة يدافع عنه امام قضاته ، فقد يغيظهم دفاعه فيخلق لهم من الغيظ نشاطا يقضى على المتهم ومحاميه ، وقد يطمع فى كل حكم الا حكم البراءة أو تخفيف العقاب

●

أما اليوم فما أكثر الحركة بغير بركة ، وما أقل الكسل الذى يقدر عليه الكسلان وهو آمن من سوء عقباه

ما اشوق الناس الى الاقلال من الحركة والاكثار من الراحة ، وما اكثر الدلائل التى تدل على مصائب

الحركات ومنافع السكنات !

حركات الافكار، وحركات الايدى العاملة، وحركات الجيوش، وحركات الساسة فى الجهر والخفاء

حركات تتلوها حركات . فمن ذا الذى يغضب اذا سمع قائلا يقول : ليت هؤلاء المتحركين يسكنون ! وليت هؤلاء العاملين يكسلون، وليت الكتاب « يتعبون » قليلا ليثبتوا ان التعب يضيع احيانا فيما لا يفيد ، وان الكسل إذا أضاع شيئا على الكسالى لم يكن بدعا بين من يتعبون ليتعبوا الناس فى غير طائل يعود عليهم أو يعود على الناس!

أنا مطمئن من أجل هذا فى موقفى مع هذا المتهم بين يدى قضاته الكثيرين

ولا أظننى أتعب كثيرا فى تحضير الدفاع ومحاولة الاقناع ، بل ربما كنت فى حل من الكسل فى التحضير والمحاولة، ولا خوف على العدالة من وراء هذا التقصير .. أو من وراء هذا الاجتهاد فى تسويغ التهمة من معادنها ، وتجريد فعل المتهم بفعل محاميه

●

وظروف القضية مواتية بحمد الله

فنحن فى الصيف ، بل فى حمارة الصيف كما يقولون . وفى وسعى ان التفت الى المحامين فى جميع القضايا فاذا هم يستريحون ولا يعملون ، بل فى وسعى أن أبحث عن قضاة يحاكمون المتهم فأجد بهم كسلا عن الحكم له أو الحكم عليه . وذلك هو حكم البراءة بغير كلام !

ولى أن أنظر من بعيد الى القارة الاوربية "التى أراحها الله من وقدة الصيف فاذا بالمجالس النيابية فيها مغلقة الابواب ، واذا بالقضايا الكبرى فيها مؤجلة الى ما بعد الاجازات ، واذا بكل شئ فيها معلق على مصير قريب أو بعيد ، أو معلق على برد الشتاء !

كلهم ينتظرون

أو كلهم يكسلون

ومن لم يقدر على الكسل فمكره أخوك لا بطل . وانما الأعمال بالنيات .. وكذلك ترك الاعمال !

●

واذا كان الاخيار فى هذه الدنيا هم القلة النادرة ، وكان الاشرار فيها هم الكثرة الغالبة . فهل يكون ترك الأعمال فى جملته الا تركا للخير القليل والشر الكثير ؟ وهل يكون الكسل الا « عملا » يرجح فيه الكسب على الخسارة ويربى فيه الاطمئنان والأمان على الخوف والبلاء ؟

قال استاذ يدعى النشاط : ان العصفور المبكر يلتقط الدودة قبل اخوانه .

فأجابه تلميذ قليل الادعاء : ولكن الدودة المبكرة هى التى تموت فى منقار ذلك العصفور

فياله من اجتهاد يغنى عن اجتهاد، خلافا لقول حكيم المعرة الذى قال :

تعب غير نافع واجتهاد
لا يؤدي الى غناء اجتهاد

●

وبعد فلماذا يؤخذ الناس بالاسماء ولا ينفذون الى حقائق الأشياء ؟

ما الفرق بين الصبر والوقار والسكينة والراحة والكسل لو كانوا ينصفون ؟

كلها على مانرى من ملامح الوجوه أخوة متشابهون فى أسرة واحدة . ولكن الأخوة فى جميع الأسر منهم المسعود ومنهم المنكود ، ومنهم صاحب الصوفة الحمراء كما يقول الرعاة وصاحب الصوفة السوداء

والكسل هو الأخ المحروم المظلوم لان الصبر يأخذ من ميراث الأسرة خصلة الانتظار ، والوقار يأخذ منها الاناة والجمود، وكذلك تأخذ السكينة والراحة بنصيب من ذلك الميراث قد يعدل نصيب الصبر والوقار . فاذا اشترك الكسل معها فى الملامح والخصال وزاد بعض الشىء هنا وبعض الشىء هناك .فلماذا يخاصمونه من الأسرة كلها ويفردونه دونها بالمذمة والتشهير ؟

الأنه يكف يده ولا يأخذ الامور بالذراع كما يأخذها الاخوة الآخرون؟

الأنه منكود محروم ، يقعد عن الخصومة ويسكت عن الخصوم ؟

قد اطلب من قضاة الكسل جهدا فوق ما يطيقونه لو طلبت منهم تبرئة الكسل من كل ملام ، وترقبت منهم « تشجيع » الكسل فى جميع الاوقات والأيام

●

فحسبى الآن ان أرضى بالدفاع عن الكسل كلما افرطت الحركة من غير بركة ، كما تفرط فى هذا الزمان

وان أرضى بالدفاع عنه فى موسم الصيف أيا كان حكم الكسل فى شرائع الاخلاق وقوانين العقول

فالمسألة هنا ليست من مسائل الخلق أو مسائل التفكير ، أو مسائل الاختيار

لانها تقع حيث لا فكر ولا اختيار
فالكبد فى الصيف تكسل
والمعدة فى الصيف تكسل
والشمس — الشمس كلها — تكسل فى الصيف فتغيب بعد الأوان بساعتين!

وسألقى القلم هنا ولا أزيد

ألقيه « كسلا » منى عن مطاولة الدفاع

ألقيه فأجعل الكسل شفيعا يرتفع الى منزلة الشفاعة من قفص الاتهام

ألقيه وأقول : انني من أعدى أعداء الكسل بين الناس أعرف للكسل حقه فى وقت من الاوقات

والفضل ما شهدت به الاعداء

عباس محمود العقاد

لماذا اعتزلت الناس؟

بقلم
الأستاذ ميخائيل نعيمة

ليس من عادتي ، ولا من طبعي ، الكتابة في مواضيع تفرض علي اقتراحا. ولكن رئاسة تحرير « الهلال » باقتراحها علي هذا الموضوع أتاحت لي الفرصة لنفي وهم واثبات حقيقة . أما الوهم فهو انني أحيا حياة ناسك في صومعة منقطعة كل الانقطاع عن الناس. وأما الحقيقة فهي اني ناسك لا في صومعة بل مع الناس وبين الناس

وكيف تسرب الوهم الى أذهان الكثير من قرائي بأني ناسك في صومعة ؟ ـ لذلك حكاية لا بأس من سردها بمثابة تمهيد وان يكن فيها من الأمور الشخصية ما قد لا يهم الناس بكثير أو بقليل :

في سفح جبل صنين الاشهر وعلى علو ١٦٠٠ متر فوق سطح البحر مزرعة صغيرة تكثر فيها الصخور والأشجار من برية وغير برية . وهذه المزرعة تدعى « الشخروب » . والاسم محرف عن كلمة عربية صحيحة هي « الشرخوب » ، ومعناها عظم الفقار. ولعل تلك البقعة الصخرية دعيت كذلك لأن في القسم الشمالي منها سلسلة من الصخور الشاهقة تمتد مئات الأمتار شرقا بغرب وتشبه في تكوينها العمود الفقري . أما من دعاها كذلك ، ومتى ، فأمر أجهله تمام الجهل . والذي أعرفه ان تلك المزرعة تحدرت الينا بالارث من أجيال سبقتنا من النعيميين في الشخروب تعيش العائلة فصل الصيف وبعضا من الربيع والخريف . وعند ما يشتد البرد تعود الى بيتها في بسكنتا . وبسكنتا قرية تبعد عن الشخروب نحو خمسة كيلو مترات ، وتنخفض عنه نحو ٣٠٠ متر . وبين صخور الشخروب وأشجاره وفي سكون كهوفه وظلال واديه ، بذرت ألذ أحلام صباي وبعضا من أشواق شبابي . ثم غبت عنه وأنا في مطلع العقد الثالث من عمري لاعود اليه وأنا في مستهل العقد الخامس .

ومن أين عدت الى الشخروب ؟ ـ من نيويورك ـ من بابل القرن العشرين ـ من حمى التنين الرابض على شاطئ البحر والفاغر فاه ليبتلع البحر والبر !

عدت وفي أذني ضجيج مدنيات لا تحصى ، وفي رأسي براكين من الأفكار . وفي قلبي حنين الى عزلة أستطيع ان أغرق

فى صمتها وسكونها وجمالها . فأطهر أذنى من الضجيج ، وأفرج عن رأسى مما فيه من البراكين ، وأبرد بعض ما فى قلبى من الشوق والحنين . وكان الشخروب كريما معى الى أقصى حد . فما ضن علىّ بالعزلة التى كنت أنشد، بل فتح لى قلبه وذراعيه . فرحت أمضى معظم نهاراتى فى كهف من كهوفه . فساعات للتأمل ، وغربلة الماضى ، وتعرية النفس ، وفتح كوى الروح لنور الله . وساعات للتأليف ، وهل التأليف غير مكالمة الناس ؟

▭

ولكن الناس ــ بارك الله فى شوقهم الى كل غريب وجديد ــ أبوا الا مكالمتى وجها لوجه . فما أقعدهم البعد، ولا صدتهم وعورة المسالك . بل أقبلوا من كل صوب . وما لبثوا ان اكتشفوا « صومعتى » . فمنهم من حسدنى عليها . ومنهم من أشفق علىّ منها . ومنهم من راح يحدث عنها بلسانه ، ومنهم من كتب عنها المقالات الطوال

وكان فى جملة الذين كتبوا عن « الصومعة » شاب يدعى توفيق يوسف عواد . وهو اليوم كاتب قصصى له مكانته فى لبنان والعالم العربى . فقد نشر سلسلة مقالات عن زيارته لى فى الشخروب ، عام ١٩٣٢ ــ وهو العام الذى عدت فيه من مدينة نيويورك ــ فى جريدة « البرق » التى كانت تصدر آنذاك فى بيروت لصاحبها الشاعر بشارة الخورى . وفى تلك المقالات دعانى الكاتب « ناسك الشخروب » . وهكذا لبسنى لقب الناسك . وما أنا بالناسك . لا هجرت الناس ولا هجرنى الناس . بل ان بيتى ــ مثل قلبى ــ مفتوح لهم صيف شتاء وليل نهار . وما أكثر ما يأتينى بعضهم خجلا وجلا من ان أمتنع عليه أو من ان يعكر على صفاء عزلتى ويقطع خيط تأملاتى . وجوابى لهؤلاء واحد أبدا ، وهو اننى أحيا للناس اذ أحيا لنفسى . وان أتحدث الى انسان عينا لعين ووجها لوجه، لخير من ان أتحدث اليه بالحبر والقرطاس . وان أكسب معرفة انسان لأفضل من ان أكسب اعجابه ، فالوقت عندى ليس من ذهب . وان أفرج كربة مكروب ، أو ان أفتح كوة للنور والايمان والأمل فى نفس تكتنفها ظلمات الشك والقنوط ، لأثمن عندى من كل ما فى أديم الأرض من ذهب وحجارة كريمة

▭

الا اننى فى علاقاتى مع الناس حريص كل الحرص على عزلتى . فالعزلة حاجة فى نفسى مثلما الخبز والماء والهواء حاجة فى جسدى . فلا بد لى من ساعات أعتزل فيها الناس، لأهضم الساعات التى صرفتها فى مخالطة الناس . اما ان أغرق مع الناس الى ما فوق أذنى فى زغور مشاكلهم الزمنية ، واما ان أشتغل

لسانى بالهذر والثرثرة كما يشغلون ألسنتهم فى مجتمعاتهم ، وان أتصنع الفرح فى أفراحهم وأتكلف الحزن فى أتراحهم ، وان أتحزب لما يتحزبون أو أتحمس لما يتحمسون من مذاهب سياسية واجتماعية وسواها ، وان أسكر بأمجادهم وأتورم بأورامهم . فأمر لا أطيقه ولا أستطيعه . ذلك لأن لى هدفا من الحياة غير أهدافهم . وهو هدف يتعذر الوصول اليه عن طريق السياسة والاقتصاد والنظم الاجتماعية على اختلافها . بل ان كل هذه تبدو لعينى ضبابا يحجب الهدف ودخانا يعمى البصيرة التى هى الدليل الأوحد الى الهدف

وانه لبعض من هدفى ان أجعله هدف أكبر عدد ممكن من الناس . ولولا ذلك لما أمسكت قلما ولا سودت وجه ورقة ، ولا كانت العزلة حاجة فى نفسى . فأنا ، كما قلت فى كتابى « كرم على درب » : ما ابتعدت عن الناس الا لاقربهم منى

▭

ان فى الناس أشواكا لا نحس وخزها وأذاها الا لدى اصطدام المصالح واحتكاك النعرات الذاتية . وهذه النعرات وتلك المصالح أكثر ما تكون تافهة ولا قيمة لها فى اسعاد الانسان أو اشقائه . ولكن التقاليد البالية وجهل الناس قيمة الانسان قد جعلت لها قيمة فوق قيمة الانسان . فراح الناس يدافعون عنها بما فيهم من أشواك . وأشواكهم تتدرج من كلمة جارحة الى سيف قاطع . فمن الخير لمن كان يؤمن مثلى بأخوة الناس وهدفهم الالهى ان يتجنب أشواكهم كيلا يكفر بأخوتهم ، وان يعتزلهم ولو بعض الوقت كيما يستطيع ان يحبهم وان يغفر لهم أذاهم وأشواكهم . فأنا فى عزلتى أشعر شعورا عميقا وصادقا بأن كل الناس والكائنات بعض منى واننى بعض منهم .. وهذا الشعور يولد فى مناعة روحية ضد أشواك الناس ، وتساهلا نحو ضعفهم وزلاتهم

▭

اما ان يهرب الانسان من الناس خوفا من أذاهم وأشواكهم ، أو ان يعتزلهم عن كره أو عن كبرياء فجهل مطبق . اذ ان كل انسان يحمل فى كيانه كل الناس . وعزلة الكاره والمتكبر عزلة سياجها الكره وحارسها الكبرياء . فهى الى السجن أقرب منها الى العزلة التى تتحطم على عتبتها أبواب كل السجون ، وأقرب الى جهنم منها الى الجنة

وما دمت أحدثك عن عزلتى لا عن عزلة سواى ، فخليق بى ان أشهد بما للطبيعة العجماء فى عزلتى من أثر بعيد وأياد سخية . فأنا منذ حداثتى قد ألفت هذه الطبيعة الجبلية وشغفت بصخرها وترابها ، وأشجارها وأعشابها ، وطيرها وهوامها ، ومائها

وهوائهـا ، وسمائها وكواكبها ، وأنوارها وظلالها ، وألوانها المتبدلة فى كل طرفة عين تبـدلا يسحر اللب والعين ، وبالبحر الحـالم أبدا عنـد أقدامها . ألفتها وشغفت بها فى كل فصل من فصول السنـة ، وفى كـل ساعة من الليل والنهار . فأنا أحسها فوارات من النـور ، وآونة ألسنـة تخاطبنى بلغة أو لغات ما حوتها قط بطون المعجمات . وحينـا يغمـرنى الشعور بأمومتها ، فأرانى كالرضيع على صدرها . ولـكنها ترضعنى من ألف ثدى وثدى ، وتلمس أجفـانى بألف كف وكف ، وتعزف لى على آلاف آلاف الأوتار . وهى فى كل ذلك رفيقة الى أقصى درجات الرفق ، وجوادة حتى آخر حدود الجود .

□

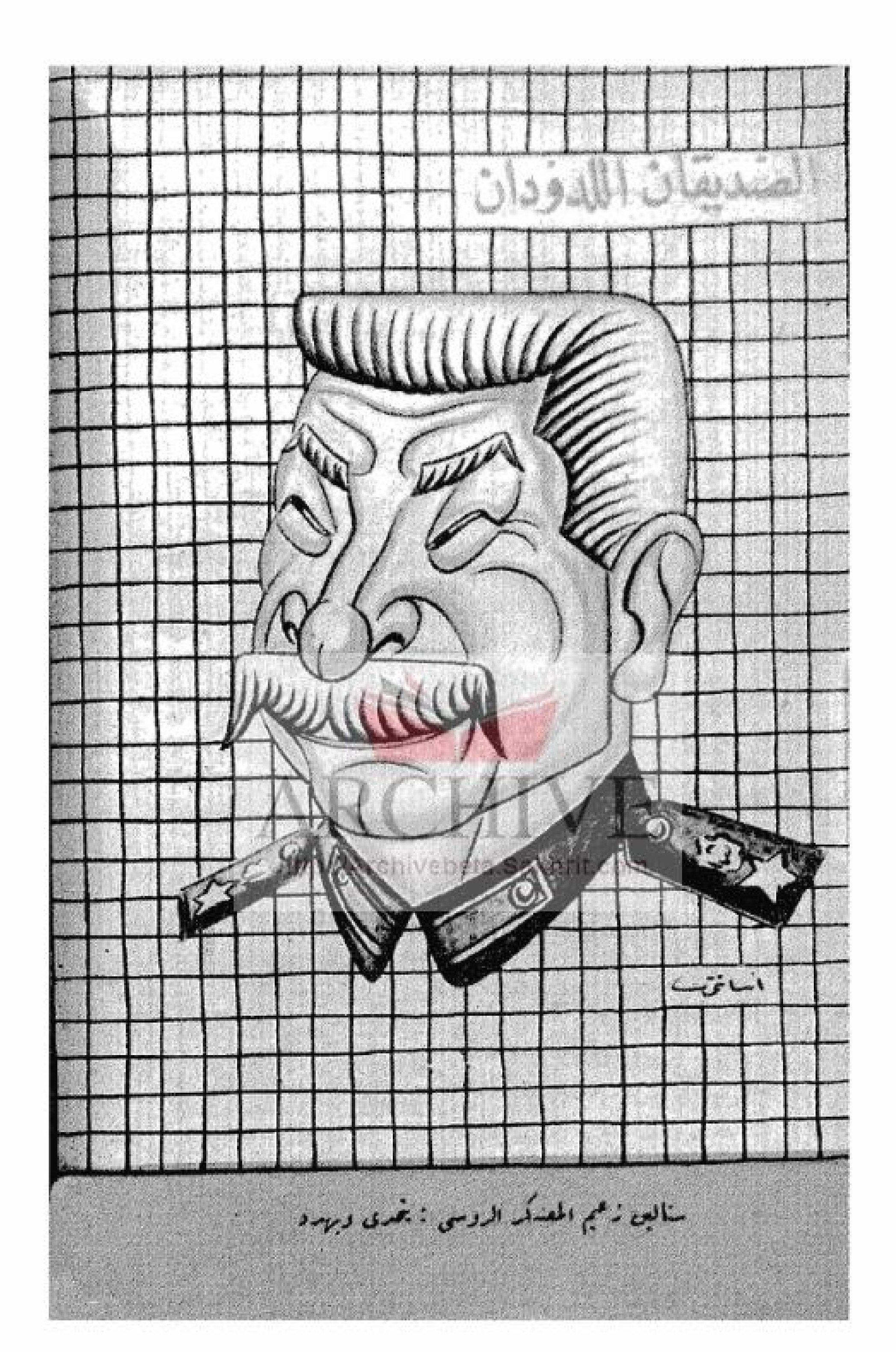
ولك ، من غير ان تسألنى ، ان تتخيل ولو بعض ما توحيه تلك الطبيعة الى قلبى ، وما تهمسه فى أذنى ، وما تملأ به يدى ، وما تبعثه فى دمى من شوق ومحبة وحنين . ثم لك ان تتخيل مشاكل الناس ما بين تجارة وصناعة ، وتهافت على الملاهى ، وتزاحـم على الملذات ، وتكالب على الفلس ، وتناطح على الألقاب والرتب ، وتفان فى سبيل الجاه والسلطان . نعم . لك ان تتخيل كل مشاكل الناس ــ وهى لا تكاد تحصى ــ ثم ان ترزمها فى رزمة واحدة وتلقى بها فى حضن تلك الطبيعة وفى خضم تلك اللانهاية . أفلا تراها تنتثر هناك انتثار الهبـاء وتتـلاشى تلاشى الدخان ؟

□

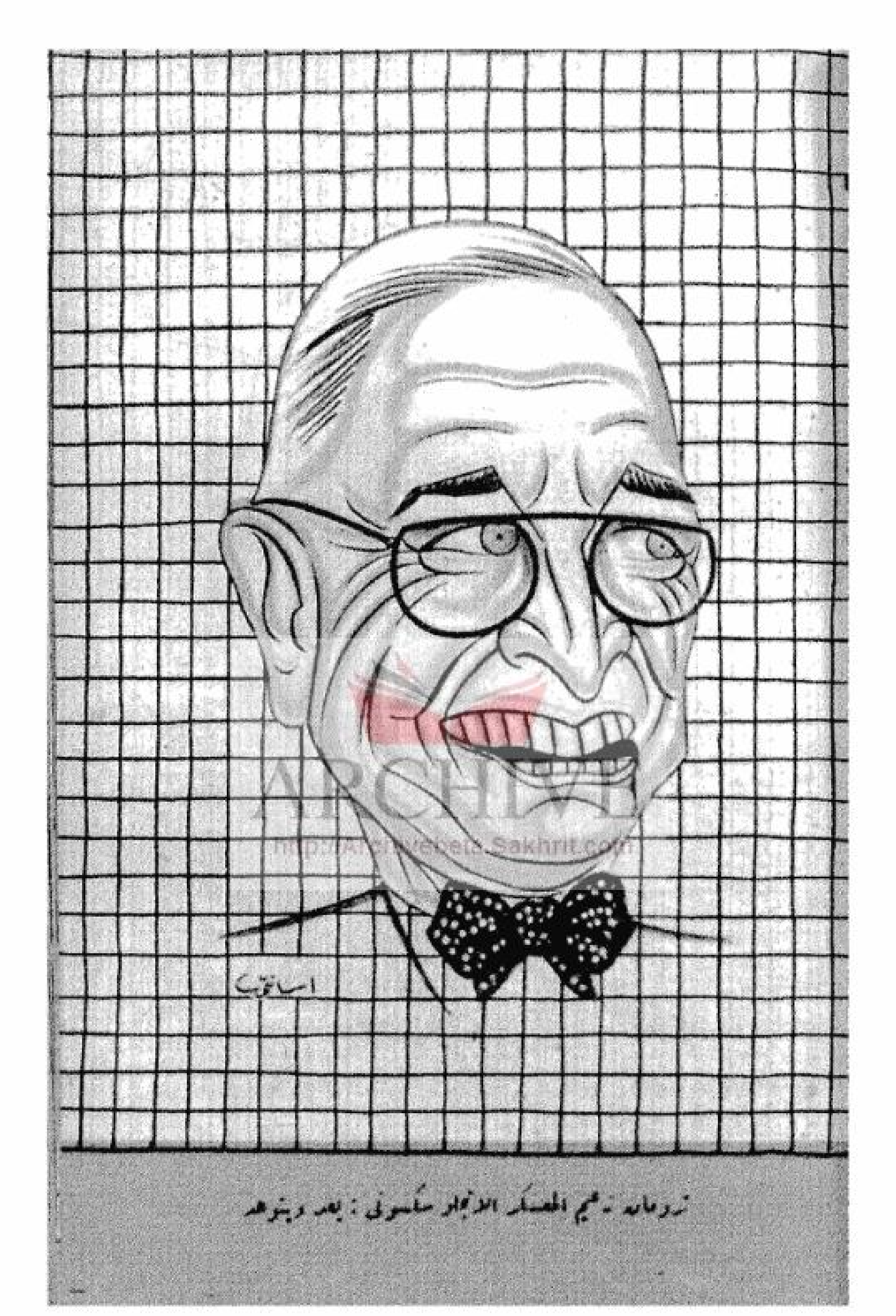
لست أريد ان أدخل فى روعك ان الطبيعة وحدها ــ مهما بلغت من الروعة ــ كافية لأن تجعل العزلة فى أحضانها عزلة مثمرة . فالطبيعة معبد مفتاحه الشوق الى الحياة لا الخوف من الموت . والطبيعة كتاب لا تقرأه العيون المقرحة بأشواك العالم وشـهواته . ونقرأه القلوب المتعطشة الى الحق ، التواقة الى الانعتاق من السدود والحدود . وليس يدخل قلب الطبيعة الفسيح الا الذين يدخلون قلب الانسان الواصل الازلية بالأبدية . وليس يدخل قلب الانسان الا الذين آمنوا بأن قلب الانسان هو الباب المؤدى الى قلب الله . ومن آمن ذلك الايمان كان لا بد له من ان يعتزل البهيمة فى الانسـان ليـدرك الله فى الانسان

واذ ذاك فلك ان تجيب عنى : لماذا اعتزلت الناس ؟

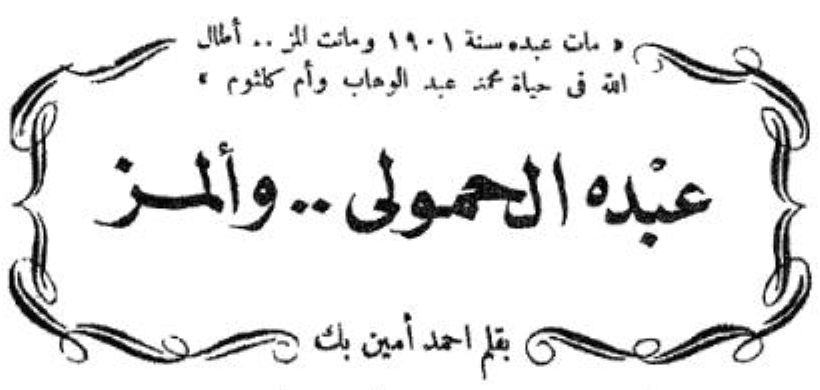
ميخائيل نعيمة



ستالين زعيم المعسكر الروسي : يتحدى ويهدد



ترومان : زعيم المعسكر الانجلو سكسونى : بعد ريتوشه



« مات عبده سنة ١٩٠١ وماتت المز .. أطال الله فى حياة محمد عبد الوهاب وأم كلثوم »

عبده الحمولى .. والمـز

بقلم احمد أمين بك

لو قسنا قيمة الاشخاص بما يقدمون من سرور وسعادة لمجتمعهم، لكان عبده والمز مـن أقوم النـاس . فالليـالى السعيدة هى التى يحييها عبدهوتحييها المز . والنـاس يتشوقون الى هـذه الليالى ، ويستعدون لها ايما استعداد قبل مجيئها ، وينعمون بذكراها زمنا طويلا بعد مرورها ، فلو قال قائل ان عبده والمز أعظم مصدر للذة والسعادة لمصر فى القرن التاسع عشر لم يبعد ، هما مفرجا كروب المكروبين ، ودافعا الألم عن المألومين ، ومنفس الناس فيما يلحقهم من فقر وبؤس ، وظلم اجتماعى وظلم سياسى ، يفعلان فى النفس خيرا مما يفعل الشراب ، من نسيان الهم ، وتفريح القلب ، وتفريج الكرب

●

وسبحان الله !

من عبده ؟ ومن المز ؟

ولماذا كان لهما دون غيرهما هذا الصوت الجميل والفن البديع ؟ الله أعلم أين يضع سره ، من غير قانون معروف ، ولا نظام مألوف . فعبده فتى من عامة الناس ، وأبوه من سواد الناس ، لم تعلمه مدرسة ولم يهذبه كتاب ، ولم يتلق دروسا فى «النوتة» والعود والكمان ، ولم يعرف أبوه بفن ولا صوت ، ولكن منح « عبده » صوتا رخيما ، آية فى الجمال، لفت اليه الانظار ، فكان مغنى الملوك

والمز فتـاة فقـيرة يضطرها فقرها ان تشتغل « فاعلة » تحمل « مونة » الجير والتراب و « القصرمـل » فى القالب ، وتمشى على « الصقالة » لتناوله للبنائين ، ثم تلهمها نفسها وحسها ان تغنى للفعلة فيسمعوا منها صوتا بديعا يخفف عناءهم ، ويزيد نشـاطهم . ويشاء القدر البحت ان تسمع صوتها، وهى تغنى ، « عالمة » من أكبر عوالم مصر اسمها « الست ساكنة » تسكن فى حى السيدة سـكينة ، فتأخذهـا وتربيها تربية فنية ، فتفوق معلمتها



مغني الملوك

في عهد اسماعيل ، كان عبده الحامولي يحتل المكانة التي يحتلها اليوم عبد الوهاب ... كان لنا صوته وتخته آية في الجمال



ألمظ

كانت مطربة فأصبحت عالمة ، وما زالت ترقى حتى صارت سيدة العوالم ، تغني الناس برقصها وفنها وغنائها

ويكون منها أكبر « عالمة » . فسبحان ربي القدير ، يهب من شاء ماشاء كما شاء .

●

والحمولي نسبة الى الحمول أو الحامول ، بلدة في المنوفية ، يشاهدها راكب القطار من مصر الى طنطا عن طريق « منوف » ولكن « عبده » ولد في طنطا من أبوين فقيرين . وكان لعبده أخ أكبرمنه اختلف مع ابيه ، ففارقاه الى مصر فقيرين بائسين ، يبحثان عن عمل يعيشان منه

وشاء القدر الذي أسمع «ساكنة» صوت « ألمز » انيسمع المعلم «شعبان» صوت « عبده » ، فيسمع منه صوتا جيلا يتحلب له فم المعلم شعبان ، ويقدر ان يكون له مصدر ربح كبير، فستقبل « الزبائن » لسماع صوته وتعمر قهوته

وكانت جنينة الأزبكية وميدانهـا بقعة تسمى « غابة الاشجار » ، هي مراد أهل الخلاعة والمجون واللهو و « الحظ » ، تنتشر فيها « قهاوى » كثيرة فيها الشراب ، وفيها الغناء ، وفيها النساء ، وفيها الأفراح ، والليالي الملاح ، وقد شهدنا أعقابها حين كانت تغني « الست توحيدة » في ألف ليلة بجوار ألف صنف

فكان للمعلم شعبان قهوة غنى فيها « عبده » ، وتعلم لأجلها شيئا من الموسيقى كما يتعلم الهواة ، ولفت اليه الاسماع . وكثرت من أجله الزبائن على المعلم شعبان . فخاف ان يفلت من يده فزوجه بنته ، وحينئذ أمن جانبه فاستذله ، فهرب منه ومنها

وظل يتنقل من يد معلم الى يد معلم ، فيوما في يد « المقدم » ويوما في يد المعلم « شاكر » وهو في كل ذلك يرتقي فيالفن ويشتهر فيالناس ، ويغني الأدوار والمواويلوالموشحات ، ويترقى من الغناء في القهاوى الىالغناء في الأفراح ، ومن أفراح العامة الى أفراح الخاصة . وأخيرا يسمع به الخديو اسماعيل ويسمع منه ، فيلحقه بحاشيته ويأخذه معه الى الآستانة

وكانت الآستانة مصدرا كبيرا من مصادر حضارة مصر . فالكبراء والوجهاء قلدتهم الآستانة في نظام البيت ، وعادات الأكل ، وطريقة الطهي ، وبدع الملبس ونحو ذلك ــ فكانت فرصة لعبده ان يسمع موسيقى الأتراك فيالآستانة وغناءهم،ويقتبس من ذلك كله مايتفق والأذنالمصرية، يزاوج بين هذا وذاك ، ويناغم بينهذا وذاك . فعاد من الآستانة بجديد يأنس به العديم ، وكان منه بحق سيد المغنين في مصر

●

لم تكن الموسيقى والغناء رخيصين كاليوم ، تدير زرا في الراديو أو

تضع اسطوانة على فونوغراف،فتتدفق الموسيقى والغناء من الشرق والغرب، بل كانا غاليين جدا لا يستمتع بهما من أراد الا فى « الأفراح » والليالى الخاصة والقهوات العامة - فكان الناس يترقبون الأفراح فى الاحياء المختلفة، فاذا كان عبده يغنى فى « فرح » فله عشاق كثيرون يسيرون على أقدامهم من سيدنا الحسين الى السيدة نفيسة ، ومن باب الشعرية الى الامام ، ويحتالون بشتى الحيل حتى يدخلوا « السامر » ويبتدىء عبده فى الغناء الحقيقى قبيل منتصف الليل وقد يستمر الى الصباح، والناس فى متعةساحرة، وكثيرا ما يتجلى عبده فينسى نفسه وهو يغنى ، ويأتى بالأعاجيب من النغمات، وينسى الناس أنفسهم فاذا الشمس طالعة ، ويختزن المغرمون هذه النغمات تتردد فى أنفسهم حتى يسعدهم الحظ بفرح آخر . فكان « عبده » بهجة الأفراح ويحيى النفوس ، ثم كان - رحمه الله - الى نبوغه فى الغناء كريما نبيلا ، يكسب كثيرا وينفق كثيرا ، ويتصدق بصوته كما يتصدق بماله ، فقد يحيى ليلة لفقير ، ينصب لها السرادق الفخم من ماله ، ويغنى فيها « بنخته » - فهو حبيب الى نفوس المصريين بصوته وظرفه ونبله وكرمه وحسن أحدوثته

●

ومن ناحية أخرى ترقت « المز » من « فاعلة » الى « عالة » على يد الست « ساكنة » وما زالت ترقى حتى صارت سيدة « العوالم » تفتن الناس برقصها وخلاعتها وغنائها

واقترن اسم « عبده » باسم «ألمز» فالليلة السعيدة هى التى يغنى فيها « عبده » للرجال و « ألمز » للنساء . وتزاوج اسم عبده وألمز على الألسنة فتزاوجا فعلا

وتغنى الأغانى فتسير فى الناس بين رزينة وخفيفة ، فتغنى :

خبط الهوى عالباب
قات اطلبوه ، اهو جالى
أتارى الهوى كداب
يضحك على القلب الخالى

وتغنى :

ليه يا حمام بتنوح ليه
فكرتنى بالحباب
يا هل ترى ترجع الأوطان
ولا نعيش العمر غرايب

وتغنى غناء هزليا بنغمة مثيرة :

لازم أعششه ده العصفور
وانكش له عشه ده العصفور
دا ابن الأكابر ده العصفور
عا العشق صابر ده العصفور
الخ ..

ولكن الدهر الخائن خطف « ألمز » فبكاها « عبده » بكاء مرا ، يغنى على الناس فيبكى ويبكى ، ومن أدواره فى ذلك :

شربت المر من بعد التصافى
ومر العمر ما عرفتش أصافى

عذابى اليوم وأفكارى توافى
عدمت الوصل، يا قلبى عليه

ومن الغناء ما يضحك ومن الغناء ما يبكى ، وهو فى حاليه ممتع لذيذ .
وكان من أغانيه المبكية ما كان بعد أن ارغم الخديو اسماعيل باشا على التنازل عن العرش لابنه توفيق .. واضطراره لمغادرة مصر الى ايطاليا . فذهب اسماعيل الى الجزيرة ليلة الوداع وغنى « عبده » ابياتا أنشأها الشيخ على الليثى على لسان اسماعيل أولها :

أنا اللى ف اللى جرى
ما حد غيرى اللى انظلم
طاوعت أسباب الهوى
حتى ... [illegible]

فارتفع البكاء والعويل . وكانت ليلة مشهودة

●

ومات عبده سنة ١٩٠١ ومات ألمظ . وأطال الله فى حياة محمد عبد الوهاب وأم كلثوم .

أحمد أمين

انتقام الفنان ..

طلب نبيل بخيل من الرسام « هوجارث » أن يرسم له لوحة ضخمة تمثل فاجعة غرق جيش فرعون فى البحر الأحمر ، أمام النبى موسى عليه السلام ، لكنه ظل يساوم الرسام على أجره فى إلحاح ، حتى قبل هذا أخيراً نصف الأجر الذى تستحقه الصورة

وبعد يومين فاجأ الرسام الرجل البخيل بقوله : « إن الصورة قد تمت » فلما رفعت الستار عنها ، لم ير البخيل غير لوحة مدهونة باللون الأحمر ، وليس بها أى رسم . فصاح فى الرسام :

— ما هذا ؟ لقد طلبت منظراً للبحر الأحمر !
— ها هو البحر الأحمر أمامك ..
— وأين بنو اسرائيل ؟
— عبروه .. !
— وأين جنود فرعون ؟
— غرقوا ..

« ليس فى الدنيا انسان لا يفشر أحيانا ، ومن زعم غير ذلك فهو « فشار » بل أفشر الفشارين ، وكل ما هنالك من الفرق بين فشار وآخر ، هو أن أحدهما عاقل حكيم والآخر لا سلطان له على لسانه »

الفشر..

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

الفشر — أو الفيش ، أو النفج ، أو .. بلغة المتحذلقين الذين لايريدون ان تكون اللغة أداة مرنة ، أو كائنا حيا ، لانعشا لالفاظ ميتة يتعب الناس حملها ، وحقها الدس فى التراب — هو تحديث الناس بما يظن المرء انه أبعث على الاعجاب به ، وأدعى الى حسن الرأى فيه ، أو التمدح بالباطل ، أو بأكثر مما عنده . فهو ضرب من الكذب ، يقوم ، فى الأكثر ، على المبالغة أو التوسع فى القول بغير ضابط ، أو الاسراف فى التخيل

والفشار يجد أو يهزل . فاما ما يكون منه هزلا فالغرض القريب منه ادخال السرور على النفوس ، وشرح الصدور ، واضحاك السن ، أى التسلية . غير ان الفشار الذى يضحك الناس بما يقص عليهم ، ويروى لهم ، انما يدفعه الى ذلك انه يريد — وهو مدرك أو غير مدرك للغاية التى ينشدها — ان يكون خفيفا على القلوب ، محببا الى النفوس ، لينعم بفضل ذلك بما يتطلع اليه ويرغب فيه من الاقبال عليه والائتناس به . أو من المنافع الماديه التى يمكن ان يفوز بها تبعا لذلك

غير ان كل شىء فى حياة الانسان وسيرته سرعان ما يصبح عادة ، وأخلق بالفشار الذى يبدأ مازحا ان ينقلب جادا . أذكر انه كان فى حى الامام الشافعى — وكان بيتى يومئذ قريبا منه أو على مشارفه — قزم قمىء طوله ثلاثة أشبار زدها شبرا أو انقصها شبرا ، فلن يزيد هو أو ينقص شيئا ، ورأسه كالبطيخة الكبيرة ، فوجهه وجه رجل تام الخلق وجسمه لا زيادة فى ألواحه وعظامه على ما فى طفل صغير . ولا أدرى أحى هو أم ذهب فى سبيل من غبر ، فما رأيته منذ أكثر من عشر سنين . وكان يقف عند نهاية خط الترام يستقبل الوافدين للصلاة فى المسجد أو الاستحمام فى « عين الصيرة » أو زيارة المقابر ، ويرحب بهم ، ويزعم انه يفسح الطريق لهم ، أو يدلهم على طريقهم الى مبتغاهم ،

ويدعو لهم ، ولكنه ما كان يسألهم شيئا ، ترفعا عن الاستجداء . فاذا جادوا عليه بقرش أو ملاليم أظهر التمنع ثم قبل مع الاعتراض والتأفف . وكان فشارا مستظرفا يؤنسنا ويرفه عنا بمبالغاته وتشياته ، فيروى مثلا أنه صفع فلانا — من العمالقة بالقياس اليه — علقة تركته مرضوضا مهيضا ، ويمثل لنا كيف فعل ذلك ، فينط ويضرب برأسه فى الهواء ، فيقع على الأرض فنضحك ، وينهض لاتمام التمثيل ، فيدفع بيديه ورجليه كحركة من يلكم أو يركل ، ويسمعنا ما يزعم انه أسمعه من الكلام المقذع ، فنحمل كل ذلك منه على محمله ، ونتسلى به . وكان بعضنا يكايده ويمابته . فيتقبل ذلك بصدر رحب . غير أنه على الايام أصبح يؤمن بفشره ، ويغضب ويثور ، اذا أظهر الناس الشك أو السخرية ، فثقلت وطأة فشره على النفوس

وهذه هى الآفة ، فان الفشر يقبل ويستملح اذا كان على سبيل المزاح والتلهى ساعة ، أما اذا كان الفشار جادا ، وكان يتوقع من الناس التصديق أو التظاهر به على الأقل ، فان هذا لا يكاد يطاق الا بعناء وجهد

ولست أحب ان أقول ان الفشر فى الطباع ، وأوثر ان أتحرز فأقول انه مما تسوق اليه الطباع ، وان كنت — والحق يقال — لا أدرى ما الفرق فى النهاية بين القولين . بل انى لا أعرف شيئا يغرى به الانسان ولا يكون مما تسوق اليه الطباع . وتحمل عليه ، ولكنى أظن انى أعنى انه ثمرة شعور — جلى أو غامض — بنقص ما . فالمرأة الجميلة حقا لا تشعر ان بها حاجة الى التحدث بمن افتتنوا بحسنها وشغفتهم حبا ، لأنها تعرف ان لها حسنا ، لا يكابر فيه أحد بخلاف ، أما الدميمة فان شعورها بالنقص — وأى نقص ؟ انه سلاح المرأة الأمضى — يدفعها الى تعويضه ، فتقبل على العلم مثلا تتزود منه ، أو على الأدب أو الفنون أو أعمال الخير والبر وما يجرى هذا المجرى ، لتكون لها مزية تعوض الى حد ما ، ما حرمته . وأقول « الى حد ما » لأنه لا شئ — بالغا ما بلغ — يعوض مزية الجمال . ومن أجل هذا يندر ان تجد امرأة دميمة غير فشارة ولو بقدر وحساب ، لتوقع فى روع السامع انها — على دمامتها التى لا تعترف بها طبعا ، الا فى فلتات مفردة — محل التقدير والاعجاب . وقد تكون جديرة بالتقدير ، وأهلا للاعجاب . ولكنها هى لايعنيها التقدير والاعجاب بعقلك ، وانما همها ان تقنعك بأنها واجدة عذين من الرجال بقلوبهم ، أى ان الرجال يحبونها ويصغون بقلوبهم اليها لأنها امرأة ، لا لأنها عالمة أو أديبة أو فنانة أو غير ذلك . وان كان هذا يسرها أيضا

وما يقال عن النساء يقال مثله عن

الرجال . فلن ترى فشارا الا وهو يفشر لنقص يشعر به فى نفسه. وليس الفشر الا ستارا رقيقا جدا يشف عما وراءه من النقص الذى يراد حجبه

كنا مرة فى فلسطين ، فحدث ان خرجنا عند منتصف الليل من فندق الملك داود ، فأطلق علينا شاب رصاصات لم تصبنا ، لأن بعضنا انطرح على الأرض ، والبعض لاذ بعمود ، الى آخره ، واختفى المعتدى، فبحث بعضنا عن بعض واجتمعنا،وكان أحدنا ــ رحمه الله فقد قتل بعد ذلك فى مدينة أخرى ــ قد ارتمى على الأرض «ليصغر الهدف» كما يقول العسكريون فأصابت راحتيه من الحصى خدوش ، أرانا اياها وعرضها علينا وزعم ــ حتى فى محضر التحقيق الرسمى ــ انها من رصاصتين أصابت كل واحدة منهما بطن كف ! أما كيف يمكن ان تصاب جلدة بطن الكفين من رصاصات تمر بالكفين وهما مفتوحتان ، محاذية لسطحيهما لامسددة اليهما، فذلك مالم أستطع ان أتصوره الى الآن . ولم تكن بصاحبنا هذا رحمه الله حاجة الى هذا الفشر ، فقد كان رجلا رشيدا كريما واسع المروءة رضى الاخلاق محبوبا من اخوانه، ولكنه كان يعرف، كما نعرف، انه بغيض الى كثيرين ممن يسخطون على سيرته العامة ، ولم نكن نحن منهم فقد كنا نحبه ونقدر وجهة نظره ، وقد اعتدى عليه قبل ذلك مرات ، وأصيب فى غير مقتل . وقد عللت فشره بأنه أراد ان يزيد عطفنا عليه ، ومناصرتنا له ، وان يحملنا على الاعجاب بشجاعته وثبات جنانه ورباطة جأشه وهو معرض للقتل فى كل يوم

ولا ضير من الفشر اذا اقتصر أمره على الفشار ولم يتجاوزه الى سواه من الناس. أى اذا كان الفشار لايتناول الا ما يدعيه هو لنفسه وينحلها اياه من المحامد والمناقب والصفات وما الى ذلك . ولكن الفشر الثقيل البغيض المستنكر هو الذى يتناول الغير بما يؤذيهم ويغض منهم ويسىء اليهم . وقد لا يكون الفشار متعمدا لذلك ، ولا يكون غرضه الا التمدح ، والمفاخرة بغير الحق . ولكن الفشار يذكر أناسا آخرين ، ويعزو اليهم أقوالا أو أعمالا اذا صحت كان فيها غض شديد من أقدارهم ، وتلك اساءة بينة ، بلا موجب أو مسوغ . وشر ما فيها انه لا سبيل الى دفع مثل هذا الأذى ، لأن من يؤذى به لا يدرى انه أوذى فى سمعته عند الناس . وأجبن الجبن ان تضرب من لا يملك دفاعا ، وليس يشفع لك انك تضرب وأنت لا تدرى انك تفعل ذلك

وليس فى الدنيا انسان لا يفشر أحيانا ، ومن زعم غير ذلك فهو « فشار » بل أفشر الفشارين

ابرهيم عبد القادر المازنى



فى الهند وبعض الاقطار الأخرى أشخاص يقومون بأعمال عجيبة خارقة للعادة ، حتى ليرد اتيانها الى السحر، والى قوة روحية خفية ، تجعل صاحبها يروض العناصر ويتحكم فيها . ومن تلك الاعمال ما يروى من ان أشخاصا يمشون على النار ، أو يقبضون بأيديهم على الجمر ، فلا يشعرون بألم ، ولا تحرقهم النار !

فما هو مبلغ الحقيقة فى هذا كله ؟

قيل ان فرنسيا فى الجيل السابع عشر ، يدعى ريشاردسون ، كان يضع الجمر فى فمه ، ويمضغه ، فلا يصاب بأذى . وقد فعل شيئا من هذا أمام لفيف من العلماء ، اذ وضع على لسانه جمرا فوقه قطعة لحم ، ثم قدمها بعد بضع دقائق الى مشاهديه وقد صارت شواء يؤكل !

ويقول العلماء الذين درسوا هذه الخوارق: ان بعض الاجسام تحتوى على عناصر تجعلها فى مأمن من الاحتراق. فالرجل الذى يقدم على أعمال من هذا النوع لا يروض النار ، ولا يتحكم فيها ، وانما هو يتمتع فى بعض أجزاء جسمه بمناعة ضد تأثير النار

ومن الحوادث التى تروى من هذا القبيل ، ان رجلا فرنسيا آخر ، يدعى توما بوليه ، اتهم مرة بممارسة السحر ، لأنه كان يمشى على النار ، فحوكم ، وحكم عليه بالاعدام حرقا !

وفى سنة ۱۹۲۳ قامت السيدة « انى هونتر » الانجليزية بتجارب غريبة فى لندن ، فكانت تتناول الجمر من الموقدة ، وتلعب به بين أناملها وتبتلعه دون ان يحترق فمها

وقام الهندى « كودا بوكس » بتجربة رائعة فى انجلترا أمام رهط من رجال العلم والصحافة ، أثبت فيها قدرته الخارقة على مقاومة الاحتراق بالنار . فقد حفروا حفرة طولها أربعة أمتار وعرضها متر ونصف متر ، ملئت بالخشب والحطب وأضرمت فيها

النار حتى ارتفع لهيبها ، وجعل الرجل يمشي في ذلك الأتون الملتهب، ذهابا وجيئة من أول الحفرة الى آخرها، وفحصت قدماه بعد ذلك ، فلم يظهر عليهما أثر لحرق

* * *

ويروى مطران « ميسور » الانجليزى بالهند ، انه شهد حفلة « سير على النار » فى فناء قصر الملك، بذلك الاقليم الهندى . فقد وضعت أكوام من المواد الملتهبة فى حفرة طولها أربعة أمتار وعرضها متران . وكانت الحرارة المنبعثة منها شديدة جدا . وجاء رجل هندى فركع أمام الملك ، ثم مشى على النار ، ودفع أحد خدم القصر أمامه بالرغم من ممانعته ، فمشى الخادم أيضا على النار دون ان يحترق . وجعل الرجل يدفع الخدم الواحد بعد الآخر الى الأتون المتأجج، فيمشون فيه دون ان تؤثر النار فيهم، وكان بينهم الهندوكى والمسلم والمسيحى على السواء . وبعد تلك « النزهة » التى قام بها الرجل والخدم فوق النار ، ألقيت عليها أكوام أخرى من أوراق الشجر الجافة ، فارتفعت ألسنة اللهب مترين أو أكثر فى الجو، ثم طلب الرجل من عازفى الموسيقى ان يدخلوا النار بآلاتهم ففعلوا ، وجعلوا يعزفون ألحانهم الشجية كأنهم يمرحون بين الأزهار والرياحين !

وتشجع بعض الأوربيين من الذين شاهدوا ذلك المنظر العجيب ، فتقدموا بدورهم ومشوا على النار فلم يحترقوا، وعند ما سئلوا عن شعورهم أثناء وجودهم فى هذا الجحيم ، قالوا : « كنا نشعر بأننا محوطون بالنار ونحس بحرارتها ، ولكنها نار لا تحرق » !

وفى جزر فيدجى ، يعمد السحرة الى وضع أحجار فى النار حتى تصبح حمراء كالجمر ، ثم يمشون عليها ، ويدعون الناس الى السير وراءهم فيفعلون بغير ان يشعروا بشىء . وقد مشى الكولونيل جودجون البريطانى فوق تلك الاحجار الحمراء مع أحد السحرة ، وقال انه لم يشعر بحرق

* * *

والآن ، كيف يتم هذا ... ؟ وما الذى يحمى الاجسام من الاحتراق فوق الجمر ، وبين ألسنة اللهب ؟

الكثرة من العلماء لا تصدق هذا، ولكن بعض العلماء ممن درسوا هذه الظاهرة يفسرونها بأن جسم الانسان يحاط فى هذه الحالة ، وبفعل قوة روحية خارقة ، بسياج من مادة غير منظورة ، تخرج من الجسم فتقيه الضرر ، كأنها درع . ويقول الدكتور أوستى الفرنسى : ان تلك المادة هى « الفانتوما » ، وانه تمكن من تصويرها بوساطة الآلة الخاصة المسماة « العين الكهربائية ! »، فاذا صح هذا، نكون أمام كشف جديد عجيب !

[عن مجلة « انتير » الفرنسية]

الطهـــــارة

المثال الفرنسى تروفيم

الطهارة هى الجهل بالشر ، وتصفها الأديان بأنها حالة الانسان قبل ان يعرف الخطيئة ويقدم عليها . والطهارة فى عرف البشر حالة الطفل قبل ان يبلغ السن التى يبدأ عندها فى التفكير فى الشرور والآثام . وقد تناول كثيرون من الفنانين هذه الفكرة فجسموها فى تماثيل ورسوم بلغ بعضها ذروة الكمال . ومن أولئك الفنانين « رفائيل » الذى مثل الطهارة فى لوحة : « النسيمة » والرسام « دومنيك » الذى مثلها فى لوحة : « الطهارة يدافع عنها ملاك حارس » وترك «روبس» لوحة عن الطهارة ممثلة فى أشخاص ثلاثة أطفال أمامهم حمل وديع وهناك تماثيل ولوحات زيتية مشهورة أخرى « لكارلو دورسى » و « جروز » و « كالامار » و « بوسيد » وغيرهم من نوابغ المثالين والرسامين

أما التمثال الذى نقدمه هنا فهو للمثال الفرنسى « أندريه فرانسوا جوزيف تروفيم » الذى عاش فى القرن التاسع عشر ، ومات بباريس سنة ١٨٨٨ ، وهو تلميذ « بوناسيو » المشهور . وتروفيم من أسرة امتاز أفرادها بميلهم الى الفنون الجميلة ، وله أخ يدعى « أوغست جوزيف تروفيم » يعد من أبرع الرسامين الفرنسيين

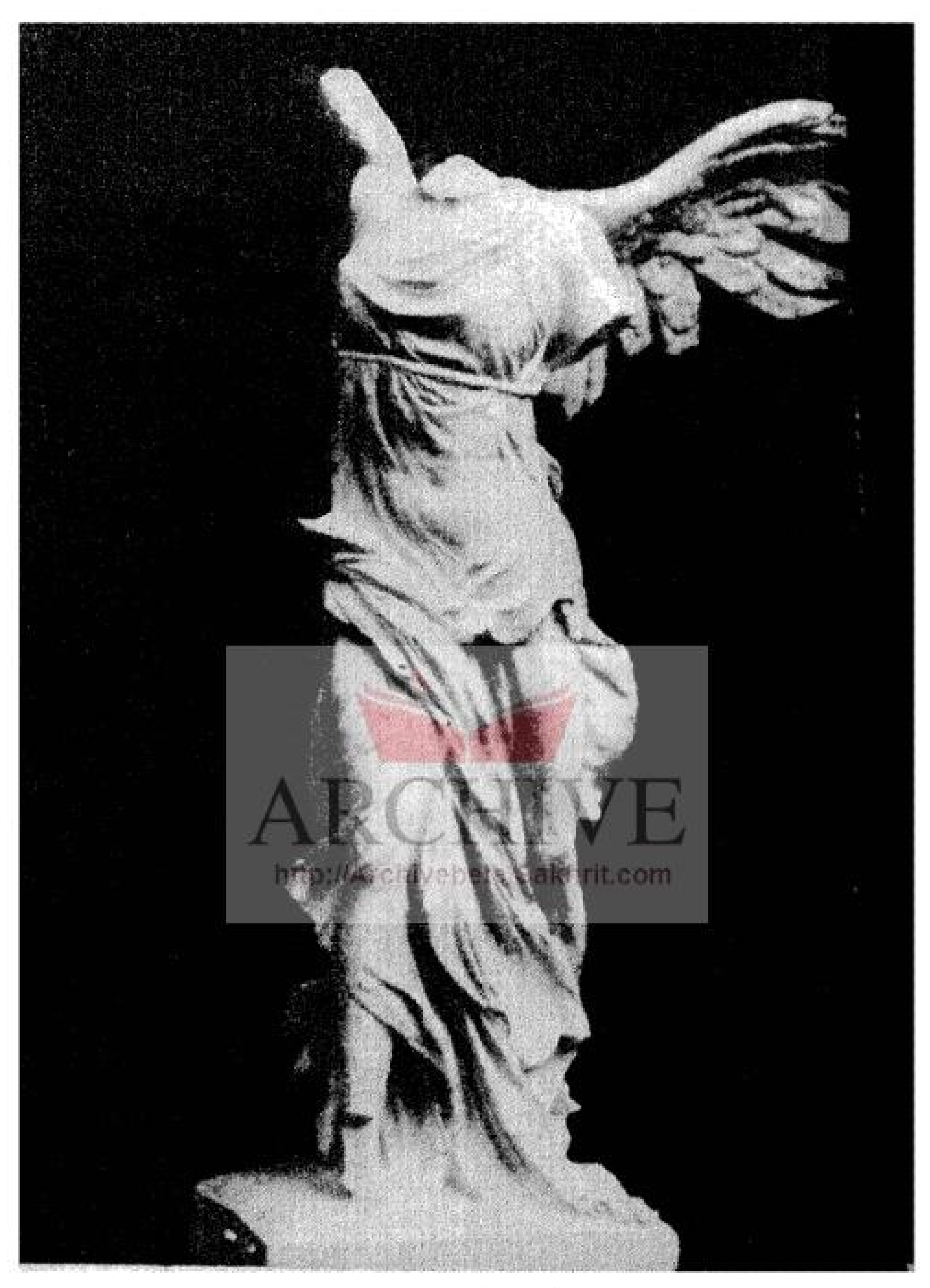
عمد تروفيم الى تمثيل طائفة من العواطف والحالات النفسية ، فأخرج سلسلة من التماثيل الرائعة ، القائمة على فكرة ، مثل : « الحلم — التفكير — ساعات المساء — الراعى » وغيرها . ويعد تمثال الطهارة الذى نحن بصدده من أروع ما أخرجته أنامل ذلك الفنان النابغة

وقد تصور تروفيم « الطهارة » فتاة صغيرة لم تبلغ بعد سن الشباب ، وقد برزت عارية ، لايستر عورتها شىء لأنها لا تشعر بما يشينها فى اظهار عورتها ، فهى طاهرة لا تدرك ان فى جسم الانسان ما يدعو الى التستر

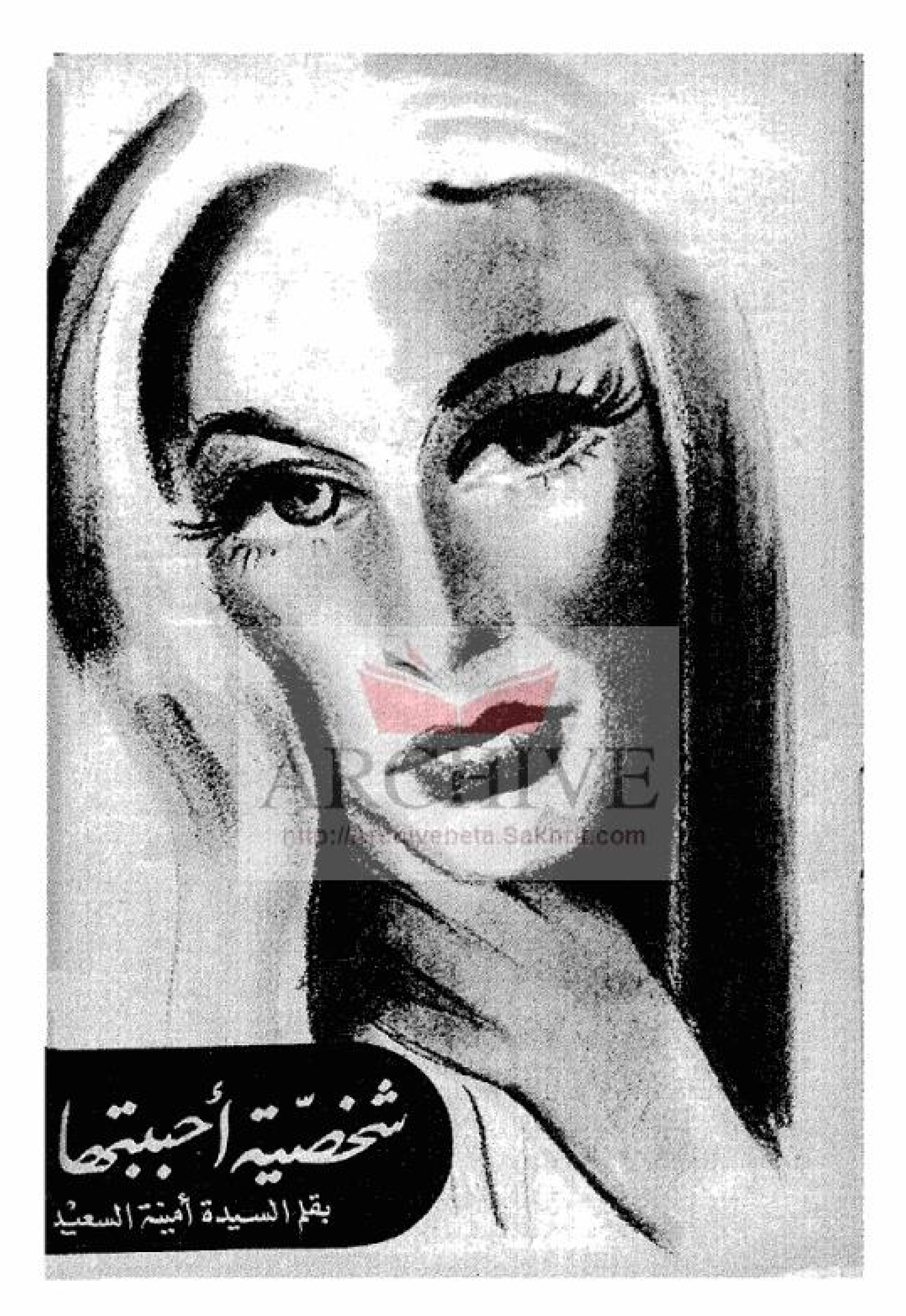
وتقاطيع التمثال بالغة منتهى الاتقان وهو من المرمر الابيض ، وقد أحرز فى معارض باريس نجاحا كبيرا فابتاعه متحف لكسمبورج وهو الآن بين تحفه النادرة


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





انتصار ساموثراكي : تمثال أغريقي مجهول


شخصية أحببتها
بقلم السيدة أمينة السعيد

ولدت وبفمها ملعقة من ذهب ، كما يقول المثل الانجليزي : اذ كان والدها رجلا عظيما ثريا ، يعيش في قصر كبير ، ويستمتع بجاه عريض ، وتحيط به وبآله من قبله أسباب الحياة الناعمة

ولم تكن عظمة الرجل في ضياعه الواسعة الخصبة ، ولم يكن جاهه وليد ذلك الحسب الرفيع الذي توارثته الأسرة جيلا بعد جيل ، فما كان هذا اللون من العظمة والجاه ، ليرضي ذكاءه الوقاد ، أو يشبع فيه روحا تواقة الى المجد . والحقيقة انه برز في مجتمعه عن جدارة واستحقاق ، فقد أقبل على العلم راغبا ، وأتم مراحله متفوقا ، ثم امتهن الهندسة ، وسجل في ميدانها عبقرية ما زال بعض الناس يذكرها الى الآن ، وبذلك خرج على دستور طبقته ، وحطم قيود عهده التي كانت ترى في البطالة مظهرا للغنى والثراء !

وفي ظل ذلك الأب العظيم ، وبين أرجاء قصره الكبير ، نشأ أولاده العشرة . ولم تكن صغيرتنا باكورة هؤلاء الأولاد ، ولم تكن أيضا خاتمتهم ، ومع ذلك استحوذت على أوفر قسط من قلب والدها ، فآثرها بعطفه وحنانه ، واصطفاها صديقة من بين أبنائه وبناته ، ووجد — وهو الرجل المقتر نوعا — لذة لا تضارع

هذه قصة الزوجة الوفية التي تتفانى في حب زوجها، فيتفانى في حبها.. وتصبح الحياة الزوجية نعيما ، لا تقوى هموم الحياة وأشواكها على تكدير صفائه

في اغراقها بمختلف ألوان الرخاء والترف !

وعند ما بلغت الثامنة من عمرها كان سلطانها على أبيها الشيخ قد تمكن وانتشر ، وعرشها في قلبه قد ثبت واكتمل . فما عاد يطيب له يوم لا يستهله بوجهها الصبوح ، أو يهنأ له نوم بغير قبلة يطبعها على جبينها الوضاح . ورغم سنها المبكرة، غدت موضع الثقة منه ، فكان يبثها آلامه ، ويشكو لها أتراحه ، ويحدثها بمختلف أموره وشؤونه !

●

وأحس أفراد الأسرة بما للصغيرة من مكانة رفيعة في نفس والدها ، فلم يحقدوا عليها أو يحسدوها ، بل أغدقوا عليها مزيدا من الحب والتدليل، وبالغوا في تبجيلها واحترامها ، وتسابقوا الى خدمتها ونيل رضاها ، كما لو كانت ملكة صغيرة متوجة !

وقد يعجب القارىء لذلك الحب الغامر الذي يلاحق صغيرتنا في كل خطوة من خطوات حياتها المبكرة ، ولكن الحقيقة لا تدعو الى العجب ، اذ كانت في الواقع صبية ممتازة ، حبتها

الطبيعة بكثير مما يجذب القلوب ويأسرها .. كانت صبوحة الوجه .. جيلة التقاطيع ، في وجنتيهما حمرة الورود ونضرتها ، ولبشرتها الملساء بياض الثلوج ونعومتها ، أما شعرها المسترسل ففي سواد الليل البهيم ، ومن عينيها الواسعتين يشع سحر مقيم .. كانت كاملة الخلق ، لايعنون حسنها عيب ، أو ينتقص جمالها شيء ، اللهم الا قصر ضئيل في القامة ، وامتلاء قليل في الجسد !

ولم يكن خلقها أقل جمالا من خلقها ، اذ كان قلبها الكبير عامرا بالطيبة والطهارة ، ونفسها الوادعة في صفاء الغدران الرقراقة ، لا تعرف الحدة في الغضب ، أو الشدة في الجدل ، فاذا ألحت عليها دواعي الاستفزاز ، أمسكت لسانها عن الحديث ، وأرسلت من عينيها نظرة عاتبة ، تتمثل فيها آيات السلم والدعة ، فيغلب غريها على أمره ، ويعتذر صاغرا عن خطئه !

أما أبرز خلالها الحميدة ، فعدل في الحكم ، وصحة في القول . لذلك اتخذها أفراد الأسرة قاضيا يختصمون اليه اذا نشب الخلاف بينهم واستبد ، ومرجعا يقصدونه اذا اختلط عليهم الصدق وأعوزهم الحق . وكانت الى جانب ذلك تمثل التضحية النبيلة ونكران الذات ، تؤثر غيرها بما تتوق اليه نفسها ، وتفعل ذلك في بشر وانشراح !

وشاءت الاقدار ان تشقى فتاتنا بعد سعادة وهناء . ففي يوم من الايام أقام رب البيت وليمة كبيرة ، دعا اليها جمهرة من المعارف والأصدقاء . فوقفت الابنة المفضلة على مقعد بجوار احدى النوافذ ، ترقب وفود الداخلين والخارجين ، فشغلت العربات الفاخرة ذهنها ، وألهتها الجياد المطهمة عن حذرها ، فاختل توازنها على المقعد وسقطت به على الارض فاقدة الرشد

وأثار سقوطها ضجة بين الخادمات فالتففن حولها صارخات مذعورات ، وانبرت احداهن لاسعافها ، فصبت قدرا كبيرا من الماء على وجهها وصدرها . فأعاد الماء المثلج اليها رشدها ، ولكنه أصاب قلبها ، وخلفها عليلة طريحة الفراش !

واستدعى رب البيت نطس الاطباء لعلاج ابنته المفضلة . وبذل لهم المال بسخاء ليتقذوا قلبها ، فقاموا بمحاولات عدة ، باءت جميعها بالخسران ، وظلت فتاتنا الصغيرة طريحة الفراش متقطعة الأنفاس ، ترقب الشمس في شروقها ، وتستودعها عند غروبها ، وتعد الشهور وهي تمر وتتوالى دون أمل كبير في الحياة !

ولكن المحنة القاسية لم تغير روحها الجميلة ، ولم تنل العلة المستعصية شيئا من صفاتها الحميدة ، فظلت على عهدها باسمة الثغر ، مطمئنة النفس ، قلبها عامر بالرضا والايمان ، وخلقها

يفيض بالرقة والحنان ، وشخصها مبعث الحب والسلام !

وترامت الى أسماع والدها قصة طبيب ناشىء ، ارتقى المجد سراعا مع حداثة عهده بالمهنة ، فأرسل يستدعيه لعل السلامة تأتى على يديه ، فلبى الطبيب الدعوة مرحبا ، وأقبل على عيادتها راضيا ، فطالعه وجه ملائكى، تتجلى فى قسماته أسمى آيات الانسانية النبيلة ، وبهرته فيها شخصية كاملة، لم تزلزلها المحنة أو تذهب بكمالها ، فخضع الطبيب لسحر المريضة ، وغدت حجرتها كعبة يحج اليها كل يوم !

وعكف على علاجها بكل ما أوتيه من مهارة وبراعة ، فتحسنت صحتها، وزايلت فراشها ، ولكن قلبها ظل عليلا ، يهدد حياتها بالفناء ، ويحول بينها وبين الاستمتاع بكثير من اللذات، فلما بلغت الثالثة عشرة من عمرها تقدم الطبيب الى خطبتها ، فكوفىء على اخلاصه بالقبول ، وزفت اليه وهى تصغره بأعوام عشرين !

ولم يكن صاحبنا على قسط ، ولو ضئيل ، من حسن الشكل وتناسق التقاطيع ، فقد كان أسمر اللون ، كبير الانف ، غليظ الشفتين ، ولكنه كان رجلا بكل ما فى هذه الكلمة من معان سامية : أبى النفس، ندى الكف، عظيم الشهامة ، شامخ الكرامة ، له شخصية جارفة تكسبه هيبة وجلالا ، وسلطان قاهر يبعث فى النفس رهبة واحتراما، ولسان كالشهد فى نعومته، والسوط فى شدته . لم يكن يباريه أحد فى الرقة اذا عطف ، أو فى القسوة اذا غضب ، ولذا عاش حياته صديقا للضعيف، غريما للقوى . وكان الى جانب ذلك أديبا متمكنا ، حسن الأداء ، بليغ العبارة ، يقنع المتعنتين بحججه الدامغة ، ويسحر الجماهير بخطبه الرائعة ، فأسماه الناس «محامى الأطباء» ، وصاحبه هذا الاسم حتى الممات !

●

وبهذا الزوج بدأت قصة خالدة من قصص الزواج الهنيء .. كان كلاهما يحب صاحبه ، وكلاهما يسعى الى الاحتفاظ بحب صاحبه، فتقارب الاثنان، وتلاشت من بينهما فروق السن والشكل ، ولم تعد الزوجة الصغيرة ترى فى شريك حياتها غير أنبل وأعظم رجل فى هذه الدنيا . وأحست انها مدينة له بالكثير ، فقد أكسبها حنانه رغبة فى الحياة ، وحبه قوة تغالب بها المرض ، كما استمد قلبها من قلبه النبوض والخفقان ، فطفحت نفسها بعرفان الجميل ، وعاهدت ربها غير حانثة ان تعيش من أجله ، وأن تعمل على سعادته ما وسعت الى ذلك سبيلا

وواتتها الفرصة لتفى بعهدها ، اذ كان انجاب الاطفال لعليلة مثلها محنة شاقة تهدد حياتها بالخطر ، فأشفق «محامى الأطباء» على زوجته ، وأراد

ان يرحمها من شر تلك المحنة . ولكنها أبت ان تعيش من أجل نفسها فقط ، وأصرت على ان تملأ البيت بالصغار ، لتكمل سعادة رجلها المحبوب،ويستمتع بما استمتع به غيره من الأزواج . وكلما أوشكت على الوضع مرة غلب الحزن صاحبنا ، وتملكه أسى بليغ ، خشية ما قد يصيبها بالولادة ، فتقرأ أفكاره بيسر وسهولة ، وتبعث الأمل فى قلبه قائلة : « لن أموت طالما أنت فى حاجة الى ! »

ومضت أعوام كثيرة والحبيبان يسيران فى طريق الحياة جنبا الى جنب، ثم مات « المهندس الكبير » ، وخلف لابنته ثروة طيبة ، فتقبلتها راضية ، لا لتستمتع بها ، أو تنفقها على نفسها ، بل لتختزنها وتحفظها جانبا . ولم تشتر بجزء من مالها خاتما تضعه حول أصبعها . ولم تجلب قرطا تحلى به أذنيها ، فتعجب الناس لتصرفها ، واتهموها بالبخل والتقتير، فقابلت حديثهم ساكتة ، وأبت ان ترد التهمة بكلام قليل أو كثير ، وصبرت على الغمز واللمز بما عهد فيها من تسامح وهدوء !

واجتاحت مصر بعد ذلك موجة اقتصادية صاخبة ، أساءت الى أثمان المحصولات ، وأطاحت بثروات كثير من الاغنياء ، ونال « حامى الاطباء » شيء من رذاذها ، فاهتز كيانه المالى، وأوشكت أرضه على الضياع ، ولكن الزوجة الطيبة اقتحمت الميدان مسرعة، وبذلت مالها مختارة فى رد الشر عنه، فخسرت ثروتها بكاملها ، ولكنها أنقذت رجلا تدين له بجميل كبير !

ودقت طبول مفرق الاحباب ، وتقدم الموت ليفض الشركة السعيدة، فتوفى الطبيب عند ما حانت ساعته ، واختفى من حياة حبيبته الى الابد . وتقبلت الزوجة مصابها صابرة ، ولكنها ضمرت سريعا ، وذوى جمالها بعد أيام معدودات ، فتجعد جبينها المشرق،وخبا بريق عينيها الواسعتين، ثم أسلمت الروح ، ولا عجب ، فقد حرمت قلبا كان لقلبها مصدر الحياة والخفقان !

•

وشاءت الأقدار ان أحضر وفاتها، فشاهدت أروع مثل للعظمة والجلال. كانت تموت،وكانت تعرف أنها تموت، ومع ذلك لم ترتجف أو تجزع، وظلت ابتسامة الرضا تزين ثغرها الجميل ، وطمأنينة الايمان تضيء وجهها النبيل، وكان اسم زوجها الحبيب آخر ما جادت به أنفاسها

ولكن صاحبتنا لم تذهب بموتها الى الأبد ، فقد ظلت روحها الطاهرة ترفرف على بناتها الأربع ، تؤنس عليهن وحشة البيت الكبير ، وتمدهن بالثقة والتفاؤل فى أظلم ساعات الحياة !

أمينة السعيد



استفد مني ..

اسكندر دوماس الابن من نوابغ الكتاب الفرنسيين الذين عركوا الحياة وذاقوا حلوها ومرها . وهو يفرغ هنا زبدة اختباراته فى طائفة من النصائح يقدمها للشيب والشبان على السواء

امش ساعتين كل يوم . نم سبع ساعات كل ليلة . نم وحدك فى فراشك عند ما تشتهى النوم . انهض فى اللحظة التى تستيقظ فيها ، واعمل على اثر نهوضك . لا تأكل الا بالقدر الذى يسد جوعك . لا تشرب الا ما يروى ظمأك ، واشرب دائما على مهل . لا تتكلم الا اذا وجب الكلام ، ولا تبح الا بنصف أفكارك . لا تكتب الا ما يمكنك أن تمهره بتوقيعك . لا تفعل الا الشيء الذى يمكنك أن تقوله . لا تنس أن غيرك سيعتمد دائما عليك وانه لا يسعك ان تعتمد على أحد . لا تقدر المال بأكثر ولا أقل مما يساوى .. فهو خادم صالح وسيد طالح . احذر النساء قبل ان تبلغ العشرين ، وابتعد عنهن بعد الاربعين . لا تتعهد بشيء دون أن تدرك مبلغ العهد الذى ترتبط به ، وتجنب الهدم بقدر ما تستطيع . اغفر لجميع الناس سلفا ، فهذا خير لك . لا تحتقر الناس ، ولا تبغضهم ، ولا تهزأ بهم ، بل ارث لحالهم . فكر فى الموت كل صباح وانت تستقبل النور ، وكل مساء وأنت تعود الى الظلام . اجتهد فى أن تكون بسيطا ، لتصبح مفيدا ، ولتظل حرا .

اسكندر دوماس



[تصوير جارو]

طلبنا من كبار المصورين عندنا الصورة التي يعتزون بها ويعدونها خير ما سجلته عدساتهم .. وفيما يلي يحدثنا الكاتب عن التصوير الفوتوغرافي . . . وعن مواطن الضعف والقوة في هذه الصور

التصوير الفوتوغرافي فن

بقلم احمد راسم بك

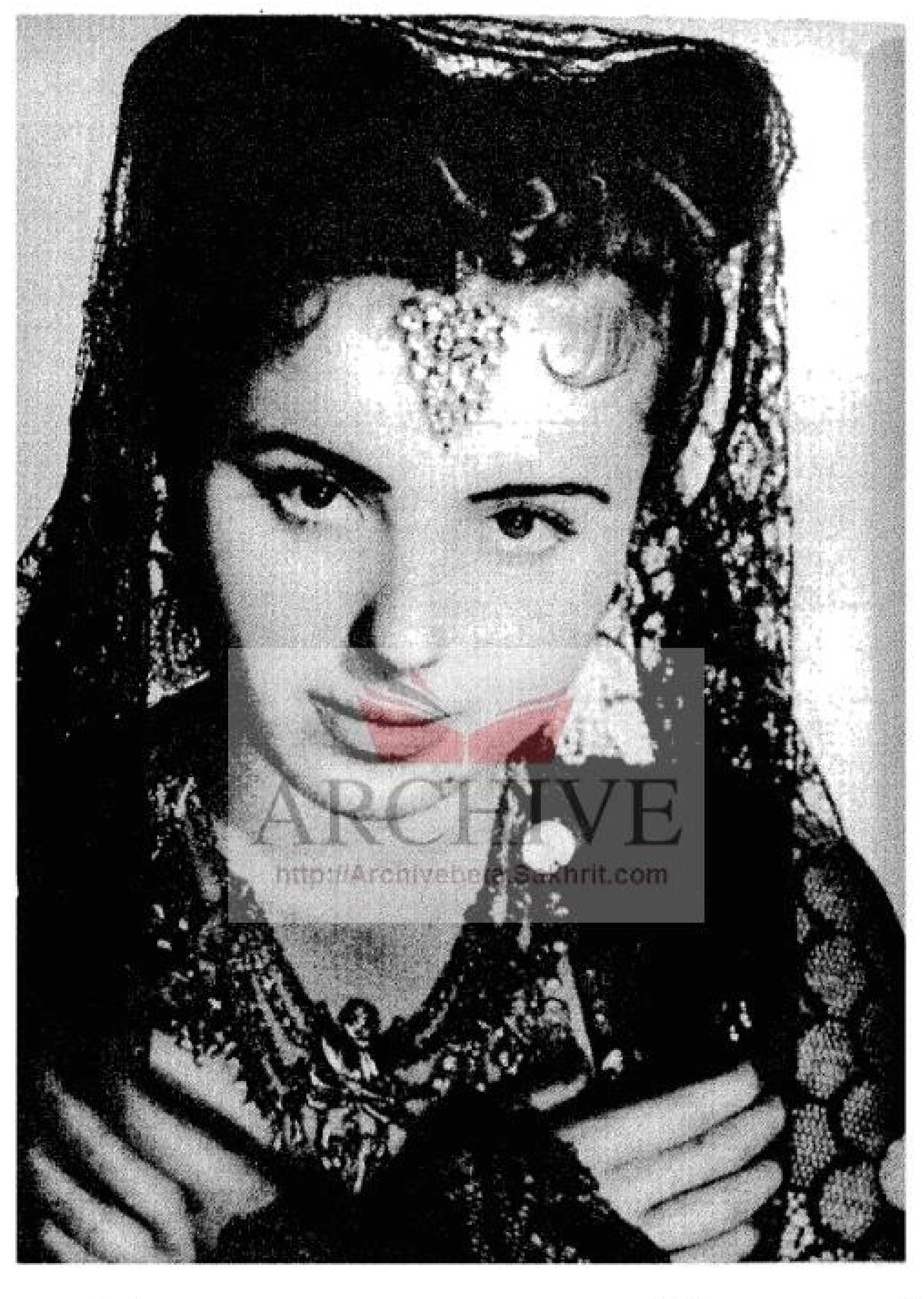
يعتقد معظم الناس ان التصوير الفوتوغرافي فن ميكانيكي بحت ، لا يتطلب من صاحبه أكثر من ان يجيد استعمال الآلة المصورة ، كما يجيد مسائل الطبع والتحميض ، وما الى ذلك من هذه العمليات . وهذه الفكرة نفسها هي التي كانت تباعد بين المصور الفوتوغرافي وبين اعتباره عند الجماهير فنانا أصيلا ، كالرسام والمثال والموسيقى وغيرهم . لا سيما وان عقيدة الناس في الرسام والمثال مثلا ، انهما يستطيعان ان يسجلا على لوحاتهما ، بشيء من القوة والتحوير ، الملامح التي تعبر عن أخلاق أصحابها . وفي هذا ما يجعل فنهما أرقى من فن التصوير الفوتوغرافي

والواقع غير ذلك ، فان الفوتوغرافيا وأدواتها في يد الفوتوغرافي الفنان ، كالريشة والألوان في يد الرسام . فمصور الفوتوغرافيا الفنان يجب ان يسجل ، كما يسجل زميله الرسام أو المثال ، حقيقة الشخصية التي يصورها ، ويبرز من أخلاقه وميوله الطبيعية في الصورة ما قد تخفى رؤيته على العين المجردة . وهو في ذلك يستعين بالاضواء والظلال الصناعية المنعكسة على وجه الشخص نفسه ، كي يبدي ويخفي من الملامح ما يكون الشخصية ويفصح عنها . ويجب عليه أيضا ان يصل الى التوازن الذي يصبو اليه زميله الرسام ، بأن يصور صورته من زاوية معينة ، فيؤلف بين كتل الضوء والظل المختلفة ، بحيث تبدو صورته مفعمة بالتوازن والانسجام . شأنه في ذلك شأن الرسام الذي يؤلف بين الألوان المختلفة الحدة ومرئيات موضوعه ، للحصول على هذا التوازن والتوليف والانسجام في لوحته

ومن ثم أصبح التصوير الفوتوغرافي فنا بمعنى الكلمة ، يحتاج الى دراسة ومران وحساسية فنية . وأصبحنا نرى صورا فوتوغرافية لا تقل روعة



[تصوير مصطفى رمزي]



[تصوير معطي] ٣٠٠٠ تصوير خورشيد

وبهاء عن اللوحات والتماثيل الرائعة

وعلى ضوء هذه العجالة ، استعرض الصور المنشورة هنا موضحا مواطن الضعف والقوة فيها :

ـ ١ ـ

فى هذه الصورة ، للاستاذ جارو ، جمال من نوع غريب تستطيع ان تسميه شذوذا فى الوضع والزاوية التى التقطت منها الصورة . فهو يصبو الى تبيان جمال الشعر المرسل يتألق من فوقه وجه كالبدر المضيء . ولولا النشاز البادي فى خط الصدر والكتفين لكانت هذه الصورة من روائع الفن الخالص . كان ينبغى على المصور اخفاء بروز الكتفين بهذه القسوة

ـ ٢ ـ

أبرز ما فى هذه الصورة للاستاذ مصطفى رمزى هو التوليف الجميل بين مساحات الأضواء والظلال . ففيها مثلثان متعكسان ، أحدهما للظل وتتألف منه كتلة الشعر المرسلة من أعلى الرأس الى الكتفين ، والثانى للضوء ويتألف منه الوجه بجبهته العريضة وذقنه المدببة . وبهذا استطاع المصور ان يصل الى التوازن المنشود فى كل عمل فنى جميل

ـ ٣ ـ

وفي صورة الاستاذ خورشيد ، فكرة نجح في ابرازها . فهو يعمد الى اظهار وجه شرقي فى نقاب خفيف يغطى ما تحت الأنف دون ان يكون هناك نقاب حقيقة ، كما قصد الى لفت النظر الى العينين النجلاوين . وأرى ان الصورة كانت تتم برونقها الكامل ، لو لم يقطع الرأس هذا الخط المستقيم الواضح

ـ ٤ ـ

هذه الصورة للاستاذ سليم يوسف وقد عنى فيها باظهار مشاعر معينة وهي الحزن وشرود الذهن ومايتبعهما . وكنت أفضل لو لم يظهر الوجه كالبدر المنير محددا واضحا ، ويا حبذا لو كان قد لفه بغلالة رقيقة من الظل . ومع ذلك فالصورة تعجبنى وخاصة فى طريقة قطعها

ـ ٥ ـ

وهنا توزيع جديد للضوء والظل ، وأغلب ظنى ان ستديو رياض شحاته قد أراد ابراز عاجية الصدر ونعومته ، فألقى عليه ضوءا أخاذا ، وغلف ما حوله بغلالة جميلة من الظل ، ولولا الحدة البادية فى الظل والضوء ، لهدأت الصورة قليلا ، وأصبحت أجمل وأحسن

ـ ٦ ـ

وأما هذا التمثال العاجى للمصور بيلا فقد نجح فى اقامته الى حد كبير فاستعان بالضوء ليكسب الجسم الحى عاجية التمثال واستعان به ليلهب الشفتين بحرارة الحياة . وأغلب الظن انه كان يتمثل نفرتيتى خير صور هذه السيدة المحترمة



[مصور سليم يوسف]



[تصوير رياض شحاتة]



تصوير بيلا

افتح عينيك عند الزواج !

يقولون ان الاحداث الثلاثة المهمة في حياة الانسان هي : ولادته ، وزواجه ، ووفاته .. لكن درجة سيطرة الشخص أو تحكمه في كل من هذه الاحداث الثلاثة تختلف إما اختلاف: فتحكمه في ولادته معدوم.. وتحكمه في موته ضعيف .. أما تحكمه في زواجه فمستطاع الى حد كبير.

ولكن بالرغم من ذلك فان الازواج والزوجات لو وجدوا الشجاعة الكافية للمجاهرة بالحقيقة لاعترفوا بأنهم قد تكلفوا من العناية عند اختيار شركاء حياتهم نصيبا أقل مما يتكلفونه حين يعتزمون شراء سيارة ! وان الشخص السعيد في زواجه يحاول دائما ايهام الناس بان سعادته هي ثمرة بعد نظره ، وصواب تقديره .. بينما تجد الشخص الشقي في زواجه يحاول، على العكس ، ان يتنصل من مسئوليته ، فيوهم بأنه قد خدع أكثر مما أخطأ في الاختيار !

ومهما يكن من شيء ، فالحقيقة الثابتة هي ان الناس كثيرا ما يتزوجون تحت تأثير الحب ، وينسبون كل خطأ في الاختيار أو شقاء في الزواج الى ان الحب .. أعمى !

فما هو هذا الحب الذي « يقع » فيه الشخص وقوعا ؟ .. انه نشوة عاطفية تغذيها وتزيد من نشاطها الجاذبية الجسمانية والاجتماعية

> « ليس الحب أعمى إلا بالنسبة للذين لا يكلفون أنفسهم مشقة النظر . فلو تدبر كل شخص منذ البداية أسس السعادة الزوجية لاهتدى الى الصواب »

ولما كان الحب بطبيعته تجربة شائقة، فان المحبين يتجنبون في علاقاتهم دائما كل ما يذكرهم بالالتزامات التي لا تسر ويقضون وقتهم في المناجاة والأحلام ، ويوجهون افكارهم الى آمال المستقبل أكثر مما يوجهونها الى حقائق الحاضر .. وهكذا يبتعدون عن تدبر الأسس الحقيقية التي لا بد منها للسعادة الزوجية.. فاذا ما تزوج العاشقان ألفيا نفسيهما يواجهان المر الى جانب الحلو ، والواجب الى جانب الحق.. والعمل الى جانب اللهو ، أو بعبارة أخرى ، يواجهان الحياة كما هي في الواقع

بل قد يحدث ان يلاحظ الشخص في فترة الحب عيبا أو نقصا في الآخر، لكن نشوة الحب توهمه ان الزواج

كفيــل بمحــو ذلك العيب أو تلك النقيصة !

والشاهد دائمـا ان كل خطيبـين يأملان ، أثناء فترة الخطوبة، ان يكون زواجهما أسعد زواج وأكثره توفيقا، ولـكن الذى يحـدث ان الزيجـات الناجحة نجاحـاً تاما تعتبر فى حكـم النادر ، وان كانت ممكنة من حيث المبدأ ، لو تدبر كلا الخطيبين أمره عند الاختيار بروية وامعـان ، وعنـدئذ يصبح زواجهما شهر عسل دائم

واذن فالسعادة الزوجية أمر ممكن التحقيـق ، لو توافرت فى الـزواج الأسس الرئيسية التى يجب ان يبنى عليها ، وهى ـ بحسب ما أسفرت عنه تجارب الباحثين ـ تتلخص فيما يلى :

السن المثالية للزواج

هناك أسباب كثيرة تحمل على الاعتقاد بخطـأ الزواج قبـل سن العشرين . ومن هذه الأسباب ان الاستقلال المالى قلما يتوفر لرجل قبل هذه السن المبـكرة . ومـن ثم لا يكـون أمام الزوجين مفر من الاستمرار فى معيشة واحدة مع والديهم . أو مجابهة صعوبات مرة تجعلهما يندمان على زواجهما

ومن هذه الأسـباب أيضـا ان النضوج الكافى لصحة تقدير الأسس السلية للزواج . لا يمكن ان يتوافر قبل سن العشرين

وخلاصة ما انتهت اليه دراسـات المختصين ، ان أكبر نسبة من الزيجات السعيدة هى التى تكـون فيهـا سن الـزوج فوق الـرابعـة والعشرين وسن الزوجة فوق الثانية والعشرين

هل تختار الزوجة زوجها ؟

والناس يتحدثون عادة عن اختيار الشاب زوجته ، ولكن يندر ان يتحدث أحد عن اختيار المرأة زوجها .. فهل يعنى هـذا انه ليس للمرأة رأى فى اختيار شريك حياتها ؟

لا يمكن ان يقول أحد بهذا ، فانه اذا كانت المرأة ملزمة بحكم الأوضاع الاجتماعية بانتظار من يتقدم اليهـا ، فانها ليست ملزمة باختيار أول من يتقـدم .. وهنا تجـدر ملاحظة ان أسلوب معيشة الفتاة وتصرفاتها ، هو الذى يحدد عدد الرجال الذين يتقدمون لها ومـستواهم الاجتماعى

موافقة الوالدين على الزواج

وهذه مشكلة من أعقـد المشـاكل الخاصة بالزواج .. فالغالبية الكبرى من الآباء والأمهات ، تعتقد ان من حقها على أبنائها وبناتهـا ان تهتـم بمستقبلهم . وتستخدم تجاربها الطويلة لمساعدتهم على التزام الحكمة والتروى عند الاختيار ، وتجنب المزالق الخطرة فى الزواج ... وذلك بالاصرار على ان يكون لهم الرأى الأخير فى الأمر

أما الأبناء والبنات ـ من الناحية الأخرى ـ فيعتقدون ان بلوغهم سن

الرشد يؤهلهم لاختيار شركاء حياتهم بأنفسهم . فأى الفريقين مصيب ؟

تدل نتيجة الدراسات الطويلة التى قام بها اثنان من الباحثين فى هذا الشأن ، هما «برجس» و «كوتريل»، على ان غالبية الزيجات السعيدة قد تمت بموافقة الوالدين .. أما فى حالة عدم موافقتهما فالوالد يكون فى العادة أكثر من الأم تشددا وبعدا عن التأثر بهوى الابن أو الابنة

اختلاف ثقافة الزوجين وأثره

وهنا يتبادر الى الاذهان سؤال مهم : هل يستطيع رجل وامرأة ذوا ثقافتين مختلفتين ان يسعدا معا كزوجين ؟

والجواب على هذا ان أكثر حالات فشل الزيجات التى من هذا النوع يكون سببها تفوق ثقافة الزوجة على ثقافة الزوج ، فان هذا الوضع يسبب للزوج شعورا بالنقص ، ويحرم الزوجة مسرة مشاركة زوجها ابناء في بيئتها الاجتماعية

اختبر نفسك قبل الزواج

وينصح الباحثون كل شخص مقدم على الزواج بأن يوجه الى نفسه الأسئلة التالية :

أولا : هل أنت من بيئة تناسب بيئة الشريك الذى تنوى الزواج منه، من حيث ظروف المعيشة ، والحالة المالية ، والوسط الاجتماعى ؟..

لو كان جوابك بالنفى فسوف يصعب عليكما ان تحصلا على الوفاق معا . فاذا حاولت ذلك ، اقتضاك الأمر جهودا كثيرة ، وزمنا طويلا

ثانيا : هل استطعت فى ماضى حياتك ان تحافظ على علاقتك الودية مع والديك ؟ اذا كان الامر كذلك ، فان فرصتك فى السعادة الزوجية أكبر ، وأملك أقرب الى التحقيق

ثالثا : هل كان زواج والديك موفقا ؟ اذا كان الجواب نفيا ، فقد يصعب عليك ان تتصور مشقة بناء بيت سعيد .. فالطفل الذى ينشأ ويشب فى أسرة منقسمة على نفسها ، تنطبع فى خياله مأساة الشقاق الدائم، ويلزمه قدر كبير من الحزم والعزم كى ينشىء لنفسه أسرة سعيدة

رابعا : هل يجرى حديثك مع الشخص الذى تنوى الزواج منه ، حين تكونان معا ، حول أهدافكما المشتركة ومصالحكما المتبادلة ؟

خامسا : هل تجنبت ان تخفى عن شريكك المقبل ، شيئا لا مفر من ان يعرفه يوما ما فى المستقبل ؟ .. ان الشخص الذى يخفى عن شريكه أية حقيقة خاصة به انما يخاطر بسعادته الزوجية فى المستقبل

سادسا : هل تميل الى انهاء الخلاف مع زوجتك — أو زوجك — أكثر مما

تميل الى تركه يستفحل ؟ . . ان الوفاق الزوجي يتطلب أحيانا استعدادا للمضي في التفاهم الى أكثر من منتصف الطريق

سابعا : هل أنت على استعداد لقبول المناقشة الحرة بينك وبين شريكك في المشكلات التي تهم كليكما ؟

ثامنا : هل قابلت والدي شريك مستقبلك . . وهل أنت على استعداد لتحمل مسئولياتك كزوج ابنتهما لو اعترضت هذه المسئوليات طريقك؟ إذا أردت ان تتخذ بعض التحفظات لنفسك في هذا الشأن فيجب ان تتفاهم بصددها صراحة قبل الزواج

اذا استطعت الاجابة على هذه الأسئلة كلها بالايجاب ، دون ان تخدع نفسك ، فامض في طريقك الى الزواج بلا تردد ، فقد فعلت من جانبك ما في وسعك لتأمين سعادتك الزوجية

. . والآن اختبر شريكك

فاذا فرغت من اختبار نفسك بالاجابة على الأسئلة السابقة، فلتختبر شريكك بمحاولة الاجابة على الاسئلة التالية :

١ – هل يبدو شريكك مرحا ، سعيدا ، متفائلا على الدوام ؟

٢ – هل يقبل المناقشة في الأمور بهدوء دون ان يتطور بها الى مرحلة الجدال الشديد ؟

٣ – هل هو ثابت العواطف... أم متقلبها ؟

٤ – هل هو محافظ فيما يتعلق بالدين ، والأخلاق ، والسياسة ، والشؤون المالية ؟

٥ – هل يتعاون بسهولة مع الآخرين ، ويعمل مع رؤسائه في جو من التلطف واللباقة ؟

٦ – هل يعطف على من هم أقل منه ، وهل يساعد المحتاجين لمساعدته عن طيب خاطر ؟

٧ – هل يستطيع ان يتقبل النصيحة قبولا حسنا ؟

٨ – هل يعنى بدقائق عمله اليومي العناية اللازمة ؟

٩ – هل يميل الى تحمل المسئوليات؟

١٠ – هل هو مغرم بالاطفال ؟

١١ – هل هو متدين ، وهل أنتما من دين واحد ؟

١٢ – هل تحبه بالرغم من نقائصه ؟ . . ان من الخطأ الظن بأن نقائصه وعيوبه سوف تختفي بعد الزواج . .

وهل تحس بأنك فخور بشريكك اذا كنت تخجل حين ترى في صحبته فزواجكما غير مناسب

اذا كانت اجاباتك على الأسئلة السالفة بالايجاب ، فانك تستطيع ان تطمئن الى ان شريكك يحظى من الصفات بما يؤهلكما لحياة سعيدة

[عن مجلة « لايف اندهلث »]

علمتنا الحرب العالمية الأخيرة ، أن فى وسع الانسانية أن تحل أية مشكلة تواجه العالم ، اذا هى رصدت لحلها الأموال اللازمة . فبألفى مليون من الدولارات كشفنا عن القنبلة الذرية ، فكانت أعظم صفقة فى التاريخ اشتريت بمال . فلماذا لا نتبع هـذا الأسلوب ذاته فى مسائل الصحة ، لكى ننقذ الأرواح ولا نترك العلل تفتك فتكا ذريعاً بالألوف من الناس ؟ !

أليست الصحة أولى بالمال ؟

لقد كنا من قبل لا نعلم شيئا عن تقسيم الذرة ، حتى لاحظ الأستاذ « أوتو هـان » انفجـار الذرة أول ما لاحظ سنة ١٩٣٨ بينمـا كان يشتغل ببحـوثه العلميـة فى معهـد الامبراطـور غليـوم فى برلين . فلم ينقض عام على هذا ، حتى أخذنا ندفع بالابحاث الذرية الى الأمام دفعا . وفى فترة لم تتجاوز ستة أعوام راح العلماء يجمعـون المعلومات ، والمهنـدسون يضعـون التصميمات ، والبناءون يشيدون المعامل والمصانع الضخمة ، حتى انتهوا ، لا الى انتـاج القنبلة الذرية فقط ، وانما تغلغلوا ببحوثهم أيضا فى جوهر هـذا العالم فعرفوا حقائق ذات بال عن طبيعته

كان ذلك أسلوبا جديدا فى البحث العلمى ، يختلف عن أساليبنا القديمة ، حين كان العالم الباحث ، يشتغل فى المعمل بمفرده ، ولا يجد المال المطلوب لمواصلة بحوثه . فلماذا لا نتبع هذا الأسلوب ذاته فى مسائل الصحة ؟

خذ السرطان مثلا . .

ليت شعرى ماذا تكون النتيجة اذا نحن حشدنا جميع العلماء فى العالم ، وأهبنا بهم قائلين : « لقد كنتم فيما مضى من الدهر تعملون فى نطاق ميزانيات محدودة ، اذا استثنينا تبرعات ذوى الأريحية ، فكنتم تتوخون فى بحوثكم القصد فى النفقة ، ولكننا اليوم نطلب اليكم أن تنفقوا على البحث ما شئتم . فى غير اقتصاد ولا توفير . فهلموا الى العمل ، ولا تتـوانوا ، فان الأمـر خطير ، يقتضى البدار ، لأن ألوفا من المرضى يموتون كل أسبوع »

ليس من شك فى أن فريقـا من الناس سيهزون رؤوسهم متشككين . ولكن شكهم لن يتجاوز ما كان من شك فريق آخر من الناس . عند ما سمعوا كلاما كهذا يقال لهم عن القنبلة الذرية

ان عدد من يموتون بالسرطان فى

الولايات المتحدة يبلغ ١٦٠ ألفا من الأنفس ، والاخصائيون يقدرون — في قسوة وبرود قلب — ان النفس الانسانية التى تضيع تقدر قيمتها فى ثروة الأمة بنحو ألفين من الجنيهات، ولئن صح هذا فان مجموع الخسارة الناتجة من فتك السرطان ، بالولايات المتحدة وحدها ، يبلغ ما فوق الثلاثمائة مليون من الجنيهات فى العام ، وهو مبلغ يتجاوز بلا شك ، ما قد ينفقه العلماء ولو جزافا فى سبيل كشف سر هذا المرض ، والبحث عن أسبابه ووسائل علاجه . وما يقال فى السرطان يقال أيضا فى الأمراض الأخرى ، كأمراض القلب والشرايين وأشباهها

* * *

وقد تكون تجربتنا فى القضاء على هذه العلل — فيما سبق — تجربة فاشلة ، ولكننا الى اليوم لم نقم بها على النحو الذى اتبعناه فى تجارب القنبلة الذرية ، ولا اهتممنا بهذه اهتمامنا بتلك . ولا ينبغى أن ننسى أيضا أن المعلومات التى لدينا فى هذه اللحظة عن السرطان وأمراض القلب أكثر مما كان عندنا عن تقسيم الذرة فى سنة ١٩٣٩ ، فنحن من هذين البحثين الطبيين وأشباههما فى موقف أحسن من موقفنا من البحث الذرى عند ما بدأناه

* * *

اننا لنفخر اليوم بضخامة الانتاج فى الصناعات المختلفة كالسيارات والطائرات والآلات ، ونجعل لهما قيمة فوق قيمة الانسان نفسه ، ونحن ننفق ملايين الجنيهات على انشاء المصانع الهائلة . ولكننا نحسب حساب الدرهم عند ما نضع مشروع ميزانية لاجراء بحث علمى .. اننا نكفل للانسان امتلاك سيارة ، ولكننا لا نستطيع ان نكفل له الا يحرمه السرطان من متعة النزهة فيها ، ونحن نصنع له ساعة أنيقة نضعها فى صندوق من المعدن محكم . يقيهما الغبار أن يدخل الى عجلاتها وتروسها الدقيقة فتقف وتتعطل ولكننا لا نستطيع أن نضمن له أن لا تتعطل فيه الحياة ، بقطعة من الدم تتجمد فى دورته فتشله طويلا أو تقضى عليه وشيكا

ان فى العالم علماء كبارا على استعداد لوضع برامج واسعة النطاق للبحث العلمى ، ولكنهم ينتظرون المال المسعف ، وتنسيق الجهود ، ليكتشفوا أسباب السرطان وغيره من الأمراض الفتاكة . ولكننا حتى الآن غافلون عن انقاذ الحياة البشرية من أوجاعها ، بينما لا نضن بالأموال فى الحروب أو فى سبيل تقدم الصناعة

أفما آن للانسانية أن تنتبه من هذه الغفلة ، بعد أن رأت المثل الواضح فى اكتشاف الطاقة الذرية ؟

[عن مجلة « ويمنزهوم كومبانين »]

طلب الينا بعض القراء مناقشة هذا الموضوع فى ندوة الهلال . وقد رأت السيدة بنت الشاطىء أن يقتصر البحث فيه على الجنس اللطيف . . فدعونا ثلاثة من أديباتنا المعروفات .. واليك ما دار بينهن من حديث

يختلط الشباب من الجنسين؟

السيدة بنت الشاطىء ، الآنسة كريمة السعيد ، الآنسة زينب لبيب

السيدة بنت الشاطىء - آثرت ألا يشهد ممثلو الجنس الآخر هذه المناقشة ، لأن الرجال هم الذين قادوا حركة تحرير المرأة ووجهوها ، وهم مسئولون عما فيها من أخطاء ، وكذلك من لحق بهم من السيدات اللاتى اشتركن فى توجيه الحركة النسوية . .

الآنسة كريمة - انى أخالف الزميلة بنت الشاطىء فيما ذهبت اليه من ان الرجال هم أول قادة لحركة التحرير ، لانى أرى أن المجموعة الممتازة منهم ، التى تصدت للبدء بالاصلاح الاجتماعى فى فجر الجيل الحديث أول هذا القرن ، مدينة بتوجيهها هذا الى ذلك « الصالون » الادبى المشهور بقصر الاميرة نازلى ، ومنهم تلامذة السيد جمال الدين الافغانى كسعد زغلول وغيره من معاصريه . والدليل القاطع على أن شخصية الاميرة كان لها تأثير فعال فى تفكير هؤلاء الرجال الكبار وقلوبهم ، ان قاسم أمين لم يتجه الاتجاه المعروف عنه فى المطالبة بتحرير المرأة الا بعد أن تردد على قصر الاميرة ، وتذوق فى شخصيتها المرأة المتحررة بالمعنى السليم . ومن هنا بدأ الجنس الآخر يعرف أن تحرر المرأة هو الوسيلة الوحيدة للافادة من مواهبها وحسن استعدادها . ونحن - من غير شك - مدينات بشىء كثير للرجال الذين تولوا قيادة الحركة ، ولكنهم مدينون من جهة أخرى لاحداثنا بالفكرة السليمة والتوجيه الحسن

الآنسة زينب - أنا أميل الى رأى الآنسة كريمة السعيد ، وأرى انه لو لم يعمد الرجال الى اخراج المرأة من الجمود الذى كان يقيدها ، فانها كانت خليقة ان تخرج نفسها منه ،



من اليمين : السيدة بنت الشاطىء فالآنسة كريمة السعيد
فالآنسة زينب لبيب يتناقشن فى قاعة الاجتماعات بدار الهلال

وان هذا كان يحدث حتما ، مسايرة لروح العصر والتطور العام ، لانه لم يكن ممكنا ان تعيش مصر منعزلة عن التطور العالمى . وهؤلاء رجالنا تطورت آراؤهم وأفكارهم تبعا لذلك ، وما من شك فى ان هذا كله كان سيحدث أثره فى عقليات السيدات فلا يرضين لانفسهن الوضع الأول

السيدة بنت الشاطىء — ان المسألة ، فى نظرى ، تجاوزت حدود الكلام فيمن له فضل اخراج المرأة الى المجتمع ، فهذا شىء قد فات أوانه ، ولم يعد الكلام فيه مجديا ، الا أن يكون سطورا تضاف الى كتاب تاريخ الحركة النسوية . ولذلك أرى ان ينتقل البحث الى دائرة أخرى ، للنظر فى أخطاء التوجيه الحالى والسعى الى تسديده ، وارشاد الفتاة الجديدة الى الطريق السوى ، لتنتفع بتجاربنا نحن فتيات الطليعة اللواتى واجهن صدمات الانتقال الاولى

الآنسة كريمة — وأنا أوافق الزميلة بنت الشاطىء على أن الحديث فى بدء النهضة أمر مفروغ منه ، غير انها هى التى بدأت ذلك الحديث حين تعرضت للتاريخ ، وقررت ان الرجال هم الذين بدأوا هذا التوجيه فرأيت — باعتبارى من المشتغلات بالتاريخ — ان أصحح الوقائع

السيدة بنت الشاطىء — أشرت الى أن الرجال هم الذين قادوا الحركة ، ولن يستطيع التاريخ انكار ذلك، لأن الهام المرأة أو تشجيعها ، ليس هو الجانب العملي في المسألة . ونحن نرى وراء الرجال في كل حركة ، امرأة دافعة أو ملهمة ، ولكن هذا لا يبرئهم قط من أخطائها

الآنسة زينب — أما أنا فأومن بفائدة الاختلاط الكامل بين الجنسين في كل نواحي الحياة ، تعليمية كانت أو غير ذلك ، لاني اعتقد انه مهما يكن في ذلك من اخطاء ، فانها يجب أن تحتمل ، لان لكل تطور اخطاءه وضحاياه التي لا بد منها ، وأرى انه لو كانت هناك ناحية معينة تظهر فيها مضار الاختلاط ، فان حظره فيها لا يمنع الضرر ، لاتصال نواحي الحياة وتشابكها ، ولذلك ينبغي أن نعمد الى اصلاح الاخطاء بقدر ما نستطيع ، ولكن دون أن نحرم الاختلاط.

السيدة بنت الشاطىء — لا تزال المسألة في حاجة الى التحديد ، فالذي لاحظته ان الآنسة زينب تأخذ الموضوع جملة فتقرن بين دور السينما ودور العلم

والواقع ان مسألة الاختلاط يجب ان ينظر اليها من ناحية جدواها على المجتمع ، على الرجل والمرأة معا . ففي رأيي وبعد تجربتي ، أرى أن سفور المرأة الى حد الابتذال العاري واختلاطها بالرجل في كل مكان ، يحد من مكانة المرأة ومن العزة والحصانة اللتين تمتعت بهما أمهاتنا وجداتنا ، رغم حرمانهن مما نتمتع به من حرية وثقافة ونشاط .. وهو ما أحب ان نتمتع به كاملا ، مع الابقاء على أنوثتنا كاملة . ولا شيء يؤذي هذه الأنوثة مثل الاختلاط المطلق المباح لغير ضرورة ، وعن غير فهم

ان الرجل كان ينظر الى المرأة في شيء من الاحترام أكثر مما يفعل الآن .. وان الفروق بين الجنسين هي في نظر الفطرة أساس لسلامة المجتمع ، بمعنى أن سلامة أنوثة المرأة ورجولة الرجل قد تعرضت للاذى في حركتنا هذه ، فمنذ كثرت الخارجات منا والمحترفات لغير حاجة فردية أو اجتماعية ، وأبيحت رؤيتهن سافرات — بل عاريات — في كل مكان ولكل انسان ، ظهرت عقد خطرة في حياة الأنثى ، وحياة الرجل ، وحياة الأسرة . وعلى أية حال أجدني أكثر ميلا الى ترك هذه المسألة لظروفنا وبيئتنا ، وسيقول الزمن فيها كلمته ، رضينا أم كرهنا . وانما الذي أطلبه هو ان نقدر أن الاختلاط ليس مطلبا ولا غاية ، وانما هو ضرورة وحاجة .. فعلى قدرهما يجب أن يهيأ المجتمع لاستقبال الفتاة الجديدة حين تخرجها اليه أسباب عملية صحيحة ، والا كان اخراجها ابتذالا لها

الآنسة كريمة — لا شك في أن الاختلاط لا ينبغي أن يفقدنا شخصيتنا الشرقية ، ولكن الذي تحدثت عنه السيدة بنت الشاطىء هو ابتذال الاختلاط ، لا الاختلاط نفسه . ولا أعتقد ان الآنسة زينب تدافع عن ابتذال الاختلاط ، فأنا أوافق السيدة بنت الشاطىء كل الموافقة على ضرورة الاهتمام بحسن اختيار الأوساط التي ترتادها بناتنا ، ولكن حسن الاختيار هذا واجب حتى في الأوساط النسوية البحتة ، وليس في الأوساط المختلطة فقط

السيدة بنت الشاطىء — ما أدق الفرق بين الاختلاط وابتذال الاختلاط! وما أصعب مهمة تهيئة البيئة التي نتحدث عنها في الأوساط المختلفة !.

الآنسة كريمة — ثم كيف يهيأ المجتمع لحسن استقبال الفتيات الا اذا حدث الاختلاط فعلا ؟! ان مثل هذا الرأي كمثل الطفل تمنعه المشي حتى يجيد المشي ، وهو لا يجيده الا اذا مشى وتعثر وحاول ! وأنا أومن بتقاليدنا الاسلامية الشرقية، وبالمبادىء التي رسمتها لنا شرقيتنا ، من التقيد بالحدود الخلقية ، واذن فلنتجه تدريجا نحو الاختلاط ، ونحن مقيدات بهذه المثل العليا ، وخير الأمور الوسط..

قالت السيدة بنت الشاطىء : ان امهاتنا وجداتنا كن يحظين من احترام الرجال بأكثر مما نتمتع به نحن الآن .

والواقع انهن كن موضع عطف الرجال ، واظن ان هناك فرقا ولو يسيرا بين الاحترام والعطف ، واني مؤمنة بأن احترام الرجل — في الوقت الحاضر — للمرأة التي اختلطت به مع المحافظة على مثلها العليا، يزيد اضعافا عن احترامه لاية امرأة من الجيل السابق ، واذا نحن قلنا ذلك ، فنحن أبعد ما نكون عن فكرة الابتذال ، لان المرأة اذا ابتذلت فقدت الخصائص المقومة لشخصيتها

الآنسة زينب — فهمت من حديث السيدة بنت الشاطىء انها غير راضية عن الاختلاط في وضعه الحاضر ، فهل أفهم من ذلك أنها غير راضية عنه في جملته أو في نواح معينة منه .. فاذا كانت تكره الاختلاط في بعض نواحيه، فأرجو أن تبينها لنا ، لنرى اذا كان من الميسور تقييد الاختلاط فيها مع اطلاقه في النواحي الاخرى.؟..

السيدة بنت الشاطىء — أرجو أن يفهم عني انني صدقت بادىء الأمر ما قيل عن فائدة الاختلاط .. واستجبت للدعوة ، فجئت من قريتي محجبة ، ودخلت الجامعة سافرة . وقد لحظت فعلا أن الطلبة يتهيبون في حضرتنا — نحن معشر الطالبات — الافحاش في القول والتبذل في الحديث، كما لحظت أنهم يتأنقون نوعا في

أربابهم . وأظن . ان وجودنا فى الوسط الجامعى كان من أقوى الدوافع والحوافز لجد الطلبة فى دروسهم . حرصا منهم على ألا تسبقهم الفتيات . ولكنى عدت فشعرت بأن مسألة الاختلاط ، ككل مسائل حركة التحرير النسوية الحديثة ، لم تقض بها فكرة ذات هدف عن النهضة ، ولا حاجة حياتنا . بل هى تقليد مرتجل لحياة غير حياتنا ، وفهم خاطىء لمعنى التطور والتحرر والنهوض . ويجب ان يفهم عنى أنى لا أدعو الى رجعة الى الوراء ، فذلك ما يأباه علينا الزمن ، والواقع ، وانما أنادى بأن الحركة أسىء فهمها وأسىء توجيهها ولو تركت تسير استجابة للظروف ، وتلبية لدواعى حياتنا ، لما كان هناك ما ينكر أو يخشى . ونحن نرى الكثرة من المصريات ، سافرات فى الريف ، يعملن مع الرجال جنبا الى جنب ، فلا تنكرهن عين ، ولا يجرحهن لسان ، ولا يقول قائل ان سفورهن أو اختلاطهن ، نهضة وحرية

واليكن مثالا - لعل الآنسة زينب رأت مثله كثيرا ، أما الآنسة كريمة فقد مارست التعليم الجامعى فى أوربا فأعفيت من هذا المثل - : فتحوا لنا أبواب الجامعة ، ولكنهم أرادونا فى داخل الجامعة «حريما» بمعناه الكامل ، ففرضت علينا رقابة صارمة ، تحد من أزيائنا ، وترسم لنا طرز ثيابنا وقبعاتنا ، وجعلوا للطالبات غرفة خاصة لا يجوز لاحداهن أن ترى خارجها فى غير ساعات الدرس ، فهى تلام اذا رؤيت فى ابهاء الكلية وطرقاتها ، وعليها ان تبرر سبب وجودها فى غير غرفة الطالبات . وفى غرفة الدرس نفسها فى مدرج المحاضرات كان لا يؤذن لنا بالجلوس مع الطلبة

ثم كانت تجارب أليمة تعرضت فيها كرامة زميلات لنا للتجريح ، حين سئلنا : لم تكلمين هذا الطالب ؟ ولم تسرفين فى التردد على هذا الاستاذ ؟ ولم .. ولم ... ؟ هنالك آمنت بأن الرجال الذين قادوا هذه الحركة لم يكونوا متسقين مع أنفسهم . فقد كان هذا كله يفهم ويحبذ فى دائرة غير دائرة الجامعة التى فتحت أبوابها ودعت الفتيات الى دخولها .. ابسط لكن هذا المثل الآن لاكشف عن أن التشبث بالاختلاط لم يكن لما قضت به الحياة عندنا ، بل كان تقليدا لم تحتجه الحياة العلمية . ولا قضت به فكرة مبحوثة عن اعداد الأنثى . وانما دعت اليه الرغبة فى المحاكاة قبل ان نتهيأ للأمر ، فلتنتفع الفتاة الناشئة بتجربة السابقات من فتيات الجامعة . لكيلا تسىء فهم الاختلاط . فتظن انه علامة نهوض ومقياس تحرر ، ولكى تلتمس اختلاطا مهذبا حريصا ، بقدر ما تقضى به حياتها . ولا بأس عليها فى هذا الجو الراشد الكريم من اباحة الاختلاط

فى الحد الذى تضعه هى نفسها ، متأثرة بشخصيتها وظروفها وبيئتها وتوجيه الراشدين من أول الأمر ، وبتجربة من سبقتها من فتيات الطليعة

الآنسة كريمة — يسرني جداً أن أرى السيدة بنت الشاطىء قد اعتنقت مبدأنا بالتدريج ، وصرنا جميعاً نرى اباحة الاختلاط السليم .. وما نادى أحد فى الحاضر أو الماضى ، فى الشرق أو الغرب ، فى البلاد الرجعية أو المؤيدة للديموقراطية ، بان تجعل اللهو والعبث ميدانا للاختلاط بين الجنسين ، وهذا — بلا شك — أمر مفروغ منه ، لم يقل به أحد ، ولن يبشر به أحد قط . فالاختلاط يتيسر بالتسلية البريئة فى البيوت الشريفة المحترمة ، وفى الاندية الراقية ، وفى دور العلم ، كما قالت السيدة بنت الشاطىء ، وفى كل هذه الحالات — كما اعترفت هى أيضا — يكون وجود الجنسين معا ، عنصرا مهذبا ومقيدا لسوء التصرف ، لقد شكت الزميلةمن تعثر الجامعة فى طريقها الى الاختلاط ، مع ان شيئا من سعة الصدر ، يرينا ان الجامعة كانت أول من أباح الاختلاط فكان واجبا عليها التدرج فيه .. فضلا عن أن هذه مرحلة كان لا بد من اجتيازها بعيوبها ومميزاتها ، وقد أدت الى مرحلة أخرى أكثر انطباقا على مقتضيات العقل السليم والخلق المهذب .. ونحن الآن نرى الطلبة والطالبات فى صعيد واحد . فى الرياضة والسمر والمحاضرات العامة خارج الجامعة وفى المناظرات ، وقد زال عن الجميع الحرج الاول بطبيعةالحال . لأن الجيل الذى سبقهم تحمل صعوبة البداية، وقد كانت البداية صعبة حتى فى انجلترا فى أيام الملكة فيكتوريا ، وحتى فى باريس التى يتوهمها الناس متطرفة فى الاختلاط ، واذا كان المجتمع قد أباح للفتيات أن يخرجن من عزلتهن فيدرسن الادب أو الحقوق مع الشبان، فلا ريب فى انه من واجب هذا المجتمع أن يتحمل ما قد يكون من سخافات تحدث لاول وهلة، كى يصل الى الكمال تدريجا . ولو اننا جئنا بأول فتاة والقينا بها الى معمعة الجامعة وتركناها تتصرف كما تشاء ، لتمنت أن تكون هناك قيود وحدود تهديها فى طريقها الجديد ..

السيدةبنت الشاطىء — قلت وأقول، ان الحديث عن اباحة الاختلاط أو عدمه ، أمر لا معنى له الآن بعد ما صار واقعا لا ريب فيه ولا رجوع عنه، وانما نسجل ما لقينا كى تنتفع به بناتنا من بعدنا

الآنسة زينب — انى اتفق مع السيدة بنت الشاطىء فيما تحدثت به عن تناقض موقف الجامعة ، حين فتحت أبوابها للفتيات ثم حدت من حريتهن بين جدرانها ، وأنا وكثير من زميلاتى

عانينا الكثير من ذلك . وطالما ثرت على هذه الحدود وتمردت على تلك القيود. واعتقد أن مجرد وجودنا بين زملائنا الطلبة وشعورنا بشخصياتنا واستقلالنا، كل ذلك كان يدفعنا الى الثورة على هذه القيود ، وقد استطعنا ان نتخلص من الكثير منها . وأرجو الا يغيب عن ذهن زميلتي اننا كنا الدفعات الاولى في الجامعة . فكان لا بد لنا أن ندفع ثمن الحرية ، عن زميلاتنا اللاحقات . هذا من ناحية الجامعة . أما الاختلاط من حيث فائدته للمجتمع ، فأنا أرى أن فائدته كبيرة جدا ، اذ يؤالف بين شطرى المجتمع، ويقرب بين افكارهما، فيستطيع كل من الجنسين أن يتفهم روح الآخر وعقليته، فيصبح المواطنون جميعا كتلة ذات انسجام وتوافق ، تسعى الى هدف واحد . يدفعها اليه تقارب روحي متين

الآنسة كريمة — الذى ذكرته الآنسة زينب من ثورة بعض الفتيات ذوات النفوس الأبية على ما وجدنه من قيود في الجامعة، هو العملية الطبيعية للنشوء والارتقاء الاجتماعي ، وهذه القيود تتراخى بالتدريج تبعا لنضوج الفتيات واستحقاقهن لقسط أوفر من الحرية

السيدة بنت الشاطىء — مازلت أكرر أولا وآخرا ان موضوع اليوم ، من الموضوعات التي يأخذ الزمن مكان الحكم الأول فيها ، وعلينا نحن أن نخضع لحكم الزمن ، ونواميس الاجتماع، والا تخلفنا عن ركب الحياة. فلندع المسألة اذن تأخذ مجراها. ولنترك أمام الجيل اللاحق من الفتيات تجاربنا وآثار الصدمات الاولى التي تلقيناها، وبحسبي ان أقول اهن ان المسألة مسألة النهضة الحقة، والرقي الصحيح، والاستجابة المرنة لدواعي التطور ، وليست مسألة وضع بعينه ولا هي الاختلاط يطلب لذاته .. والمسألة تحتاج قبل كل شيء الى تهذيب اجتماعي عام ، والى نظر سليم في تربية الأبناء والبنات ، والى خلق شعور كريم في كل جنس نحو الجنس الآخر ، يرسم لهما مدى الاختلاط ، بحيث تتحقق في هذه الدائرة المرسومة سلامة الأنثى ، وتصان كرامتها ..

الآنسة كريمة — ان ما نحن فيه الآن لا بأس به ، وأرجو الله أن يمتد خطواتنا جميعا ، نساء ورجالا ، حتى تصل الأمة مجتمعة الى ما تنشد من رقي ، وما تسعى اليه من آمال ..

السيدة بنت الشاطىء — ان الرضاء بما نحن فيه ، هو وحده بأس وأي بأس! لأنه يخمد فينا الرغبة الحافزة المتطلعة الى حياة أصح وأسلم وأرقى مما نحن فيها . فاذا كانت منا من ترضى عن وضعنا الحالي ، فلتكن فينا أخرى تدعو الى خير منه !

الحاسة السادسة

الحواس خمس : النظر ، والشم ، واللمس ، والسمع ، والذوق .. ولكن طائفة من العلماء يقولون – اليوم – بوجود حاسة سادسة . لم يتمكنوا بعد من الكشف عن حقيقتها فهل توفق قريباً الى اكتشافها ؟

كان القطار يجتاز المسافة بين لندن ونيوكاسل ، بسرعة مائة كيلو متر في الساعة ، وكان مفتش القطار ، واسمه لورنس ، يطوف بالمركبات ذهابا وايابا ، وفي احدى طوفاته هذه ، وصل الى مركبة معينة في منتصف القطار ، فشعر بقوة داخلية تمنعه عن السير ، وخيل اليه ان صوتا يهيب به قائلا : « قف ولا تتقدم خطوة أخرى ولا تنتقل الى المركبة التالية » فوقف لورنس في مكانه . وبعد ثوان معدودة ، خرج القطار عن الخط ، وانفصلت مركباته الاولى عنه وتحطمت ، ومات جميع الذين فيها ، ولم يصب لورنس بأذى لأن المركبة التي وقف فيها لم تخرج عن الخط ، اذ انشطر القطار شطرين ابتداء من المركبة التي قبلها

فهل هناك حاسة سادسة نبهت المفتش لورنس الى الخطر الذي كان يهدد القطار ؟ حاسة تشبه السمع والشم والبصر ؟ ان أنصار علم النفس واستحضار الأرواح يؤكدون هذا ، ولكن غيرهم من العلماء ينكرونه . ونحن نسوق هنا بعض الأمثلة ، لا للدلالة على صحة هذا أو ذاك من الرأيين ، بل على سبيل الاستشهاد فقط ، وعلى القارىء ان يستخلص منها الرأي الذي يريد

•

ان الانسان محوط بعدد لا يحصى من التموجات والاهتزازات ، يؤثر بعضها في حواسه الخمس المعروفة ، ولا يحدث البعض الآخر أثرا في تلك الحواس ، ولكن وجود هذه الاهتزازات والتموجات الاثيرية شيء واقع لا يمكن نكرانه بحجة انه لا يحدث فينا أثرا . وهذا ما حمل بعض العلماء على الاعتقاد بأن هناك أشخاصا يساعد تكوين أجسامهم على التقاط تلك الاهتزازات والتموجات الأثيرية بوساطة حاسة لم تعرف حتى الآن ، ويسميها فريق من العلماء باسم « الحاسة السادسة »

كثيرا ما يتحدث الناس عن أحلام تتحقق ، أو عن توارد الخواطر ، أو عن ذلك النوع من الرؤى التي يخيل

فيها للانسان انه يحلم وهو فى حالة يقظة ، فيرى أمامه شبح رجل يموت أو جماعة تفنى ، ثم يتضح ان الرجل قد مات فى الواقع ، وان الجماعة قد فنيت ، ولكن فى مكان بعيد عن مكان الرؤيا

كان صديقان يعملان معا فى مكتب واحد ، فمرض أحدهما وغاب عن عمله بضعة أيام . وفى ذات مساء ، كان صديقه مستلقيا على مقعد ، فارتعش ، وخيل اليه انه يرى المريض أمامه فى ثياب سوداء ، وانه سقط على الارض ميتا . فنادى زوجته ، وسألها عن الساعة . وفى اليوم التالى ، علم ان صديقه المريض قد فارق الحياة فعلا ، فى الساعة نفسها التى رآه فيها يسقط على الأرض متشحا السواد

وحلمت امرأة فى لندن انها ترى مركبة تقودها فتاتان . وقد وقف الحصان الذى يجر المركبة ليشرب من نهر صغير . ثم غاص الحصان بالمركبة ومن فيها فى النهر . وفى اليوم التالى تلقى زوج المرأة خبرا بأن أختيه هلكتا على هذا النحو ، فى بلد بعيد

●

ويروى الاستاذ ريشيه الفرنسى انه حان يعمل بمنزله ، بعد ان ذهبت زوجته وابنته الى مسرح الاوبرا . وفى منتصف الساعة الثانية عشرة ، انتابه شعور غريب بأن المسرح يحترق . وعندما عادت الزوجة وابنتها بعد ذلك بنصف ساعة ، أخبرتاه ان النار قد شبت فعلا فى المسرح ، وان رجال المطافىء تغلبوا عليها . ومما يزيد هذا الحادث غرابة ، ان أخت الأستاذ ريشيه ، التى تسكن فى بيت مجاور لبيته ، شعرت بما شعر به ، فى اللحظة نفسها . فهل هذا مجرد مصادفة ؟

لقد أصبح التنويم المغناطيسى من العلوم المألوفة الشائعة ، يمارسه أناس لا يشترط فيهم ان يكونوا على جانب عظيم من الذكاء والخبرة وسعة العلم . ولكن الاعمال التى يقومون بها سلبا أو ايجابا ، تدعو الى الدهشة وتستحق التفكير فيما يسمونه الحاسة السادسة . ثم ان هناك أشخاصا يمتازون بشدة الاحساس ، وحدة الشعور ، الى حد يستطيعون معه ان يفعلوا ما يفعله شخص تحت تأثير التنويم المغناطيسى . أو بعبارة أخرى ، هناك أشخاص يستشفون الغيب وهم ايقاظ . فاذا وضعت مثلا ورقة مكتوبة داخل غلاف ، فان أولئك الاشخاص يتفرسون فى الغلاف ويقرأون ما سطر فى الورقة الموضوعة فى داخله ، وهم فى حالة صحو تام . وقد حدث مرة ان وضعت صورة باطارها داخل غلاف سميك ، فوصف شخص من ذوى الحاسة الحادة الصورة واطارها وصفا دقيقا عجيبا . وسئل آخر عن أرقام التليفون الخاصة بأفراد مختلفين.

فكان يذكرها بسرعة وبدون خطأ . وقد يقول قائل ان هذا هو « توارد الأفكار » والجواب على هذا القول : انه ربما كان توارد الأفكار مبعثه تلك الحاسة السادسة التى نبحث عنها ؟

●

وضعت ساعة فى يد امرأة اشتهرت بأنها عرافة تقرأ الغيب .. وسئلت المرأة عما تشعر به تجاه تلك الساعة، فقالت : « انني أرى عليها لطخا من الدم . وهذه الساعة قد انتقلت من يد الى يد خلال ثلاثة أجيال ! » وكان هذا صحيحا . فان الساعة القديمة كانت ملكا لجندى قتل فى الميدان

ولو لاحظ كل منا ما يدور حوله، وتنبه الى الحوادث اليومية التافهة التى تقع فى محيطه ، لأدرك ان عدد الأشخاص المتازين بحدة الشعور ، وقوة الاحساس ، كبير جدا

ألا يحدث مثلا أن يشعر انسان بأن صديقا له قادم لزيارته ، ثم لا تمر دقائق حتى يصل ذلك الصديق بدون أن يكون قد أنبأ بزيارته ؟

ألا يحدث ان يذكر اسم شخص فى مجلس من المجالس ، بدون ما يدعو الى ذلك ، ثم يدخل ذلك الشخص على الجالسين ، فيصيحون جميعا : « كنا نتحدث عنك » ؟

لماذا لا تكون هذه الأمثال مبعثها الحاسة السادسة المجهولة ؟

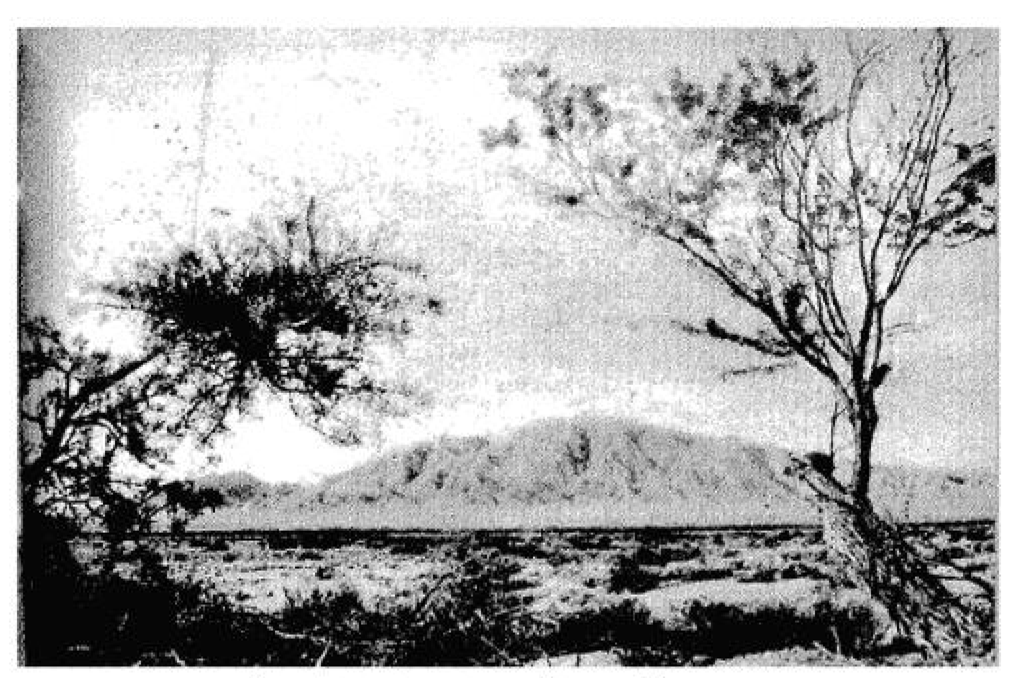
لقد خالف كثيرون من العلماء زملاءهم المنصرفين الى درس « استحضار الأرواح » ، ولكن بعضهم انتهى به الأمر الى الانضمام اليهم فى مباحثهم، ثم أصبحوا أشد منهم حماسة لذلك العلم الغامض ، كبوزانو ، وصايرس ، وأوليفر لودج وغيرهم

ان البحوث الخاصة بكشف النقاب عن الحاسة السادسة ، ومعرفة كنهها، ووصفها ، قد استغرقت وقتا طويلا ، ونشاطا عظيما ، من لفيف كبير من علماء بريطانيا العظمى . ويؤكد بعضهم ان المسافة لا أهمية لها فى منع الانسان من الرؤية والسمع والشم

وقد دون العلماء الاخصائيون حوادث غريبة لا تقع تحت حصر ، بينها ان أشخاصا يدركون عند ما يتلقون خطابا ، ممن أرسل ذلك الخطاب ، وماذا يحوى فى داخله. كذلك المدير الذى دخلت عليه الفتاة العاملة على الآلة الكاتبة ، وبيدها ظرف مغلق فقال بدون ان يلتفت اليها : « انك تحملين غلافا فيه رسالة كتبت على ورقة زرقاء ومعها خرائط ! » وكان هذا صحيحا

كل تلك الأمثال تدعو الى الاهتمام وتفتح أمام الباحثين آفاقا جديدة . وقد يجىء يوم يثبت فيه العلماء بالادلة القاطعة وجود الحاسة السادسة فى الانسان ويوفرون له سبل الافادة منها

[عن مجلة « توارادى بلان »]



هذه الصورة تعطى القارىء فكرة عن الأحراش الصحراوية والجبال المحيطة بمصيف « لاس فيجاس » الذى اختاره نجوم هوليوود مصيفاً لهم بعيداً عن صخب العمران

هذه الاسماء اللامعة التى تحب اصحابها ، وتعجب بهم ، وتتابع باهتمام افلامهم وحياتهم وأنباء زواجهم وطلاقهم ، من أمثال وممثلات : وليام باول ، وسبنسر تراسى ، ورونالد كولمان ، وانجريد برجمان ، وزيتا هيوارت .. أين يقضون اجازاتهم ؟

يقضونها فى مدينة «لوس انجلوس» ففيها يجد السائح صيفا وشتاء كل ما يتوق اليه من متع ومباهج : شاطىء من أجمل شواطىء العالم ، وبحيرات تتجلى فيها روعة الطبيعة الساحرة ، وجبال تطاول السحب ، ومساحات شاسعة من حقول البرتقال والكروم وبالاختصار فهى جنة !

ولكن هل يقنع سكان الجنة بالبقاء فيها على الدوام ؟ ان سكان لوس انجلوس ، عروس المحيط الهادى ، لا يقبعون بين احضانها فى فترات اجازاتهم اذ يبحثون عن وجهة أخرى لتغيير الهواء ، أبعد ما تكون عن مدينتهم .. وهذا ما فعلوه حين اختاروا لانفسهم واحة « لاس فيجاس » الفيحاء ، الواقعة فى قلب صحراء « نيفادا »



أحد فنادق «لاس فيجاس» وأمامه حوض السباحة الخاص به، وقد صفت للقاعد المريحة فوق قواعد متداخلة فى الماء فبدت كالقوارب تتأهب للانطلاق براكبيها فى الحوض

فاذا أردت ان ترى نجوم هوليوود وتخالطهم ، فلا تذهب الى هوليوود ، بل الى « لاس فيجاس » .. انها بلدة صغيرة ، لا يزيد عدد سكانها عن ۲۳ ألفا ، بها ستة فنادق فاخرة،وعشرات من الفنادق المتوسطة و «البنسيونات»

و « لاس فيجاس » تجمع بين الهدوء واسباب التسلية ، ففى كل فندق حوض للسباحة وحلبة للعب التنس والجولف، وكباريه ، وكازينو للقمار ، الذى يغرم به أهالى هوليوود غراما كبيرا .. ثم هناك الصحراء الشاسعة ، أفسح مجال لعشاق رياضة ركوب الخيل .. وبحيرة « ميد »

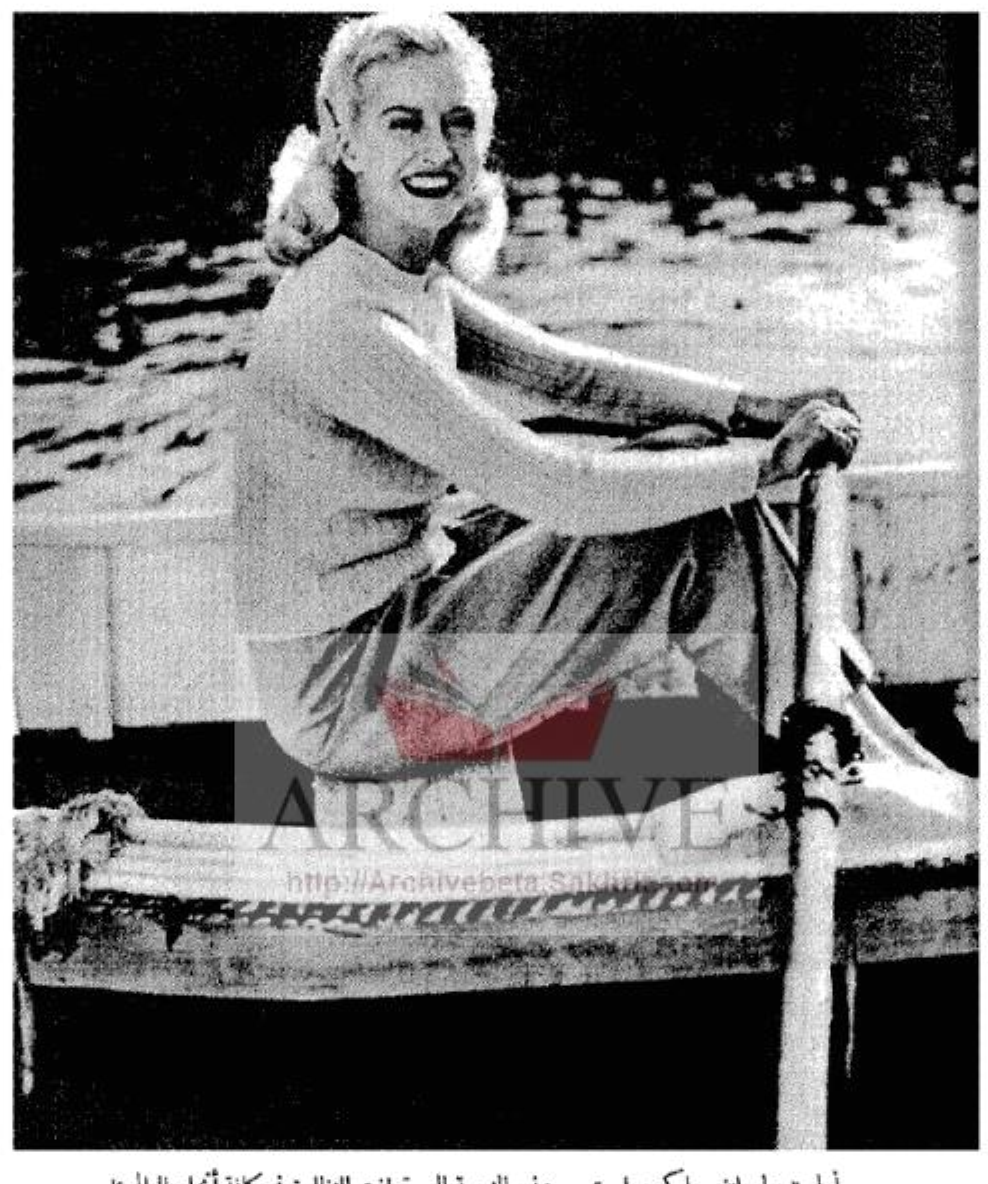
حيث يجد عشاق صيد السمك صيدا لا ينتهى .. ثم الشواطىء الجميلة ، حيث القوارب الشراعية والبخارية تنتظر الراغبين فى نزهة بحرية .. أما الذين يفضلون ركوب الهواء فأمامهم مطار خاص للهواة

وفى « لاس فيجاس » تتجرد كواكب هوليوود من كل مظاهر حياتهن البراقة ، ويطلقن اكثر الكماليات ، فيخرجن فى الغالب دون تزين بالبودرة والاحمر وشتى ألوان الطلاء والماكياج .. بل لا يرتدين سوى ابسط الثياب « السبور » ..

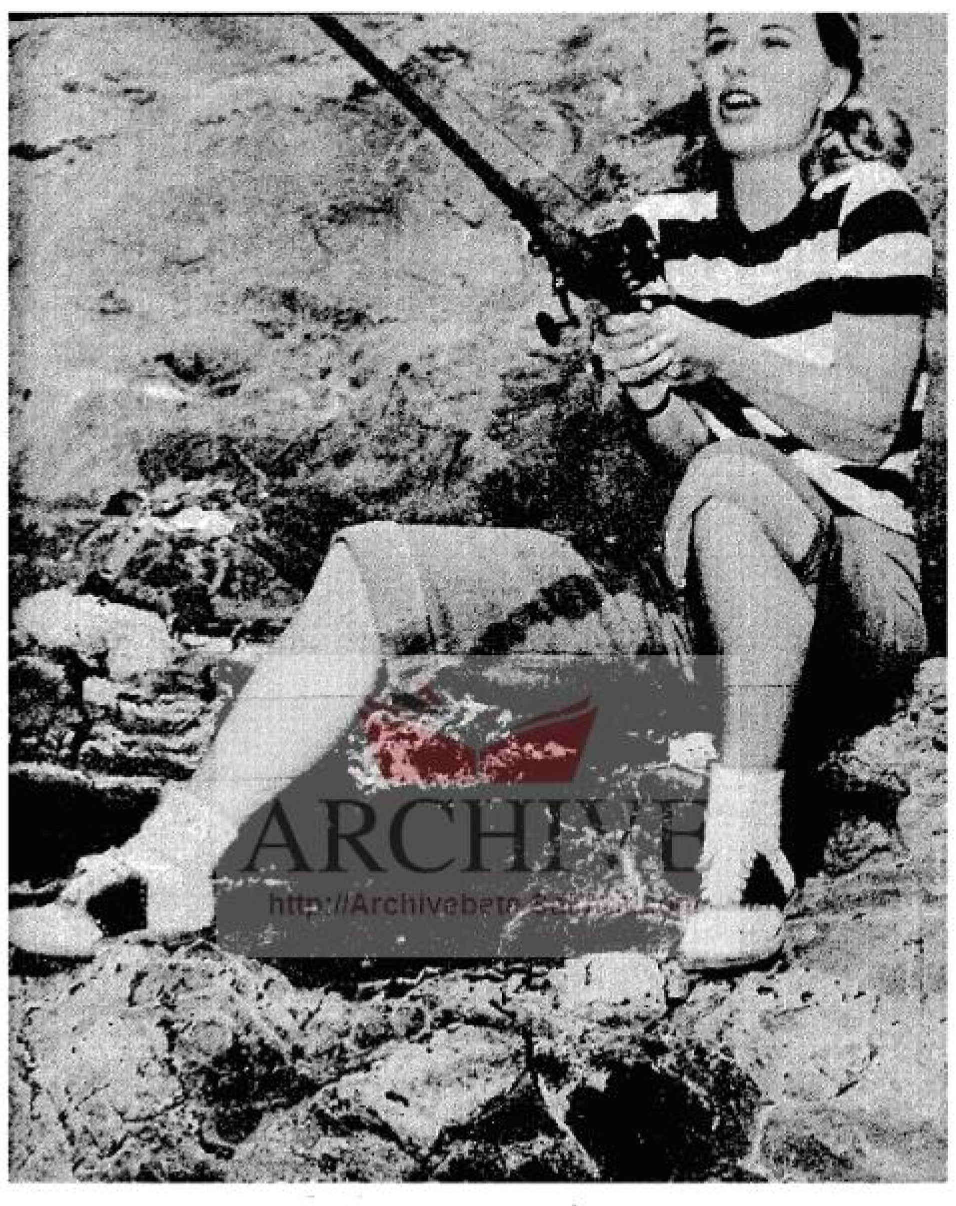
[مراسلنا فى هوليود]



فى جذل وانطلاق رفعت « كاترين جريسون » رأسها تستقبل الهواء والشمس ، تاركة شعرها المرسل يتماوج على كتفيها ، وهى تمخر العباب بزورقها البخارى ، وتفكر . . فى حاضرها الذى فاق أحلام ماضيها ! لقد حلمت وهى بعد طفلة فى « روضة الأطفال » بأن تصير مغنيـة ، فصارت بفضل المثابرة والجد ، مغنية وممثلة تفخر بها هوليوود



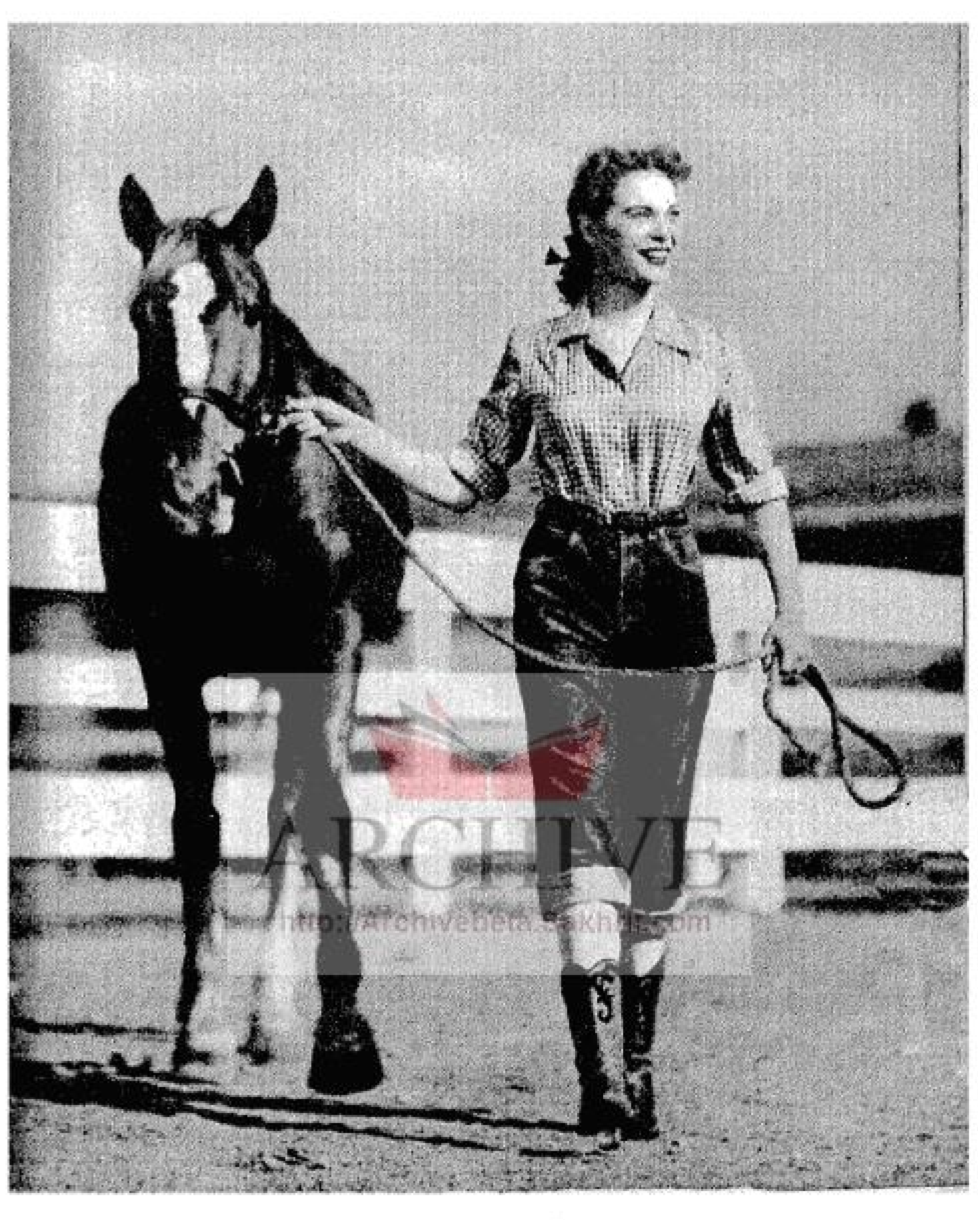
أما « ماريلين ماكسويل » ـ هذه النجمة التي يتهافت النظارة في كافة أنحاء العالم على مشاهدتها ـ فهي أقل رفاهية ونعومة ، وأكثر نشاطاً وحيوية من كاترين جريسون. ومن ثم استعاضت عن القارب البخاري بالقارب ذي المجدافين ، كي تقضي فيه أبهج الأوقات وجدة بين الماء والسماء ، بعيدة عن الشاشة ومضايقاتها ، وهوليوود وضجيجها!



.. بينما آثرت «بربارة بل جديس» ان تداعب الماء – فراراً من قيظ الصيف وعناء العمل الرتيب – ولكن من بعيد، من شاطىء الأمان. لقد اكتفت من رياضات الماء بأقلها خطراً، بالصيد بسنارتها الميكانيكية فى جو هادىء، من فوق صخرة عالية. لكن الصورة حجبت عنا طرف السنارة، فلم نر صيدها، وهل هو من السمك. أم من الناس؟



أما النجمة الشقراء « جين البسون » ، فقد شاء لها شيطانها أن تنشط عضلاتها برياضة شاقة ، فشمرت عن « ساعد الجد » وانحنت على أرض السفينة تكنسها وتمسحها بالماء ، كأية خادم نشيطة ! وان كان من الغريب أن تحتفظ رغم ذلك بحذائها و « جردلها » نظيفين من غير سوء . انها تجد فى التحرر من قيود العمل فى عالم السينما لذة ومتعة فائقتين



من يصدق ان هذه الفارسة الباسلة لم تتجاوز بعد التاسعة عشرة ، انها « جانيت لى » التى كانت حتى الصيف الماضى تلميذة نجيبة . ثم اكتشفتها نجمة السينما المعروفة « نورما شيرر » فقدمتها الى شركة مترو جولدوين ماير ، فجعلت منها نجمة بين يوم وليلة . وهى هنا تمارس رياضتها المفضلة ، وقد ارتدت ثياب رعاة البقر وسارت « كالمسترجلة » !

مرفهات أشعبية !

عاش أشعب فى أواخر عهد الدولة الاموية وأوائل عهد الدولة العباسية . وبرغم أنه مشهور بالطمع حتى قيل «لا تكن أشعب فتتعب» فان الأمراء كانوا يدعونه الى موائدهم ليستمتعوا بفكاهاته .. وهذه مجموعة طريفة من نوادره

ذكاء الصبي

جلس أشعب وهو صبى مع قوم يأكلون .. فبكى ، فسألوه :

ـ مالك تبكى ؟

فقال :

ـ الطعام ساخن

فقالوا :

ـ فدعه حتى يبرد

فقال :

ـ انتم لا تدعونه !

عطية الملوك

وحدث مرة ، وهو صبى أيضا ، أن كان والى الحجاز سائرا فى الطريق فسأله :

ـ هل تعرف القراءة يا غلام ؟

فقال :

ـ نعم

فسأله أن يقول شيئا ، فقال :

ـ انا فتحنا لك فتحا مبينا

فسر الأمير من هذا الجواب واعطاه دينارا .. فرفض أشعب أن يقبل الدينار ، فسأله الأمير عن سبب رفضه ، فقال أشعب :

ـ أخاف أن يضربنى أبى ..

فقال الأمير :

ـ قل له ان الامير هو الذى أعطاك الدينار ..

فقال أشعب :

ـ انه لن يصدقنى ..

ـ ولماذا ؟

فسكت الغلام لحظة ثم قال :

ـ لان هذه ليست عطية الملوك ..

نعم الزوجة

وأراد أشعب أن يتزوج امرأة .. فذهب اليها وقال :

ـ انى سيء الخلق .

فقالت :

ـ أسوأ منك خلقا من أحوجك أن تكون سيئه

وهنا صاح أشعب :

ـ أنت اذن امرأتى ..

جواب مفحم

وحضر أشعب مرة مائدة بعض الامراء ، فقدم للآكلين جدى مشوى ، فجعل أشعب يسرع فى أكله منه ، فقال له الامير :

ـ أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك ..

فقال أشعب :

ـ أراك تشفق عليه كأن أمه ارضعتك !

ومات

وكان أشعب جالسا مرة يقص على احد الامراء قصصا مسلية ، وجاء أوان الطعام فحضرت المائدة .. وكان أشعب قد بدأ بقص حكاية جديدة فقال :

ـ كان أيها الامير ، رجل ..

فلما أبصر المائدة قد حضرت علم أن القصة ستلهيه عن الطعام نظرا لطولها ، فسكت ، فقال له الامير :

ـ وماذا يا أشعب

فقال :

ـ ومات !

فى سورة المائدة

أم أشعب يوما قوما .. وكانوا يطعمونه الخبز والمخلل ولا يزيدون عليه .. فصلى بهم يوما الصبح فقرأ فى الركعة الاولى بعد الفاتحة :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تطعموا أئمتكم كامخا بل لحما .. فان لم تجدوا لحما فشحما .. فان لم تجدوا شحما فبيضا .. فان لم تجدوا بيضا فسمكا .. فان لم تجدوا سمكا فلبنا .. ومن لم يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا »

وقرأ فى الركعة الثانية بعد الفاتحة :

« يا أيها الذين آمنوا اطبخوا سكباجا ولا تحمضوه تحميضا ومن يفعل ذلك فقد افترى اثما عظيما .. »

فلما فرغ من صلاته جاءوه واعتذروا اليه من التقصير فى حقه بأنهم لم يكونوا علموا أن الله أنزل فى ذلك قرآنا .. وسألوه فى أى سورة هذه الآيات ؟

فقال :

ـ فى سورة المائدة !

لماذا لا يدعوه ؟

وسأل اشعب صديقا له بخيلا :

ـ لماذا لاتدعونى أبدا الى طعامك ؟

فقال الرجل :

ـ لانك شديد المضغ .. سريع البلع .. اذا أكلت لقمة هيأت لك أخرى

فصاح أشعب به :

ـ جعلت فداك .. تريد اذا أكلت لقمة أصلى ركعتين ثم أعود الى مابعدها !

زهد

كان أشعب يحمل بيضة يوما فلقيه ابنه فقال له :

ــ يا أبت .. اعطنى هذه البيضة

فنهره والده بقوله :

ــ ليست تسعها يداك

مساومة

ساوم أشعب رجلا بقوس فقال :

ــ أقل ثمن لها دينار

فقال اشعب :

ــ والله لو انك رميت بها طائرا فى السماء فوقع مشويا بين رغيفين ما اشتريتها منك بدينار أبدا .

حاجتان

سأل رجل أشعبأن يقرضهويؤخره فقال :

ــ هاتان حاجتان .. فاذا قضيت لك احداهما فقد انصفت

قال الرجل :

ــ رضيت ..

فقال أشعب :

ــ أؤخرك ما شئت ولا أقرضك !

حجج قوية

قال أحد الامراء مرة لأشعب :

ــ مــاذا تقــول فى الفــالــوذج واللوزينج .. أيهما أطيب ؟

فقال :

ــ يا مولاى لا أقضى بين غائبين

فضحك الامير وأمر باحضارهما فجعل أشعب يأكل من هذا لقمة ومن ذاك أخرى حتى قضى عليهما .. قال :

ــ يا مولاى .. ما رأيت خصمين أجدل منهما .. كلما أردت أن أقضى لاحدهما أدلى الآخر بحجته !

فسارها ارجع

ونزل أشعب عند رجل يوما ، فقدم له الرجل أربعــة أرغفــة .. وذهب ليحضر له لحما فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز ، فذهب وأتى بخبز فوجده قد أكل اللحم ، ففعل معه ذلك عشر مرات .. فسأله الرجل :

ــ أين مقصدك ؟..

ــ الى الشام ..

ــ ولماذا ؟

ــ بلغنى أن بها طبيبا حاذقا لاسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام

فقال له الرجل :

ــ ان لى اليك حاجة ..

قال أشعب :

ــ وما هى ؟

قال الرجل :

ــ اذا ذهبت واصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من هنا

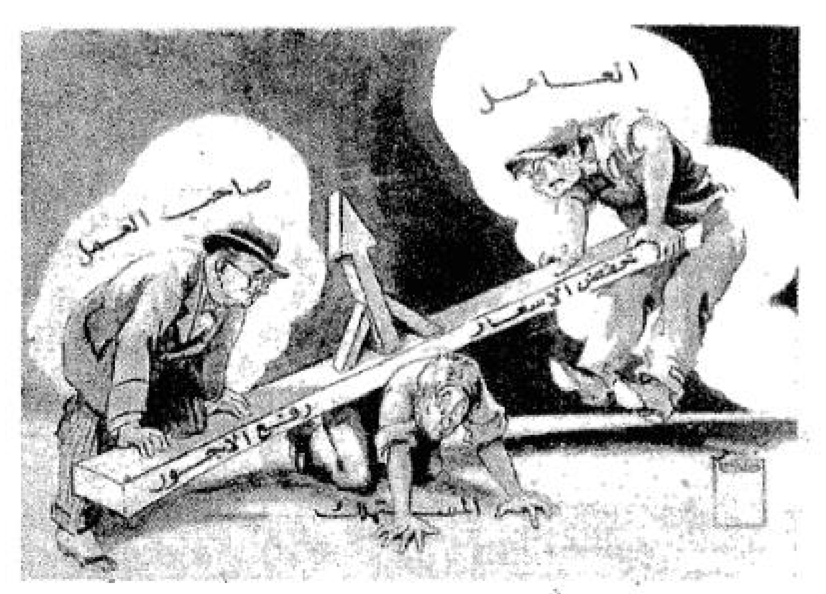
مختارات من الكاريكاتير



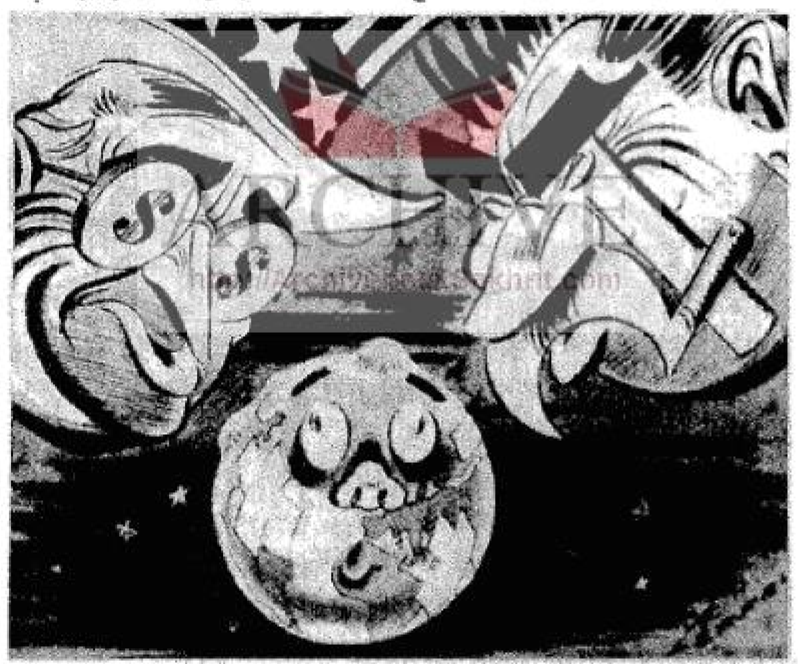
غاب هذه أم حراب . . تلك التي حلت حمامة السلام ؟ ! [عن « نيويورك تيمز »]



العم سام، البنكير ، وجد أن انفاق المال أهون من انفاق الأرواح [عن « نيو هامبشير »]



المستهلك يقول : على ظهري ، وحدي يقع الضغط كله [عن « كانز وتروا »]



العالم « الجريح » بين مخالب الروس وجبروت الدولار [عن « الستريه »]

الدرس الأخير

بقلم الدكتور عبد اللطيف حمزة

انتهى العام الجامعى أو كاد ، وأحس طلبة السنة النهائية من أستاذهم أن هذا الدرس الذى يلقيه عليهم ربما كان آخر درس لهم فى الجامعة ، فنهض منهم طالب ذرب اللسان ، واستأذن اخوانه فى تحية طيبة يقدمها الى استاذهم ، ثم قال بعد أداء هذه التحية : وأحب كذلك أن تأذن لى أيها الاستاذ فى ان أرجوك رجاء عارف بقدرك ، راغب فى الافادة من تجربتك ، أن تقدم لنا ـ ونحن على أبواب الحياة العامة ـ أثمن نصيحة عندك ، عسى أن تنفعنا أو تذكرك بها !..

فتبسم الاستاذ ضاحكا من قول تلميذه ، وتهيأ للحديث محاولا أن يجيب طلبته الى ما سألوه ، ثم قال :

أيها الأصدقاء ..

أجل ، انكم لعلى أبواب الحياة العامة التى تنتظركم ، وانكم لفى حاجة الى أن تهدى اليكم خلاصة تجاربنا ، فعسى أن تنفعكم كما قلتم ، وعسى أن تتخذوها قاعدة لكم فى حياتكم المستقبلة ، وقد علمتم اننا لا نضن عليكم برأى ، ولا نستأثر دونكم بخير . فلكم أيها الاصدقاء الاعزاء أن تنسوا كل ما ألقى عليكم من دروس أو محاضرات ، وأن تمحوا من أذهانكم كل ما علق بها من شتى المعلومات ، على أن تذكروا شيئا واحدا فقط ، أو كلمة واحدة فقط ، هى كلمة « الصداقة »

> « وهل فى الحياة أغلى وأشرف من هذه المعانى الثلاثة : الحق والقوة والجمال »

نعم .. ان الصداقة هى الثمرة الشهية للحياة . فكونوا أيها الشباب أصدقاء لله ، وأصدقاء للناس ، وأصدقاء للاشياء

كونوا أصدقاء لله تشعروا بمعنى الحق ، وكونوا أصدقاء للناس تشعروا بمعنى القوة ، وكونوا أصدقاء للأشياء تشعروا بمعنى الجمال . وهل فى الحياة التى نحياها أغلى وأشرف ، أو أعز وألطف من هذه المعانى الثلاثة : الحق والقوة والجمال ؟

كونوا أصدقاء لله ، تشعروا بأنه معكم فى كل لحظة ، وأنه يراكم من حيث لا ترونه ، وأنه لا يرضى الا أن يراكم موفقين فى حياتكم ، تتوخون الخير والعدل والاستقامة فى أعمالكم . فاذا فعلتم ذلك أرضيتم أنفسكم ، وارضيتم

الله عنكم ، وأحسستم ان الحياة حق ، وأن الخير حق ، وأن العدل حق ، وأن الله حق . والحق اذا ملأ نفوسكم وقلوبكم وعقولكم على هذا الوجه ، كان خليقا أن يمنحكم السعادة الصحيحة التى يتمناها كل انسان

●

ثم كونوا أصدقاء للناس ، فان الانسان لم يخلق وحده ، ولا خلق لنفسه، وحاجتك للناس وهم أصدقاء، أرضى لقلبك وأروح لنفسك من حاجتك اليهم وهم أعداء . والمرء كثير باخوانه كما يقول العرب ، وشر البلاد بلاد لا صديق بها ، كما يقول شعراء العرب . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض كما يقول الله عز وجل . والقوة لا تحصل للانسان الا باخوانه وأعوانه ، وخلطائه وأصدقائه . ألم تسمعوا قول القائل : أخبرنى من تصاحب أخبرك من أنت . أى أنه لا سبيل الى معرفة شخص الا بمعرفة أصدقائه

●

ثم كونوا أصدقاء للأشياء ، بمعنى أنه ينبغى أن تكون بينكم وبين البحر أو الشجر أو الزهر صداقة ، وأن تكون بينكم وبين القط أو الكلب أو الحصان صداقة .. وباختصار ، ليكن بينكم وبين الطبيعة كلها ، فى شتى مظاهرها ، نوع من الود أو المحبة . فانكم ان فعلتم أحسستم بهذا المعنى الثالث من معانى الوجود الانسانى ، وهو الجمال . فان من يرى الجمال فى كل شئ يقع عليه بصره ، تتضاعف لذته بالعيش ، ويصبح فى وقت قصير جدا انسانا فى ثياب شاعر . أتدرون لم أحب لكم أن تكونوا شعراء ؟ اننى أحب لكم ذلك لأن الشاعر انسان يمتاز عن بقية الناس بارهاف فى الحس، ولطف فى الوجدان ، وغزارة فى العواطف . الا ترون أن شاعرا انجليزيا نظر الى الطبيعة فى جمالها وبهائها ، وأحس بسرور وسعادة فى نظره اليها ، وكان ولده بين يديه فى تلك اللحظة فقال : ليتك يا بنى ترى العالم جميلا ، كما هو جميل فى نظرى!

●

ولكن الناس مع هذا يسيئون الظن بالله ، ويسيئون الظن بالناس ، ويسيئون الظن بالأشياء . فيضعف شعورهم بهذه المعانى الحلوة ، وهى معانى الحق ، والقوة ، والجمال . وتصبح الحياة نفسها عديمة اللون والطعم عندهم ، كما يصبح بينهم وبين السعادة نفسها آماد وآماد

فاما اساءتهم الظن بالله ، فآتية من أنهم يرمون الأقدار لأتفه الاسباب بالظلم والعدوان . ويشتد رميهم لها بهذين الوصفين معا حين يقيسون حظوظهم من الدنيا بحظوظ قرنائهم منها . ولو أنصفوا لما وقعوا فى خطأ التعميم ، ولو أنصفوا لما نسوا حسنات

القدر كلها بسيئة واحدة له، والشاعر يقول :

حاسب زمانك فى حالى تصرفه
تجده أعطاك أضعاف الذى سلبا

وأما اساءتهم الظن بالناس ، فآتية من الجرى وراء اللقمة ، أو آتية من تنازعهم عليها، واذلال أنفسهم من أجلها اذلالا أضاع احترام بعضهم لبعض ، وأحل فى قلوبهم البغضاء محل الحب

وأما اساءتهم الظن بالأشياء ، فآتية من تلك الامور كلها مجتمعة ، أو من ذلك المنظار الاسود الذى وضعته على عيونهم تلك الظروف كلها مجتمعة

●

أيها الاصدقاء ..

أتحبون أن تعرفوا الطريق الى السعادة التى تأتى من شعوركم بمعانى الحق والقوة والجمال ؟ أتحبون أن تدلكم على المفتاح الذى تفتحون به هذا الباب ؟

ان كنتم تحبون أن تعرفوا ذلك ، أو ندلكم على ذلك ، فاعلموا أن مفتاح السعادة أو الشعور بهذه المعانى الثلاثة هو الايمان بالله

أجل، الايمان أول خطوة من خطوات السعادة البشرية ، وأول مرحلة من مراحل الهناء النفسى . ومتى انبسطت النفس البشرية وعمرها الايمان بالله شعر الانسان المؤمن فجأة بأن العزة لله جميعا ، وان الرزق بيده لا بيد سواه ، وان الخير فى أن تدع الامور كلها لله يصرفها كيف يشاء . وهنا يشعر الانسان بجلال هذا المعنى الاول من معانى الوجود وهو معنى « الحق »

ثم متى امتلأ قلبك بهذا الايمان ، ومتى رسخ فى نفسك رسوخا قويا ، فهنا لا تكلف نفسك الجرى وراء القرش أو الدرجة ، وانما تكتفى باداء واجبك على الوجه الذى يحقق مرضاة الله . واذ ذاك لا ترى بنفسك حاجة الى التنافس غير المشروع ، ولا تحس بأنك تنفس على سواك نعمة من نعم الله

ثم متى برىء قلبك من الغضب على الأقدار ، وشفى صدرك من الحقد على الناس ، فانك شاعر فى هذه اللحظة بكثير من الرضا يشيع فى نفسك، أو السرور الذى يملأ جنبات قلبك . واذ ذاك فقط تنظر الى الأشياء بمنظار أبيض . ومن ميزات هذا المنظار الأبيض أنه يجسم لك الجمال ، وأنه يخلع عليك — كما قلت لك — ثوب الشاعر الذى قال لابنه : « ليتك يابنى ترى العالم جميلا فى نظرك كما هو جميل فى نظرى »

أسأل الله لكم أيها الأصدقاء الأعزاء أن ينفع بكم الوطن والانسانية جمعاء . والى اللقاء غدا فى معترك الحياة العامة — الى اللقاء

عبد اللطيف حمزة


المتنكرة!
قصة واقعية ترويها ..
السيدة بنت الشاطئ

«.. لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم ...»

أصبحنا ذات يوم ولا حديث لنا فى المعهد سواها . كان قد أذيع فى ذلك الصباح نبأ تعيينها فى وظيفة ممتازة بالمعهد ، ولم أكن عرفتها من قبل ، ولا سمعت من أخبارها شيئا ، وبدا لى فى ذلك الحين اننى الوحيدة التى تجهل أمرها . وكأنما كان ذلك الجهل شذوذا مستغربا ، فقد تعاقبت الزميلات على غرفتى واحدة فى اثر أخرى ، يسألننى ان كنت حقا لم أسمع شيئا عن الوافدة الجديدة ؟ ثم أصابتهن لوثة من الثرثرة الهاذية ، فراحت كل واحدة منهن تروى قطعة من أنبائها ، وتقص فصلا من قصتها

* * *

ولم يبد فيما سمعت شىء من الغرابة أو الشذوذ، فمثله يحدث فى كل آن . والقدر يصنع فى كل لحظة ألوفا من أمثال قصتها، وألوفا من غير أمثالها . انما يبدو لنا الأمر عجيبا لأنه انتقل من كتاب الزمن الى مسرح معهدنا ، وراح يعرض أمام أعيننا ويتلى على مسامعنا ، فخيل لكثيرات منا ــ معشر المتفرجات ــ أنها قصة نادرة ، لامثيل لها الا فى خيال صناع القصص ومؤلفى الروايات

* * *

نشأت نشأة منعمة ، فى بيت وافر الثراء ، فى عاصمة من عواصم أقاليم الشمال ، اشتهرت نساؤها بالجمال . ولم تكن ذات عز موروث أو أصل عريق ، فقد عرف أبواها من قبل قسوة الكفاح الشاق فى سبيل العيش . لكنها لم تدرك ذلك العهد ، ولم تلمح من آثاره المادية الا ظلالا باهتة متضائلة ، تجنح الى المغيب . ذلك لان أباها اشتهر باتقان صنعته ، وتهافت سراة الاقليم على مطعمه يطلبون طبق الفول المتناز ، وأقراص الطعمية الفاخرة الشهية . فألفى الرجل نفسه فجأة ذائع الصيت ، عامر الجيب بالمال ، جليسا لأبناء العز وذوى الجاه والسلطان . وتلفت حواليه ليرى شبح الفقر الذى كان يتبعه كظله ، فلم يجد الا النعمة والشبع والثراء

وكانت «هى» صبية تدنو من عامها السابع حين انتقل أبوها الى مسكن يناسب ثروته المستحدثة ومكانته الجديدة ، ويليق باستقبال ضيوفه الوجهاء . وخيل الى الناس من حوله أن ما بينه وبين أيامه السود الماضيات قد انقطع ، وأنه قد نسى ما عانى وقاسى ، فى عهد الفقر والحرمان . لكنه فى الواقع لم يفلح فى نسيان هذا الماضى على كثرة ما حاول أن ينساه . كانت صور الأمس الشقى تتراءى

أمامه كأنها لعنة تفسد عليه يومه السعيد ، وتشوه نعمته الحاضرة . وعبثا جاهد فى الافلات من هذه الاشباح التى تلاحقه وتطارده ، لقد كانت معه فى كل مكان من عالمه الجديد ، يراها فى بهو الاستقبال الفخم ، وفى قاعة الطعام الجميلة ، وفى مخدعه الخاص حين ينام ... ثم خيل اليه — فى لحظة من لحظات الجحود الكافر — ألا نجاة له من اللعنة الا اذا أزاح من أمامه زوجته التى شاركته العيش فى الماضى البغيض ، فهى وحدها ظل ذلك الماضى ، وصورته التى تطالعه فى كل مكان ، وفى كل آن

وسرحها بعيدا .. فلم تعد تطالعه بهيكلها الذى أذواه الحرمان ، وبصرها الكليل الذى أتعبه العكوف على خياطة ثياب الجيران ، ويديها المعروقتين اللتين يراهما غسل الملابس فى مختلف البيوت . سرحها بعيدا ، فعادت سيرتها الاولى ، واستأنفت الطواف بالابواب تلتمس عملا . وتنفس هو مرتاحا ، وأقبل على حياته الحاضرة ، يذوق النعمة الطارئة ، ويملأ كأسه من رحيق العز الجديد

ورأى الناس طفلته تروح وتغدو الى المدرسة الابتدائية — حيث لم يكن يلتحق بها فى ذلك العهد الا بنات الذوات — ومن ورائها تابع خادم ، يحرسها ويحمل لها كتبها وأدواتها

وكأنما ورثت الصبية عن أبويها ، القدرة على الكفاح ، وأخذت عن بيئتها الأولى ذلك الذكاء الذى يرهفه العمل الدائب ، وتحميه الحاجة من افساد الترف وخمول العز

وظهرت عليها مخايل نبوغ مبكر ، فتفوقت على زميلاتها جميعا ، وغدت — فى تلك الحداثة الباكرة — ملء الاسماع ملء الأبصار . وراح ضيوف أبيها ورواد مطعمه ، يغمرونها بفيض من التدليل والاعجاب ، عيثاها من بعد للدور الأكبر الذى راحت تمثله على مسرح الحياة

* * *

لم تكد تتم دراستها الابتدائية بتفوق ظاهر ، حتى احتضنتها وزارة المعارف ، وأعطتها المكان الأول فى « المدرسة السنية » . فتابعت دراستها محتفظة بتفوقها وامتيازها ، ثم اختيرت لبعثة الى جامعة لندن ، حيث بدأ فصل جديد من قصة حياتها الحافلة بالأحداث

ظهرت هناك فى لندن ، فى ذلك الشمال البارد النائى ، تحمل فى عينيها السحر المصرى العريق ممتزجا ببريق الذكاء اللماح ، وتحمل فى وجهها سمات الجمال الشرقى الصميم مصقولا بالحضارة والنعمة ، وتحمل فى جسمها آثار الارتواء من ماء النيل ، والامتلاء بخيرات واديه

* * *

وأحاط بها نفر من زملائها معجبين متقربين ، لكنها تنكرت لهم وتعالت

عليهم ، وراحت ترنو الى بعيد . لقد ألفت اعجابا آخر من قوم آخرين .. من هؤلاء السراة الأثرياء الذين كانوا يترددون على مطعم أبيها وبيته، ويثيرون فيها زهو الأنوثة بما كانوا يسمعونها من آيات التقدير والاعجاب. وزادها تفوقها الدراسي ، وذكاؤها اللامع ، زهوا على زهو ، فاذا هي تنأى عن أترابها ، وترى فيهم غير أهل لشرف صحبتها . وانها لتتطلع من الغرب النائي الى بلدتها الجميلة في شرق الدلتا ، فترى نفسها تخطر بين قومها في أبهة وعظمة ، ومن حولها زملاء طفولتها — ومنهم بنو عمها ، واخوتها لأمها — يحومون حولها ، دون أن يجرءوا على الدنو منها أو الطمع في صحبتها

كذلك حاول زملاؤها في لندن أن يجذبوها الى مجامعهم وحفلاتهم ونواديهم ، فتأبت عليهم واستعظمت أن تعتبر نفسها واحدة منهم سواء بسواء. وهكذا انطلقت وحدها في بلاد الغربة، مترفعة متنكرة ، تلتمس مجامع أخرى أرقى من مجامع الزملاء ، وترجو صحبة آخرين أعظم وأكبر من هؤلاء الطلاب، وتنشد محيطا آخر ، يرضى زهوها ويناسب ما ألفت من مظاهر الأبهة. وغاب عنها أن الناس لا يغفرون لمثلها هوان شأن أسرتها قبل أن يرفعها الثراء ، ولا ينسون أباها من كان، ولا أمها من كانت، في عهد الفقر والحرمان، وان خيل اليها والى غيرها ، ان هذا الماضي البعيد قد طواه العدم، ونسجت عليه الاعوام ستارا من النسيان

* * *

لم يدهش زملاؤها حين رأوها تتردد على أفخم المسارح والمطاعم ، وتتودد — في تواضع مشوب بالخوف — الى من تلتقي بهم هناك من علية القوم. لكنهم دهشوا حقا حين رأوها تغدو وتروح الى أحد الأندية السياسية الكبرى ، وتقضي وقتها هناك ، حتى لم يعودوا يرونها الا في ساعات الدرس. وفي تلك الساعات المحدودة ، لم يكن يفرغ لها حديث عما تعلم من «أسرار الدبلوماسية » ، ومن تعرف من أعلام السياسة ورجال الحكم . فاذا ما انتهى الدرس، طافت بزملائها جميعا لتخطرهم بذهابها الى النادي ، وفي عينيها دموع الفخر ، وعلى وجهها اشراقة السعادة ، وفي صوتها نغمة المباهاة وشغلوا بها حينا فراحوا يبحثون عما جد من أمرها ، لكنها لم تدعهم في حيرتهم، بل تطوعت باخبارهم بالنبأ العظيم : انها توشك أن تعلن خطبتها الى وجيه مشهور ، ليس بينه وبين « كرسي الوزارة » الا أن يعود الى مصر ، بعد أن يفرغ من مهمته السياسية الخطيرة التي أوفد من أجلها الى لندن. فهز الزملاء رءوسهم بين مصدق ومكذب ، ثم خلوها تهذي بأسرار الدبلوماسية وتحلم بالمكانة التي تنتظرها

فى مصر يوم تعود اليها وتعلن خطبتها وعادت ، وعادوا جميعا ..

وألحقت وألحقوا بالمراكز التى أعدتها لهم الحكومة عقب نجاحهم فى بعثاتهم الدراسية

وتفرقوا هنا ، وهناك ، وهنالك ، وقد خيل اليهم جميعا أن قصة الزواج العظيم ، لم تكن سوى حلم تراءى لصاحبتهم فى رؤى يقظتها ، فخيل اليها زهوها وتنكرها ، أنه واقع لا خيال فيه

* * *

دخلت على فى مكتبي بالمعهد تريد التحدث فى التليفون ، وكنت أشتغل باعداد بحث فى « فن القول » فخليت أوراقى جانبا ومضيت أطيل النظر اليها ، أحاول أن أقرأ على وجهها سطور القصة التى سمعتها ، لكنها بدت أمامى معتمة لا تشف عما وراء نظرتها الناعمة ، وجسمها الممتلىء ، وثيابها الفخمة . ثم رحت أدنو منها على حذر ، وأتابعها النظر وهى تتنقل هنا وهناك ، فى أبهاء المعهد وقاعاته. فبدت لعينى قلقة متعبة ، ولمحت على وجهها ظلا من الضجر والملال . ثم ما لبثت أن انصرفت عنها ، وشغلت بما كان يرهقنى من مشاغل وأعمال

وكان همس الزميلات يترامى الى من حين الى حين ، يضيف سطرا جديدا الى قصتها، ويزعم انها تزوجت سرا من صاحبها ، لكنى لم أطل الاصغاء اليه.وخليتها لشأنها ومضيت لشأنى

* * *

وانتهى العام الدراسى ، وترك لى فراغا لم أتعوده فألفيتنى مشوقة اليها، وأحسست رغبة ملحة فى ان أراها ، وأجلس معها ، وأخلو اليها ، وأصغى الى حديثها . لقد حدثنى عنها كل من أعرف من الزميلات لكنها لم تحدثنى قط عن نفسها . ولقد سمعت قصتها من هذه وتلك ، لكنى لم أسمع منها حرفا واحدا . فليت شعرى بأى حديث يجرى لسانها لو خلوت اليها ؟ وأى سر تنطوى عليه تلك المتنكرة ؟

ووجدتنى ذات أصيل أدخل عليها مسكنها الأنيق ، فأخذتنى مظاهر الأبهة فيه ، وزاغت عيناى وأنا أتطلع الى الصور الرائعةالتى تزين الجدران، والتحف النادرة المنتشرة فى كل مكان، والأثاث الفخم الذى لا يرى مثله الا فى القصور . فلما زايلتنى أخذة الدهشة ، شعرت بخجل واستحياء ، فقد رأيت يد صاحبتى تنتظر يدى

قلت معتذرة : « لا تؤاخذينى . فما أرى مثل هذه الأبهة فى كل حين . وأنت لا بد تعلمين أنى قضيت صباى فى الريف ، وبه من خشونة العيش ما يفسر لك دهشتى اليوم »

فتبسمت ضاحكة من قولى ، ثم أخذت بيدى فى مودة ظاهرة ، ومضت تطوف بى فى أنحاء المسكن ، وترينى

ما لم أر من تحفه وأثاثه ، وتحدثنى عن تاريخ كل صورة ، وعن قيمة كل قطعة ، وانتهى بنا المطاف الى شرفة تطل على أجمل ميادين العاصمة ،فألقت نفسها على مقعد وثير فى فتور واعياء ، وراحت تحدق فى الشمس الغاربة ، وتتبع بعينيها قطع الضوء المشردة على الأفق الباهت . ثم آبت الى وعلى وجهها الشاحب ما يشبه الخوف

وتناولت قدحا من الشاى رد عليها بعض النشاط ، ثم اندفعت — من غير أن أسألها — تقص على قصتها ...

... ...

وخرجت من عندها وقد ربطنا رباط وثيق ، وكأنما أدناها منى وأدنانى منها ، ما كشفت لى من سرها

* * *

وتعودت منى بعد ذلك أن ألم بها كلما جئت القاهرة فى عطلة الصيف الطويلة ، فكانت تلقانى بادية اللهفة والارتياح . ولعلى ما جئتها مرة الا هتفت بى فى أسف : « لو تقدمت دقائق ؟! لقد كان زوجى هنا ! » ، أبتسم لها فى رقة ورحمة ، وأصغى ليها وهى تشكو ما يعانى زوجها من متاعب السياسة ومشاغل الأمور العليا ، وتكشف لى عما تكابد من أشواق ، وما تعانى من مرارة كتمان ما تراه موضع الفخر والمباهاة

* * *

آه لو رزقت طفلا .. اذن لصحح مركزها ، واعترف بها زوجها ، وظهرت على الملأ فى مركزها الحقيقى الموموق ، الى جانب زوجها الكبير

وألفت أن أرى فى بيتها صورا وأشكالا من النسوة الضاربات بالرمل الطوارق بالحصا ، يتسللن اليها فى شحوب الغسق ملثمات مقنعات ، فتلقاهن متلهفة ، وتصغى الى نبوءاتهن عما كتب لها فى ضمير الغيب . كما ألفت أن أراها تتلو فنونا من التعاويذ، وتمارس ألوانا من الطقوس الغامضة، أوصى بها السحرة والعرافون

ولقد هممت يوما أن أنقذها من هذا النطاق الوهمى الذى ضربته حولها النسوة الساحرات ، لكنى أشفقت عليها من قسوة الحقيقة السافرة، وتركتها تسلم نفسها الى هؤلاء النسوة ومن لاذ بهن من كتاب التمائم وصناع « الأعمال » وتتم برحلتها الى وادى الأوهام على أجنحة المرافة والسحر !

حتى لحظت فجأة انها بدأت تبرم بزيارتى ، وقد اعتذرت الى يوما بأنها تخشى أن يرانى زوجها أزورها فيعلم أنها أذاعت الأمر ، وهو يريد أن يبقيه سرا حتى لا تكيد له زوجته الانجليزية ، وحتى لا يستغله خصوم حزبه فيشهروا به ويلقوه فى طريقه الى « الوزارة » . هنالك ودعتها وانصرفت وفى عزمى ألا أراها — فى غير المعهد — بعد ذلك اليوم !

لكنى رأيتها بالرغم منى قبل أن يمضى شهر واحد ..

رأيتها فى ظروف تعسة ، اذ حملت الى « الاهرام » نبأ محاولتها الانتحار، ونقلها الى مستشفى قصر العينى لاسعافها

وهناك .. شاهدتها تتلوى على فراشها ، وتهذى بسرها ، وتسأل كل من تراه : لماذا أنقذوها من الموت وما تريد أن تعيش ؟

أو لم يتخل عنها أمل صباها وحلم شبابها ، ويتركها للبأس والوحشة والفراغ ؟

أو لم يخل بينها وبين شماتة العداء، ويدعها للألسن تزق جلدها وتنهش لحمها ؟

سألت : ما الخبر ؟..

فتلا على القدر ، الفصل الجديد الذى أضافه الى مأساتها :

« .. استدعيت الى وزارة المعارف وسئلت فى صرامة وحزم عما يربطها بفلان هذا الذى أرجف مرجفون أنه على صلة بها ، فأبرزت عقد زواجها وهرعت اليه تعتذر عما أذاعت من سرهما ، فكان رده عليها أن بعث اليها ورقة طلاقها ، على يد صديق من المحامين البارزين ..

« ورأت أن تقامر بحياتها وتحاول المحاولة الأخيرة ، فتناولت جرعة من عقار سام . فاما أن يرحمها صاحبها ويعود اليها ، واما أن تموت فتستريح «ونسيت – كالعهد بها – الفرض الثالث ، وهو ألا يرحمها صاحبها ولا تموت ! »

وقد كان هذا الفرض الثالث ، هو الذى اختاره القدر مؤلف قصتها، فأبقاها فى المستشفى أياما تنتظر صاحبها عبثا ، وقد أفلتت من الموت أو أفلت الموت منها ..

* * *

وفجأة ظهر فى أفقها شاب لم يشهده أحد على المسرح من قبل :

شاب يافع ، أنيق ناعم ، له حسب ونسب ، لكنه عاطل لا يصلح لعمل ، فقير لا يملك سوى جنيهات سبعة مرتبا شهريا من وقف للأسرة الكريمة

وتطوعت احدى زميلاتنا فجاءتنا ببقية أخباره :

« لقد كان يحترف الزواج من النسوة ذوات المال ، لا يعنيه وراء ذلك ضعة أصل ، أو كبر سن ، أو سابقة زواج

وقد ماتت زوجته الأخيرة ، عن ابنة صبية ، لا يرعاها الا بقدر ما يشرف على الميراث الذى ورثته عن أمها ، أما ما عدا ذلك من شؤونها ، فتنهض به أسرة كاتب دائرة الوقف، نظير أجر معلوم .. »

* * *

وظهرت « م » على المسرح، تركب عربة أنيقة، يسوقها شاب بالغ الاناقة،

بادى الرقة والنعومة، مصقول المظهر، مهذب الحركة . وتعودنا أن نراه يأتى بها الى المعهد كل صباح ، ثم ينطلق بالسيارة الى حيث يقوده شبابه وفراغه، ومجد أصله ، وجمال شكله ، وأناقة مظهره

وتبقى هى فى العمل ، مهمومة متعبة ، تعانى ما تعانى من كيد الكائدات وهمس الهامسات ، وتلاحقها نظرات الرثاء أو الاشتفاء ، فاذا انتهى عملها المدرسى مشت الى العربة الأنيقة ، وعلى وجهها وثيابها غبار العمل ، وفى عينيها ظلال القهر والألم ، وفى يديها حمل من كراسات التلميذات ، وفى جسمها آثار الاجهاد والاعياء

ولست أدرى ماذا دعانى فى ذلك الحين، فقد ألفيتنى معناة بأمر صاحبتى تلك ، مشغولة بها ، منفعلة بعطف عليها ممزوج بالخوف واللهفة والقلق . وكانت المودة التى بيننا قد فترت منذ رأيتها تتهرب منى وتفر من مواجهتى ، فاكتفيت بأن أشيعها كل يوم ساعة خروجها ، بنظرة رحيمة ، حتى اذا غابت السيارة عن عينى فى جنان الجزيرة ، أطرقت لحظة أفكر فيها ، وتراءت لى منها صور متنكرة مبهمة ، يغشاها الضباب . ثم أثوب الى عالمى والى مشاغلى ، وفى النفس ما فيها من قلق وأسى

ولم نسمعها يوما تشكو حظها أو تنكر من زوجها شيئا ، بل كان يطيب لها أحيانا أن تتحدث عن دائرة الأسرة، وأوقاف الأسرة، وأصدقاء الأسرة ، لكن قناعها لم يكن يخفى عنى ما وراءه من هم وحسرة وشجن . كان يبدو لى أنها أسلمت فى لحظة واحدة حلمها الكبير وأملها الغالى ، واستسلمت لواقع الحياة فى انكسار وخضوع ، حين أدركت أن الناس لا يسمحون لمثلها أن ترقى الى المقام الذى رنت اليه

وران على أفقها هدوء يشبه الموت، وأمست حياتها صورة واحدة تتكرر فى سآمة وصمت وجود

* * *

ثم كان ما زعمت أنه منقذها مما هى فيه . .

حملت بعد شبه يأس ، وتنبأت الضاربات بالرمل أنها سوف تلد ذكرا ، يلمع نجمه فى أفق السعود ، ويتلألأ ضوؤه فيبهر الابصار . .

وأغفت المسكينة تحلم ، بعد أن ألح عليها السهاد . .

ولبثت أرقبها من بعيد ، ومايخفى على تنكرها ، وما يزايلنى ذلك الشعور المبهم من القلق والأسى . .

* * *

حتى أمسينا ذات ليلة ، وقد اقتربت ساعتها . .

واجتمعنا فى القسم الداخلى بالمعهد، نرجم بالغيب ، ونتمثل ما يكون . .

ثم أصغينا نتسمع ، فلم نميز لهـا صيحة أو صوتا ، فقد كانت الليلة عاصفة ، لا يسمع فيهـا الا عويل الريح ، وبكاء السماء ..

وفى شحوب الفجر الوليد ، عادت الينا احدى زميلاتنا بالنبأ :

لقد وضعت « م »

سألنا جميعا فى صوت واحد : فماذا وضعت ؟

قالت : مولودا ذكرا ، قوى البنية، بادى الجمال ..

فضجت الزميلات بأصوات مختلطة، ومضين الى مخادعهن قبل أن يسمعن بقية النبأ :

« .. وماتت ساعة الوضع ! »

سألت : لم تره ؟

فأجابت الزميلة : كلا ..

ثم مضت هى الأخرى عنى ،وبقيت وحدى أحدق واجمة فى بقايا الظلام ، وأصغى فى ذهول حزين الى عـويل الريح وبكاء السماء .

بنت الشاطىء
« من الأمناء »

الرد خالص ..

من المأثور عن « الرئيس ترومان » انه حينما كان نائباً للرئيس روزفلت ، حدث أن وقف أمام أحد القضاة للشهادة فى إحدى القضايا ، وكان القاضى فظاً ضيق الصدر، فلما أفاض « ترومان » فى سرد معلوماته تضايق منه وصاح فيه:

— مستر ترومان .. أجئت هنا لتعلمنى القانون ؟

فأجابه ترومان بكل هدوء :

— لا .. لأنى لا أستطيع عمل المعجزات !

نقد ..

لما كتب الفيلسوف الألمانى « شوبنهور » كتابه المشهور « العالم كارادة وفكرة » تلقاه القراء بفتور وعدم مبالاة

وسمع شوبنهور أحد النقاد يطعن فى الكتاب أمامه ، فقال له على الأثر :

— إن هذه الكتب مثلها مثل المرآة ، اذا نظر فيها حمار فلا يتوقع أن يرى وجه ملاك !

"يا عدوى" .. بأمريكا!

« يا عدوى » نداء مصري ينادى به هذا الشخص الذى يطوف أحياناً فى أرجاء البلاد المصرية ، يبحث عن الأطفال الذين ضلوا الطريق الى بيوتهم أو اختفوا عنها . ولكن « يا عدوى » بأمريكا حيث المدن الضخمة والحياة المعقدة ، ليس رجلا واحداً ، بل إدارة حكومية كبيرة . وفى هذا المقال يحدثنا أحد رجال هذه الادارة عما يدعو الناس الى الاختفاء ، وعن طرق الاهتداء اليهم .

يستطيع الناس ان يواجهوا المرض والافلاس ، بل والموت المفاجىء ، رابطى الجأش ، لأن مثل هذه الكوارث محتملة الوقوع ولا مفر منها . ولكن أكثرهم يصفر وجهه ويرتجف بدنه اذا تخيل ان زوجته ، أو ابنه ، فر هاربا الى حيث لا يعرف له مقرا . فليس أقسى على النفس من الشىء المجهول الذى لا تعرف كنهه .

وليست هذه الحال نادرة الوقوع . فان « مكتب الاشخاص الضائعين » فى مدينة نيويورك يتلقى فى كل شهر زهاء ألف طلب من أشخاص اختفى أحد أهليهم ولم يعرفوا أين ذهب . ولكن ينبغى لهؤلاء الاشخاص ألا يجزعوا ويفزعوا ، فان أكثر هؤلاء الضائعين يعودون الى بيوتهم ، بعد فترة تقصر أو تطول .

ففى آخر سنة أمضيتها فى ادارة هذا المكتب ، اختفى أحد عشر ألف شخص . وفى نهاية السنة عاد ٩٩٫٢ ٪ منهم الى بيوتهم أو اهتدى الى مقرهم .

فلماذا « يضيع » الناس ؟ .. ان

تسعة أعشار من يختفون هم من البنين والبنات الذين لم يبلغوا سن الواحدة والعشرين . وهم يهجرون بيوت اباائهم ويختفون عنها للاسباب الآتية مرتبة حسب أهميتها : كره المدرسة ودروسها ومدرسيها ، الرغبة فى المخاطرة ، الفرار من آباء يضيقون عليهم أو يستولون على أجورهم ، التأثر بقصص المغامرات التى تخرجها دور السينما ، أو القصص البوليسية التى تطلع بها الروايات والمجلات الصفراء ، والاقتداء برفاق السوء الذين يلتقون فى الحانات والمراقص

أما المسائل الجنسية فعلى نقيض ما يظن الناس ، قلما تكون سببا قويا فى هروب الولد أو البنت واختفائهما

أما الكبار فان الخلافات العائلية، والمشاجرات الزوجية ، هى أهم الأسباب التى تدفعهم الى ترك البيت، والاختفاء عنه فى مكان مجهول . ولهذا كان كثير من عملاء « مكتب الاشخاص الضائعين » من الزوجات الشرسات المشاكسات ، ومن الأزواج المستبدين المكروهين . ولكن أكثر من يختفون لهذه الاسباب يعودون الى أهلهم ثانية ، وكأنهم يؤدبونهم بهذا الاختفاء المؤقت ، وينذرونهم بالاختفاء الدائم ان هم عادوا الى المشاكسة والاستبداد

اما حينما يكون سبب الأختفاء متاعب مالية تهدد بالافلاس ، او أمراضا عصبية لا يرجى منها الشفاء ، فالاغلب أن يكون اختفاء أبديا ، مقره قاع النهر أو غرفة مملوءة بالغاز

* * *

ومن الامور التى تسترعى الانتباه أن النساء أقدر من الرجال على احتمال فضائح الاختفاء . فالزوجات يسرعن الى ابلاغ الشرطة أو الاذاعة فى الصحف عند اختفاء أزواجهن ، بينما نجد من الشائع أن يتباطأ الرجل أسبوعا طويلا قبل أن يعلن عن اختفاء زوجته . ولعل مرجع هذا الى ان المرأة أشد غيرة على زوجها من غيرة الرجل على زوجته ، فهى لا تفسر غياب زوجها الا بأنه وقع فى حبائل امرأة أخرى ، ثم ان الرجل يدرك ان المرأة تحمل اسمه ، وان ما يصيب شرفها يلحق بشرفه ، وهو لهذا يحاول ان يتستر على أمر اختفائها قدر الامكان ، أما المرأة فلا ترى ضيرا عليها فى أن تذيع على ملأ الناس أن زوجها قد هجر أهله وبيته ، لينعم بصحبة امرأة أخرى فى الخفاء

وعند ما يبلغ « مكتب الاشخاص الضائعين » خبر اختفاء شخص ما ، فانه يبدأ بجمع كل البيانات التى تمكنه من الاهتداء اليه . فيسأل أهله عن أصدقائه ، وأعدائه ، وعملائه ، وعاداته ، وهواياته ، ومتاعبه ، وأمراضه . وذلك بعد جمع البيانات الخاصة بسماته وملامحه . وما يميزه من العلامات ،

و.. كان يلبس عند اختفائه ، فان كان أنذر أهله ، بورقة كتبها أو كلمة قالها ، بأنه سينتحر ، اتجه هم المكتب الى الاماكن التى يعمد اليها المنتحرون، كالأنهار والحلوات وطرق السكك الحديدية . أما اذا لم يترك لأهله مثل هذا الانذار فان المكتب يبدأ بفحص قوائم المقبوض عليهم فى دوز البوليس والمصابين فى حوادث الطريق . فان لم يهتد اليه وضع اسمه فى قائمة الاشخاص الضائعين ، الذين تذيع الشرطة أسماءهم فى محطات الاذاعة المختلفة . واذا كان الشخص المختفى شخصية مهمة،أو اذا دفع أهله للمكتب مبلغا من المال ، فانه يقوم بطبع نشرة خاصة تحمل صورته وصفاته توزع على مراكز البوليس فى جميع أنحاء البلاد. وكثيرا ما تيسر الصحافة مهمة المكتب بما تنشره عن الاشخاص المختفين المهمين اذا لم يعارض أهلهم فى النشر

وهناك سبب شائع يلجأ اليه الناس فى تبرير اختفاء أهلهم ، تهربا من ذكر السبب الحقيقى وسترا لما ينطوى عليه من الفضيحة . وهذا هو «فقدان الذاكرة» الذى تذكره الزوجة التى يختفى عنها زوجها لشراستها أو لخياناتها . ويذكره الزوج الذى تهرب منه زوجته لقسوته أو غدره . ولكن الواقع ان عدد من يضلون الطريق الى بيوتهم . أو يخرجون منها على غير هدى . بسبب فقدهم ذاكرتهم ، ضئيل لا يكاد يذكر . ففى كل عام ترد الى «مكتب الاشخاص الضائعين» ألف وخمسمائة حالة من حالات فقد الذاكرة، حتى اذا اهتدى الى هؤلاء الضائعين لم يجد منهم أكثر من خمسين شخصا هم الذين فقدوا ذاكرتهم فعلا

ولكن «فقد الذاكرة» سبب طيب يلجأ اليه الناس سترا للفضيحة ، كهذه الأم التى اختفت بنتها سنة كاملة، فلما عادت ، أردت أن أسألها فيما دعاها الى الاختفاء . فقالت أمها بكل بساطة :

«لا فائدة من هذه الأسئلة . فأنا واثقة ان ابنتى لا تدرى شيئا مما حدث . فقد كانت مصابة بفقد الذاكرة !» . ومن الواضح ان الأم لم تكن مقتنعة بما تقول ، ولكن هذه أيسر وسيلة لتبرير فعلة ابنتها

* * *

على أنه مهما قيل فى سبب اختفاء الناس عن بيوتهم ، فسيظل كثير من الناس لا يجد سبيلا الى الخلاص من متاعبه وآلامه أو نسيانها ، الا بالفرار من بيوتهم - وسيظل أكثر حوادث الفرار والاختفاء يقع فى شهرى مايو وسبتمبر ، أى فى فصلى الربيع والخريف حين تهيج مشاعر الناس وتتيقظ حواسهم، وكذلك حين يكون بدء الدراسة فى المدارس . وعقد الامتحانات فى آخر العام الدراسى !

[عن صحيفة «ستردای بوست»]



مصايف الشرق العربي

كثيرون من أبناء الاقطار العربية يرحلون الى أوروبا صيفا ، لأغراض كثيرة . ولسنا من القائلين بالامتناع عن السفر الى الخارج صيفا ولا شتاء، فالاختلاط بالعالم الخارجي له فوائده ، بل هو ضروري لكل شعب لا يريد ان يعيش منكمشا على نفسه . والصيف هو الفصل المناسب للرحيل الى الخارج

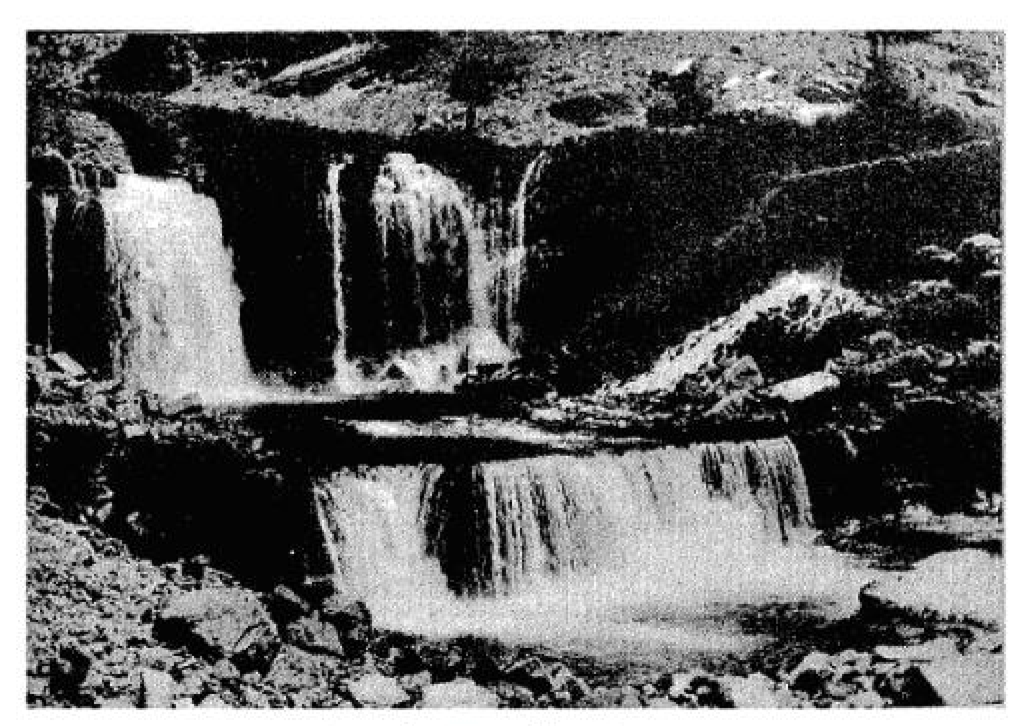
غير ان الاماكن الصالحة للاصطياف في الاقطار العربية كثيرة، وفي استطاعة كل عربي ، أيا كان وطنه، ان يقضي الصيف في بلاده ان لم يتيسر له السفر الى الخارج ، أو ان يقضيه في قطر عربي مجاور اذا أراد ان يبقى في جو لا يختلف كثيرا عن الجو الذي يعيش فيه . فما هي الاماكن الصالحة للاصطياف في الاقطار العربية ؟

في مصر

ليست في مصر جبال مرتفعة شجراء تتوفر فيها المياه ، وتصلح لأن تكون مصايف جبلية . ولكن الجبال ليست من مستلزمات المصايف. والسواحل البحرية في جميع أنحاء العالم تغني عن الجبال . وسواحل مصر طويلة . وشواطئها الرملية أو الصخرية تمتاز بسعتها وتعرضها للرياح الملائمة . فضلا عن ان الاستحمام بمياه البحر خير ما يكسب الانسان صحة ونشاطا

فأمام المصريين في الصيف شواطيء الاسكندرية وبور سعيد والسويس ورأس البر وغيرها . وتتوفر أسباب الراحة والتسلية على الخصوص في الاسكندرية ، التي تعد مصيف مصر الاول ، وحمامات الاسكندرية — التي كان لها في قديم الزمان شهرة واسعة في العالم المعروف حينذاك — قد استعادت مكانتها وأصبحت أبهج الحمامات البحرية في شرق البحر المتوسط على الاطلاق، بل من أبهج الحمامات في العالم . وتعنى بلدية المدينة عناية خاصة بانشاء الكابينات على الشواطىء وتأجيرها للمصطافين ، وتسهر على الصحة العامة سهرا مستمرا يقظا . وأسماء

> أقبل الصيف . . وبدأ الراغبون في الراحة والاستجمام يرحلون الى المصايف المتيسرة لهم ، أو يفكرون في الرحيل، في جميع البلدان العربية ، فالى أين يذهب العرب في الصيف ؟



هكذا تبدو شلالات « جزين » بلبنان

ستانلى باى(فاروق الآن)وسيدى بشر والشاطبى وغيرها من الحمامات،لم تعد شهرتها مقتصرة على مصر بل تعدتها الى الخارج

وتمتاز بور سعيد بحماماتها أيضا ، كما تمتاز السويس بحماماتها وجبالها وخليجها . وتعد رأس البر مصيف الراغبين فى الحياة البسيطة البعيدة عن التكلف ، ومركز رأس البر ، بين مياه النيل ومياه البحر ، مركز فريد فى نوعه فى العالم . وهناك أماكن أخرى تقل أهمية عن هذه وتصلح للاصطياف ، يؤمها فريق من عشاق الهدوء والسكينة ، كبلطيم وغيرها . ويرجى ان يصبح مصيف مرسى مطروح قريبا صالحا لاستقبال المصطافين ، فالحكومة منصرفة الى اعداده منذ بضعة أعوام ، ولو لم تقع الحرب الأخيرة لكان هذا المصيف قد قطع الآن شوطا بعيدا فى الشهرة وجلب المصطافين

فى لبنان

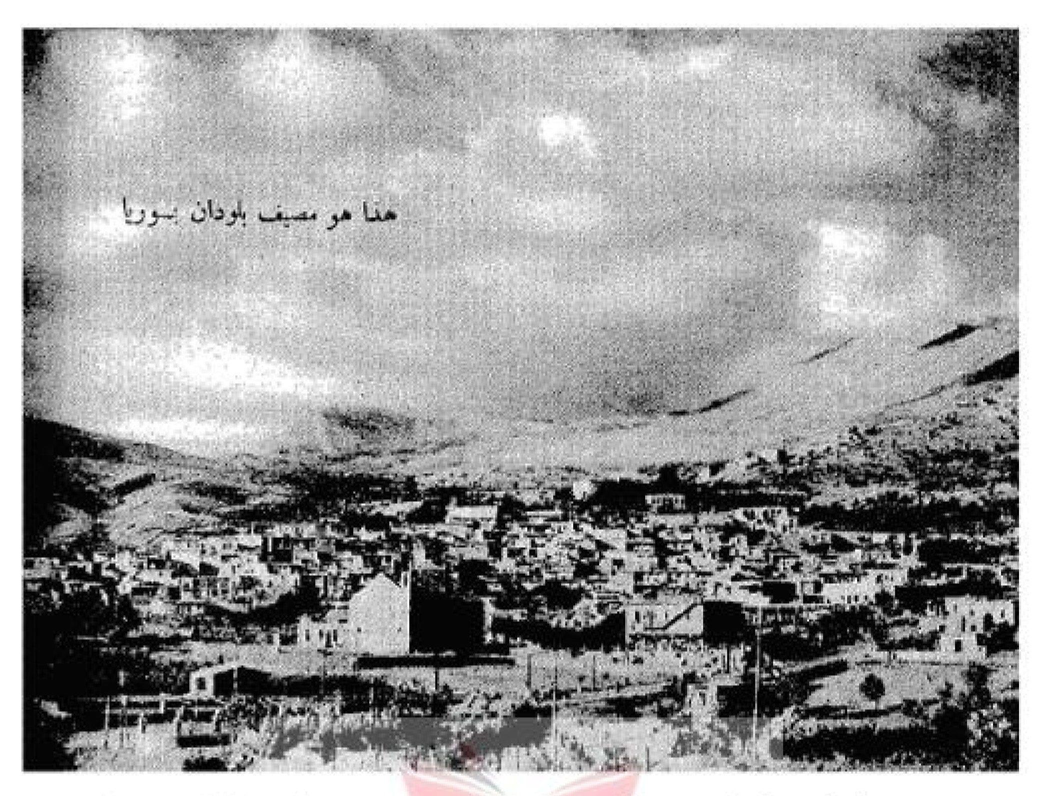
لبنان مصيف الشرق بلا منازع . فقد دللته الطبيعة وحبته أبهى مايخطر على البال من ضروب السحر والفتنة والجمال ، ففيه الشاطىء والبحر، وفيه الينابيع والصخور ، وفيه الجبال والوديان ، وفيه السهول والغابات والمناطق الخضراء والجرداء على السواء. فلبنان يقدم للمصطاف ما يرغب فيه.

وهو فى الشرق العربى القطر الوحيد الذى يؤمه الناس من الخارج للاصطياف. واذا كان كل قطر عربى فيه منطقة واحدة أو بضع مناطق صالحة للاصطياف فان ارتيادها مقصور على أبناء البلاد أنفسهم ، الذين يتعذر عليهم السفر الى الخارج . أما لبنان ، فان جباله تصبح فى الصيف ملتقى المصطافين من أبناء الاقطار العربية جميعا ، يؤمه المصريون والفلسطينيون والسوريون والحجازيون والعراقيون على السواء، ويلتقون على مشارفه وفى ظلال غاباته كما يلتقى الاخوان والاهل فى ناد يجمع شملهم

ومن ميزات لبنان ، وقوع جباله مباشرة على شاطىء البحر . وهذا ما لا يرى الا نادرا فى أنحاء العالم . فالجبال عادة تمتد فى داخل البلدان لا على الشواطىء . وقد لا تجد بلدا آخر يمكنك فيه ان تفر من الحر على الشاطىء، وتصل الى ارتفاع ثمانمائة متر أو أكثر، فى أقل من ثلث ساعة كما هى الحال فى لبنان . فالصاعد من بيروت الى الجبل ، بطريق دمشق ، يمر فى ساعة واحدة بين مناطق يتدرج ارتفاعها الى ١٢٠٠ متر ثم يهبط الى أقل من ذلك ، وله الاختيار فى البقاء فى عاليه ، أو بحمدون ، أو صوفر ، أو شتوره . وله أيضا ان يحيد عن طريقه يمينا أو يسارا، فيذهب الى بيت مرى، أو حمانا، أو برمانا، أو سوق الغرب، أو بكفيا ، أو ضهور الشوير ، أو قرنايل ، أو فالوغا ، أو زحلة ، أو غيرها من قرى الاصطياف التى يزاحم بعضها بعضا، ولا يفوق أحدها الآخر. وليست مراكز الاصطياف فى لبنان منحصرة فى بقعة أو منطقة واحدة . فجميع أنحاء لبنان صالحة للاصطياف من الجنوب الى الشمال ، ومن الشرق الى الغرب ، فهناك أيضا جزين ، وبكاسين ، وحصرون ، واهدن ، وبشراى ، وعجلتون ، وريفون ، والمزرعة ، وحراجل ،وعشقوت ، وهناك عين عار ، والباروك ، ونبع الصفا ، وهناك الارز وما يحيط بغابته الغارقة فى القدم من جبال وثلوج وجمال ! وتعداد المصايف اللبنانية كلها مشقة لا نهاية لها . فلبنان كله مصيف ، وكل بقعة من بقاعه جنة ترحب بطالب الراحة وتصفق له أفنانها

فى فلسطين

يذهب الفلسطينيون فى الصيف الى لبنان أو الى سوريا . ولكن فى بلادهم مناطق جبلية صالحة للاصطياف ، غير ان الحكومة لاتعنى بها العناية الكافية. فالقدس نفسها ، عاصمة البلاد ، واقعة على ارتفاع ثمانمائة متر عن سطح البحر. وهذا ارتفاع متوسط من شأنه ان يجلب المصطافين . وعلى مقربة من القدس ، بلدة رام الله ، وتعد أيضا


هذا هو مصيف بلودان بسوريا

من المصايف الممتازة . وهناك غير هذه البلدة من القرى التي لا تتطلب غير يسير من الاهتمام لكي تصبح ملتقى المصطافين في قطر لا هم للقابضين على زمام الحكم فيه غير الشؤون السياسية والادارية التي تبقى سيطرتهم قائمة . فالعناية بالمصايف شيء لا يفكرون فيه كثيرا ولا قليلا

في المملكة الاردنية الهاشمية

والمملكة الأردنية الهاشمية ، جارة فلسطين ، بلاد تكثر فيها الجبال ولكن تنقصها الخضرة والغابات . وعاصمتها عمان ؛ مثل القدس عاصمة فلسطين ، تقع على ارتفاع ثمانمائة متر عن سطح البحر . فهي في الصيف تمتاز بهوائها الجاف ، وتصلح مصيفا . ولكن حرمانها من أسباب الراحة يجعلها مقصورة فقط على أبناء البلاد

في سوريا

يرتاد السوريون – وعلى الخصوص سكان منطقة دمشق – جبال لبنان في الصيف . غير ان منطقة الزبداني ، على مقربة من العاصمة السورية ، تعد بلا شك من أصلح مناطق الاصطياف في الشرق . ويمتاز وادي الزبداني بحدائقه الغناء ، وأثماره اللذيذة ، ومياهه العذبة . وعلى سفح أحد جباله تقوم بلدة بلودان ، أشهر مراكز

الاصطياف في سوريا . ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر نحو ١٥٠٠ متر . وحولها سلسلة من القرى الصغيرة تمتاز في الصيف بجوها المعتدل ، ويقصدها سكان دمشق الذين لهم أملاك وبيوت فيها . غير ان المصيف الوحيد الذي يصلح في سوريا لاستقبال المصطافين من الخارج ، هو بلودان المشهورة

في العراق

يصطاف جلالة ملك العراق وأسرته وحاشيته في مصيف صلاح الدين ، وهو واقع في المنطقة الجبلية في شمال العراق . وهي منطقة تكثر فيها الاشجار والمياه ، وفيها سلسلة من القرى التي بدأ سكانها يعدونها لاستقبال المصطافين من العراقيين الذين يتعذر عليهم الذهاب الى لبنان أو الى الخارج . وقد وجهت الحكومة العراقية في السنوات الأخيرة اهتمامها الى تحسين هذه المنطقة الصالحة للاصطياف ، بحيث لا يقتصر ارتيادها في المستقبل على العراقيين فقط

في المملكة العربية السعودية

ليس في المملكة السعودية غير مصيف واحد يؤمه الناس ، وهو مصيف الطائف ، وان كانت هناك مناطق جبلية مرتفعة أخرى تصلح للاصطياف ، لو امتدت اليها يد بالعناية ، وأعدتها لهذا الغرض . والطائف مصيف جيل ، تكثر فيه الاشجار والأثمار والمياه ، ويقصد اليه الحجازيون على الخصوص ، وتشيد فيه باستمرار الدور الجميلة المعدة للسكنى ، وتضرب فيه الخيام طول مدة الصيف

في اليمن

اليمن بلاد جبلية ، تشبه لبنان من بعض الوجوه . فجبالها مشرفة على البحر . وأشجارها وأثمارها كثيرة . ولكن ليس فيها مكان واحد أعد خصيصا لاستقبال المصطافين في فصل القيظ . فمن له دار في منطقة جبلية قصد اليها . ومن ليس له فيها دار ظل قابعا في مكانه . فجمال الجبال اليمنية لا يستغله أحد في الصيف !



أتهـم الأدبـاء!

بقلم الاستاذ محمد خطاب طه

اليكم أيها الادباء من كتاب وشعراء . أسوق هذا الاتهام ، . أطلب به مقاضاة أو محاكمة ، فهو لهذا أقرب الى العتاب منه الى الاتهام

١ ـ أتهمكم أيها الأدباء بأنكم ترغتم في أحضان السياسة ، وبهركم بريقها الخادع ، فأصبحتم أبواقا للأحزاب ، وألسنة للمطامع والشهوات . فانحدر أدبكم من حالق علياته ، وعلو نفسيته ، الى درك التنابذ والتناحر . وذخر قاموسكم بألفاظ الشتم والسباب والتراشق والتهاجي ، ثم سرتم في ركاب كل وزارة ، وصفقتم لكل هاتف ، وسخرتم أقلامكم في الزلفى لكل حاكم ، ونسيتم ان الأدب دستوره العزة والكرامة ، وشريعته النخوة والشهامة ، وديدنه رفع الرأس، وشموخ الأنف، والاستقلال

٢ ـ أتهمكم يا أدباء الجيل بالا ... والجشع والاحتكار . ولو أدى ذلك الى القضاء على روح الطموح وا... عند الأدباء الناشئين . وكتم أنفاس هذه البراعم الغضة التي تتطلع الى الحياة . وكم من مقالات ذاخرة بالحرارة ، حافلة بالنضج والحيوية ، قد دبجتها يراع الناشئة ، ونفثتها أقلامهم . ولكن أين كان مآلها ؟ انها صارت الى الطمر . والوأد . والعفاء .

انما هي روح الأنانية تتحكم . ومبدأ الجشع ينشر سلطانه ، فأنتم يخشون ان تلمع هذه الأفكار الجديدة في سماء الوجود . فتشارككم في ذيوع الصيت وامتداد الجاه ، والكسب المادى الذى تملك عليكم سمعكم وبصركم وتفكيركم

٣ ـ أتهمكم بأنكم استغللتم شهرتكم ، وبزوغ نجمكم فى نشر المقالات الهزيلة واذاعة الأدب الهش . الذى خلا من العمق ، واعمال الفكر ، والذى لا تحس حرارة أنفاسه . ولا يجمل فى أعيننا حسن سبكه . ورقة حواشيه

٤ ـ أتهمكم بأنكم قد انحدرتم بأخلاق الجمهور الى المنحدر المائل . بما تنشرون من صور مثيرة ، وقصص مغرية . جنحت به الى جانب الميوعة والطراوة . وأثارت فيه النزعات والشهوات الكامنة . وأنتم لذلك تتعللون بأن الجمهور يلتهم ما ينشر التهاما ، ويتهالك على ما يكتب تهالكا . ولست أدرى هل الأدب تجارة أم هو قيادة وتوجيه ؟

الساعة الفاصلة فى معركة واترلو

للمؤرخ النمسوى « ستيفان زفايج »

يبتسم القدر للعظماء والجبابرة ، وتطيل لهم فى حبل ابتساماته ، فيظل مخصصا للواحد منهم سنوات ، عبدا ذليلا لقيصر أو الاسكندر أو نابليون .. ثم تجىء لحظات قصيرة شائكة يعن للقدر فيها ان يتمرد على سيده ، فيلقى اليه خيوط الطمع الذى يقوده الى حتفه ، الخيوط التى تكفى أقل اهتزازة فيها لان تغير مجرى التاريخ :

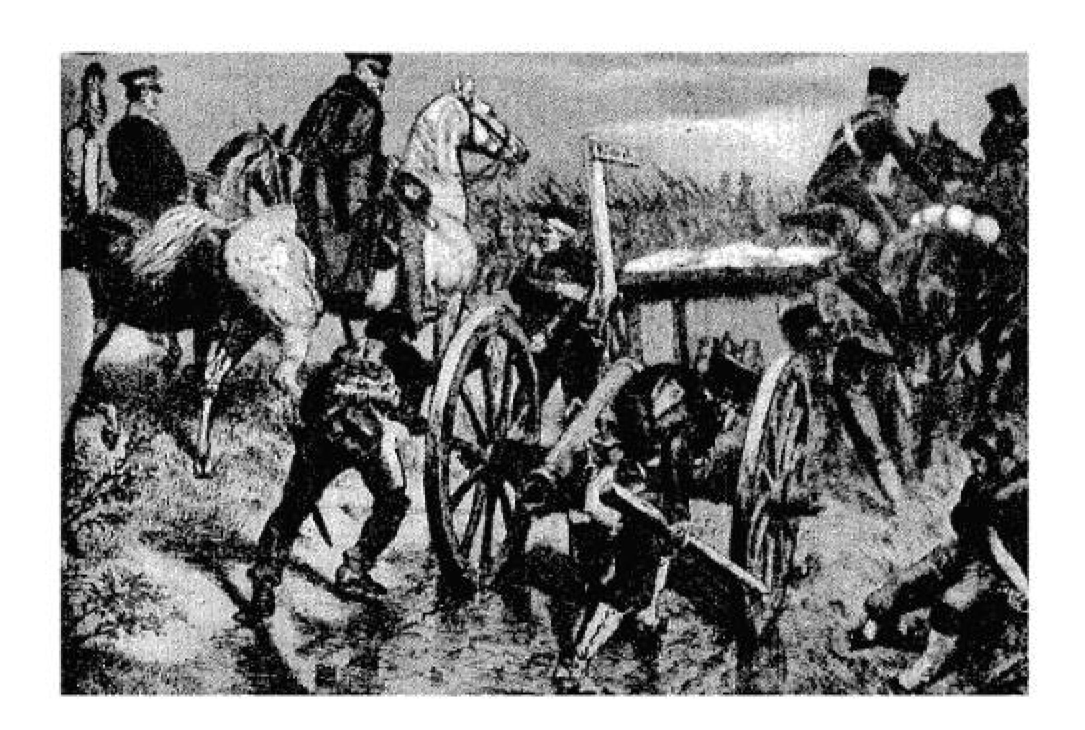
فالعظماء هم فى الحقيقة أجدر الناس بالرثاء والاشفاق ، فهم يظلون أبد الدهر مشفقين من تقلب الدهر وانصراف الحظ عنهم ، فرائس لقلق وانزعاج شبه دائمين .. حتى تحين نهاياتهم فتسخرهم الاقدار كى يوردوا انفسهم بأنفسهم موارد التهلكة ، بترك فرصة النجاة تفلت من ايديهم .. الى الأبد !

فرار الامبراطور

كان مؤتمر « فينا » فى أوج نشاطه ، وفى غمرة مراقصه ، وسهراته ، وغرامياته ، ومؤامراته .. حين جاء النبأ الرهيب ، نبأ فرار نابليون من منفاه !.. ان الاسد الحبيس قد أفلت من قفصه ، وأقبل مندفعا نحو باريس .. وتتابع الرسل يلهثون بالرسائل المخيفة المتوالية : ان مدينة ليون قد انحازت الى بونابرت ، والملك قد سارع بالفرار ، والجيوش تعلن ولاءها وانضمامها للامبراطور فى حماسة تعصبية ..

وأخيرا وقعت الواقعة : ها هو ذا الامبراطور قد بلغ باريس .. بل انه فى قصر « التويلرى » فعلا .. يا للكارثة ، هل حوربت معركة « ليبزج » وكسبت سدى ؟.. والسنون العشرون الطويلة التى انفقت فى الكفاح والقتل والذبح ، هل ذهبت بدورها سدى ؟

وتجمع كبار الساسة الاوربيون على عجل يتدبرون الخطب الجلل .. لا بد من حشد كافة جيوش انجلترا وبروسيا والنمسا وروسيا على الفور !



« خف « بلوخر » بجيشه البروسي من الشرق . . »

لا بد من انزال ضربة قاضية بالاسد المخيف دون ابطاء . . . وهكذا اتحد ملوك أوربا وسادتها في اللحظة الاولى من لحظات الرعب كما لم يتحدوا قط من قبل !

وسرعان ما خف « ولنجتون » مقبلا من الشمال و « بلوخر » بجيشه البروسي من الشرق ، وتحصن « شوارزنبرج » عند شواطىء الراين ، وأقبل الروس بخطاهم الثقيلة يعبرون سهول ألمانيا الفسيحة ! . .

وأدرك نابليون من الوهلة الاولى بوادر الخطر الذي بات يتهدده . أدرك أنه لو أمهل أعداءه حتى يستجمعوا قواهم لقضوا عليه القضاء الأخير . .

واذن فليهاجم كلا منهم على انفراد قبل أن يتجمعوا ، وليذكر شعبه بانتصاراته مرة أخرى ، قبل أن يقوى الجمهوريون صفوفهم ، ويتحالفوا مع الملكين . . قبل أن يتحد « فوشيه » الماكر و « تاليران » الداهية ليطعناه في ظهره . . قبل أن تخمد جذوة الحماسة في نفوس جنوده . فكل يوم يمر هو يوم ضائع ، وكل ساعة تمضي تقرب الخطر !

واستخار طالعه . . فأشار عليه بمهاجمة بلجيكا

بدء المعركة

وهكذا ، عبر « الجيش الاكبر » حدود فرنسا في الساعة الثالثة من

صباح ١٥ يونيه سنة ١٨١٥ .. ولم تمض يوم حتى كان قد انتصر على القوات البروسية فى « ليني »فانسحب «بلوخر» بجيشه المهزوم نحو بروكسل

وأخذ نابليون يعد العدة لضربته الثانية ، ضد ولنجتون فى هذه المرة !

ولم يكن فى الوقت متسع ، كانت الامدادات تجلب الى الأعداء كل ساعة بلا هوادة

وفى اليوم الثالث (١٧ يونيه) سير نابليون جيشه بأكمله نحو مرتفعات الاذرع الاربعة « كاتر برا » حيث كان يتحصن ولنجتون ، عدوه البارد ، ذو الأعصاب الفولاذية . ولم يفت نابليون أن « بلوخر » لن يدخر وسعا كى يعود بجيشه فيلحق بولنجتون . ولمواجهة هذا الاحتمال أرسل نابليون قسما من جيشه لمطاردة الالمان المدحورين والحيلولة دون التقائهم بحلفائهم الانجليز .. وأسند قيادة هذا الجيش الى قائد من أعوانه يدعى « جروشى »

كان جروشى من قواد نابليون الذين زاملوه فى حروبه عشرين عاما ، أمينا شجاعا دقيقا فى تنفيذ الاوامر حرفيا ، لكنه كان محروما من دهاء قواد الدرجة الأولى ومكرهم ، عاجزا عن التصرف من تلقاء نفسه .. وهكذا لم يصل الى مركز الصدارة فى الجيش الا بعد أن انقرض المتقدمون عليه واحدا بعد واحد ، قضى عليهم رصاص المساويش ، وشمس مصر ، وشتاء روسيا .. ومن ثم اضطر نابليون الى أن يعهد بالمهمة الخطيرة الى قائد ذى مواهب محدودة

ليلة فى كايو

نحن فى يوم ١٧ يونيه سنة ١٨١٥ والساعة الحادية عشرة قبيل الظهر ، والمطر البارد ينهمر غزيرا دون توقف فيلطخ جنود نابليون بالأوحال ،حتى بدوا كقطيع من الماشية المبللة ، ينوء كل منهم بحمل أرطال من الوحل على حذائه . وحين جاء أوان التوقف للراحة ، لم يكن للجنود مأوى من سيل المطر الغزير ، وكان القش كله مبتلا ، فجلس الجنود بالعشرات وظهورهم بعضها الى بعض .. حتى نابليون نفسه لم يجد فرصة للراحة . كان فى أشد العجلة يخشى فوات الوقت المناسب لحسم الموقف بمعركة فاصلة ،وزاد من متاعبه انقطاع مواصلاته واضطرابها بسبب المطر وسوء حالة الجو ، مما أدى الى تأخر وتضارب الأنباء التى كان يحملها اليه الرسل والسعاة

ورغم ذلك لم تحل الساعة الواحدة من تلك الليلة حتى كان قد اقترب بجيشه من مربض ولنجتون .. وحين أشرق الفجر عاد الى مركز قيادته فى مزرعة «كايو» حيث تلقى أول رسالة من جروشى ، ولم تكن تحوى الا

أنباء مقتضبة عن حركات بلوخر ، ثم وعدا بالمضى فى المهمة كما حددتها أوامر نابليون ..

أخذ الامبراطور يذرع الغرفة ذهابا وجيئة وهو يتأمل الأفق بعين فاحصة، باحثا عن تباشير تنبىء بقرب تبدد السحب

ومال الجو الى الاعتدال تدريجيا ، فلما حانت الساعة الخامسة كان قد بدأ يصفو .. فأصدر الامبراطور أوامره باعداد العدة للهجوم فى الساعة التاسعة . وانطلق السعاة بالتعليمات فى جميع الاتجاهات .. ثم دقت الطبول تدعو الجيش للتأهب

وعندئذ فقط استجاب نابليون لحق بدنه عليه ، فألقى بجسده المتعب على الفراش كى يأخذ قسطا من الراحة

مصير « واترلو »

الساعة التاسعة صباحا .. لكن الطوابير لم تحشد بعد للهجوم ، فان الأمطار التى ظلت تهمى ثلاثة أيام قد ألانت الأرض وجعلت تحركات الجيش ومناوراته من العسر بمكان

وكانت الشمس تثقب الغمام فى بطء ، وموجة من الهواء القارس تجتاح السهل

وأخيرا ، عندما كمل استعداد الجيش للقتال ، امتطى نابليون فرسه الأبيض ، ومضى يستعرض قواته على طول الجبهة ، واختلطت أصوات قعقعة السلاح بصهيل الخيول وقرع الطبول تحية للقائد العظيم .. لكن كل تلك الأصوات ، رغم ضجيجها ، لم تكن الا «مصاحبة» خافتة لهزيم الرعد الذى انبعث من حناجر الجنود وهم يهتفون فى حماسة بالغة « يحيا الامبراطور »

كان ذلك أمجد استعراض شهده نابليون خلال السنين العشرين التى أمضاها فى القتال بصحبة جنوده الأوفياء . ولم يكد الضجيج يتوقف فى الساعة الحادية عشرة حتى تلقى الرماة الأمر باطلاق النار .. ثم انطلق المارشال ناى «أشجع الشجعان» فى المقدمة ومعه المشاة ..

وبذلك بدأت « واترلو » !

ولقد وصفت هذه المعركة مائة مرة، ولكن الانسان لا يمل قصتها ، فسواء وصفت بشعر « والتر سكوت » أو نثر « ستندال » أو شعر « فيكتور هوجو » .. فانها دائما تحتفظ بصبغتها الرائعة كعمل فنى ، فى مدها وجزرها ، وتأرجحها المستمر بين الجزع والأمل، ثم فى نهايتها الفاجعة، فهى رمز لمأساة حياة نابليون نفسها، وهى التى قررت مصير أوربا لقرون عديدة ، وختمت أيام نابليون المجيدة

ظلت الطوابير الفرنسية ساعتين تنسف المواقع وتحتل القرى ، ولا تتراجع خطوة الا لتتقدم خطوات . وزشقت الارض الموحلة بعشرة آلاف

جثة ، ورغم ذلك لم يكن أحد الطرفين قد وصل الى نتيجة ترجح كفته . كان كلا الجيشين متعبا ، وكلا القائدين قلقا ، كلاهما يدرك أن النصر للذي توافيه النجدات والعتاد قبل خصمه : ولنجتوف من جيش بلوخر ، ونابليون من جيش جروشي !

ومضى نابليون يفرخ الأفق بمنظاره المكبر ، ويرسل الرسول تلو الرسول للاستطلاع . آه لو وصل المارشال جروشي في الوقت المناسب . اذن لأشرقت على أرض فرنسا شمس « أوسترلتز » من جديد !

حماقة جروشي

أما جروشي فكان يجهل أنه يمسك بمصير نابليون في يده ، وفي غمرة هذا الجهل مضى في تنفيذ تعليمات امبراطوره بمطاردة بلوخر .. لكن الجيش مضى ومضى دون أن يعثر لجيش العدو على أثر ! ..

وفجأة ، في صبيحة يوم ١٨ يونيه ، بينما كان المارشال جروشي على أهبة تناول الطعام .. ارتجت الارض تحت قدميه ، وتوالت الاهتزازات العنيفة ، فارتمى بعض الضباط على الأرض محاولين معرفة الاتجاه الذي تأتي منه الانفجارات .. انها الطلقات الأولى من معركة واترلو !

وعقد جروشي هيئة أركان حربه ، فكان من رأي مرؤوسه القائد «جيرار» أن يخفوا بجيشهم عائدين لشد أزر الامبراطور في المعركة المحتدمة .. لكن جروشي اعتاد أن يطيع الأوامر طاعة عمياء ، فيجب أن يمضي في مطاردة البروسيين ! ..

وعاد «جيرار» يلح حين رأى تردد رئيسه « فلنعد لنلحق بالامبراطور » وكانت لهجته أقرب الى الأمر منها الى الرجاء ، فساء جروشي أن يخاطب بتلك اللهجة أمام مرؤوسيه من الضباط والمدنيين ، فأجابه في صوت حاسم بأنه سينفذ أوامر الامبراطور الكتابية حتى تصله أوامر أخرى تلغيها ! .. وخيم على الجميع صمت رهيب .. بينما كان هزيم المدافع ما يزال يدوى من بعيد !

وأراد « جيرار » أن يقوم بمحاولة أخيرة ، فالتمس من جروشي السماح له بأخذ فرقته وحدها ، واللحاق بالامبراطور ، قائلا ان في امكانه أن يصل قبل فوات الأوان .. فتردد جروشي ، لكن تردده لم يطل أكثر من لحظة

لحظة حاسمة في التاريخ

وكانت تلك اللحظة هي الحاسمة ، فقد قررت مصير جروشي ، ومصير نابليون ، ومصير العالم بأسره

المصير الذي كان خليقا أن ينقلب الى ضده لو وثق جروشي بنفسه ، واستجاب لنداء القدر ..

لكن جروشي رفض نصيحة ضباطه. فران على المكان سكون قصير .. وفي غمرة ذلك السكون ضاع شيء لم يكن في وسع الكلمات ، أو الأفعال ، أن تسترده .. ضاعت الفرصة الحاسمة.

ففي تلك اللحظات كتب في لوح القدر نصر ولنجتون.وهزيمة نابليون بونابرت

فقد مضى جروشي في طريقه لمطاردة البروسيين .. دون أن يبدو له منهم أي أثر !

أمسية « واترلو »

ولنعد الى ميدان المعركة ..

الساعة الآن الواحدة ظهرا ، وقد صد ولنجتون أربع هجمات . لكن قلب جيشه بدأ يتماوج .. ورأى نابليون في ذلك فرصته للقيام بهجوم نهائي ، وقبل أن يعكر دخان المدافع صفحة السماء ، راح الامبراطور يذرعها بمنظاره الكبير

ما هذه السحابة المقبلة من الشمال، بمحاذاة الغابة ؟ أهي جيش النجدة ولكن ، النجدة لمن ؟ أيكون جروشي قد ألهم أن يتصرف من تلقاء نفسه ، ويأتي لشد أزر امبراطوره في الوقت المناسب ؟

لكن ضابطا بروسيا أسر قرب « لاش » أحضر الى الامبراطور ،فقرر أن الجيش القادم ليس الا طلائع جيش الجنرال فون بلوخير .. وأدرك نابليون فورا ألعوبة بلوخير ، والخدعة التي خدع بها جروشي وأفلت بها منه كي ينجد جيش حليفه ولنجتون .. ومن ثم أرسل نابليون فورا الى جروشي أمرا بالعودة للاشتباك مع البروسيين والحيلولة دون دخولهم المعركة الكبرى بأي ثمن :

وفي الوقت نفسه أصدر أمرا الى « ناي » بشن هجوم جديد حاسم لقهر « ولنجتون » قبل وصول البروسيين لنجدته .. فشهدت تلك الأمسية قتالا رهيبا مرا لم يسبق له مثيل ، كانت القرى تكسب وتفقد عشرات المرات في الساعة الواحدة، وولنجتون مايزال صامدا .. ولا أنباء من جروشي

ولم ير نابليون بدا من المقامرة بكل قواه في هجمة واحدة، فعهد الى «ناي» ـ الذي كان جريئا بقدر ما كان جروشي حذرا ، والذي قتلت جياده تحته ثلاث مرات ـ بأن يغير على العدو بجميع فرسانه ، فلم تمض دقائق حتى وثب عشرة آلاف فارس نحو الخطوط البريطانية ، فاضطرب الميزان في جيش ولنجتون وفقد الجيش ثباته وصلابته . لكن قبضة الفرنسيين الحديدية على عدوهم أخذت تتقلص وتضعف رويدا رويدا ، حتى اضطر الفرسان الى الانسحاب ، تاركين الفرق الاخيرة من احتياطي نابليون تتقدم في بطء وعزم نحو المرتفع ، الذي كان يتوقف على احتلاله مصير أوربا !

الهجوم الحاسم

كانت اربعمائة مدفع تطلق نيرانها ورعدها ودخانها منذ الظهر، وهجمات الفرسان الخاطفة تتحطم موجة بعد موجة أمام بأس العدو، والهواء يدوى بقرع الطبول .. لكأن الكون بأسره يضج ويزأر! وكان كلا القائدين متيقظا من ناحيته مرهفا سمعه في انتظار صوت معين. كلاهما ممسك بساعة في يده، يعد الدقائق والثواني، في انتظار وصول النجدة اليه قبل خصمه! .. كلاهما يتطلع الى رجاله المقتتلين في الميدان على مرمى البصر منه. كان ولنجتون يعلم أن بلوخر لا يمكن أن يكون بعيدا، ونابليون يأمل أن يكون جروشي في طريقه اليه .. وكلاهما يوجه منظاره الى الأفق في انتظار الفرج!

كان كل شيء معلقا في الميزان، ينتظر أقل ثقل لترجيح احدى كفتي الميزان. كان الجيشان أشبه بمتصارعين في مباراة، متشابكي الأذرع، لاهثي الأنفاس، على وشك الاشتباك في الجولة الأخيرة

وفجأة سمعت طلقات مدافع من ناحية الغابة البعيدة، فصاح نابليون متهللا « أخيرا جاء جروشي » وفي نوبة الحماسة جمع بقية قواته وقذف بها ضد « قلب » جيش ولنجتون، آملا أن يحطم الحلقة البريطانية حول بروكسل فيفتح أبواب أوربا!

لكن الطلقات التي سمعت لم تكن تشير الى اشتباك بين بلوخر وجروشي، بل كانت طلقات تبودلت خطأ بين قسمين من جيش بلوخر الالماني، فلما اكتشف الخطأ سكتت الطلقات وتقدم جيش بلوخر كله دفعة واحدة. فلم تلبث أن اندفعت أمواج كاسحة من الرجال من بطن الغابة متدفقة نحو السهل. انه ليس جروشي الذي وصل بل هو بلوخر .. وانتشر النبأ في صفوف الجيش الفرنسي سريعا فخارت العزائم، وعم الذعر والفزع

وانتهز ولنجتون الفرصة، فامتطى جواده الى وسط الصفوف ثم رفع قبعته وأخذ يهزها في الهواء مشيرا الى جيش الأعداء .. وأدرك جنوده مغزى اشارة قائدهم الظافر، فاندفعوا كرجل واحد نحو صفوف فريستهم التي لم يبق لها حول ولا طول .. ووراء الفرسان البروسيون يخوضون بين أشلاء الجيش الامبراطوري المهزوم، فسرت في الصفوف الفرنسية من فم الى فم همسات النزع « فلينج كل بنفسه » ... ولم تمض لحظات حتى صار جيش الامبراطور أشبه بسيل متضارب الأمواج، يجرف أمامه كل شيء وكل انسان، حتى نابليون نفسه:

لقد تحول الجيش الفرنسي الى قطيع من الماشية المفزوعة المنزعة .. ولولا حلول الظلام لما تمكن نابليون نفسه من الفرار !

وفى منتصف الليل دخل رجل ملطخ بالأوحال، يبدو عليه الاعياء الشديد، حانة متواضعة فى احدى القرى الفرنسية، ثم تهالك على أول مقعد صادفه .. انه لم يعد امبراطورا ! . لقد أسدل الستار نهائيا على امبراطوريته ، وسلالته ، ومجده .. تلك التى بناها أشجع الرجال، وابعدهم نظرا ، خلال عشرين عاما .. فحطمها فى لمح البصر غباء رجل تافه ضعيف

أجراس النصر .. ونذر الهزيمة

وفى اليوم التالى كانت أجراس الفوز والفرح تدق فى بروكسيل ولندن ، وبقية العواصم .. ثم أخذت قصة هزيمة الامبراطور تشيع وتنتشر فى كافة الانحاء ، فتفرخ من روع أوربا التى أقض نابليون مضاجعها زهاء ربع قرن

ولم يبق جاهلا بنبأ واترلو الارجل واحد ، كان ما يزال يطارد خيال الجيش البروسى، هو جروشى التعس:

وفى الساعة العاشرة من ذلك الصباح لاح فى الأفق أحد ضباط نابليون مقبلا فوق صهوة جواده .. فتلقاه جروشى وضباطه بالأسئلة والاستفسارات .. لكنه لم يستطع أن ينطق بأكثر من بضع كلمات فى همهمة غامضة لم يفهمها أحد ، أو لم يشأ أن يفهمها أحد .. ماذا يقول ؟ لم يعد هناك امبراطور ؟ لم يعد هناك جيش امبراطورى ؟ فرنسا قد هزمت؟ لا بد أنه مجنون هذا الضابط ، أو مخمور .. ولكن شيئا فشيئا أخذت مدارك السامعين تهضم النبأ ، بينما اتكأ جروشى على سيفه شاحب الوجه، لا ينطق بكلمة !.. وحين عاودته قواه جمع ضباطه حوله وخاطبهم والدموع تنهمر من عينيه ، مؤنبا نفسه على تردده وجموده ، معترفا بأنه سبب الكارثة ..

وحين عاد الى باريس لم يكن هناك امبراطور يستقبله، ولا عدو يحاربه. لقد عاد متأخرا ، ولن تستطيع قوة أن تعيد ما ضيعه !

ورغم أن أحدا من جيشه لم يحاسبه على فعلته .. ورغم أن عصا الماريشالية ردت اليه .. ورغم أنه عاد يحتل مكانه فى مناصبه السابقة .. فان شيئا لم يستطع أن ينسيه تلك اللحظة الخاطفة التى اختاره فيها القدر سيدا له ، وسلمه زمام التاريخ ، فعجز عن أن يجعل نفسه جديرا بهذا الشرف المجيد!

[ملخص عن كتاب « مجلة الحظ »]

عندما أهدت الملكة فيكتوريا صورتها .. الى محمد على !

بقلم محمد رفعت بك

القوة فى السياسة الدولية ـ كالمال والملابس للرجال والنساء ـ هى التى ترفع مقام الدولة فى نظر الشعوب والحكومات ، وتجعل لملوكها وأمرائها ورجالها شأنا يعلو بهم فوق أقدار الآخرين من الخاملين العاطلين والمستضعفين

ومن أجل مآثر محمد على الكبير على مصر انه أنشأ لها قوة حربية وبحرية دوت أخبار انتصاراتها فى آذان العالم جميعا . فكان الملوك والساسة وعامة الناس شرقا وغربا ، اذا ما طرقوا موضوع السياسة الدولية بين سنتى ١٨٣٩ و ١٨٤١ ، لا يتكلمون الا عن انتصارات محمد على وهزيمة السلطان ، وعن تطورات المسألة الشرقية واحتمال وقوع الحرب بشأنها . وان القارىء لمجموعة الخطابات التى تبادلتها الملكة فكتوريا مع خالها ليوبولد ملك البلجيك ومع وزرائها ، ليدهش ان يرى مبلغ اهتمام الساسة بهذه الأزمة ، واشتغالهم بأنبائها عما عداها ، حتى



ان ملكة انجلترا لم تغفل عن ذكرها وهى تكتب خطاباتها الخاصة لذوى قرباها . وكانت الملكة الشابة اذ ذاك تنعم بأسعد أوقات حياتها ، فقد ارتقت عرش انجلترا ولم تكد تبلغ الثامنة عشرة من عمرها ، وقد حباها الله جمالا وذكاء وحبا للخير جعلها معبودة الشعب الانجليزى وفتنة للناس جميعا . وقد اكتملت سعادتها حين تم زواجها فى فبراير سنة ١٨٤٠ بالأمير البرت ساكس كوبرج ، وهو ابن خالها الأمير أرنست

وفى أكتوبر من ذلك العام كانت الملكة والبلاد تستعد لاستقبال بشرى ولادة ولى العهد ، فكتبت فكتوريا الى خالها ليوبولد تقول له : « انها شديدة الاهتمام باعادة الصفاء والسلام بين انجلترا وفرنسا ، وان لهجة اللورد بالمرستون وزير خارجيتها قد خفت عما كانت عليه من قبل ، وأنه استمع لنصحها ، فكتب الى القسطنطينية يطلب الى سفيره حض الباب العالى على سحب

فرمان عزل محمد على ومنحه حكم مصر بحق الوراثة » . ثم قالت فى ختام خطابها : « ان الناس هنا ليس لهم حديث الا موضوع المسألة الشرقية وانها لذلك تقترح — فى دعابة رقيقة — ان يضاف الى أسماء المولود المنتظر اسمان آخران ، « تركى ومصرى » !

ولكن مولودها الأول جاء أنثى فأسمتها فكتوريا أيضا وهى والدة وليم الثانى امبراطور المانيا المشهور، ولم يولد ولى العهد ادوارد الا بعد عام من ذلك التاريخ

□

ولما علمت فكتوريا ان السفير الانجليزى بالقسطنطينية يتباطأ ويعرقل الاتفاق بين محمد على والسلطان ، ويؤخر بذلك انهاء الأزمة ، أمرت بأن تعرض عليها الخطابات التى يرسلها اليه وزير الخارجية ، فكانت تقرؤها وتوقع عليها بالحرف الأول من اسمها بعد ان تؤشر عليها بالموافقة السامية

ومن عجب ان اهتمام الدول بشأن محمد على بعد انتهاء الأزمة لم يقل عما كان فى أثنائها ، بل انه ليبدو ان الدول كانت تنافس بعضها بعضا فى اظهار شعورها واعلان تقديرها لمحمد على ، فأرسل السلطان عبد المجيد مندوبا خاصا من قبله يدعو محمد على الى زيارة اسطنبول ، فزارها فى يوليه سنة ١٨٤٦ ونزل فى أحد قصور السلطان بترابيا ، وتغدى بمفرده مع السلطان بعد ان قدمه بنفسه الى السلطانة الوالدة ، وأهدى اليه السلطان صورته ورصيعة ماسية حلى بها صدره عند عودته . وأهدى اليه الملك لوى فليب ملك فرنسا الوشاح الأكبر من وسام الشرف وساعة بلغت قيمتها ٢٨٠٠ جنيه . وأرسلت اليه مدينة لندن خطابا تعترف فيه بمآثره على رجال الأعمال وتشيد بالسياسة المستنيرة التى سار عليها حتى فى أثناء محاربة الدول له . أما حكومة الهند فأهدت اليه فى سنة ١٨٤٥ نافورة عظيمة من الفضة الخالصة بلغ ارتفاعها عشر أقدام وقطرها أربع أقدام وكانت تزن ١٠٫٤٠٠ أوقية من الفضة لايقل ثمنها عن ٧٠٠٠ جنيه

□

غير ان أعظم الهدايا قدرا فى نظر محمد على كانت الهدية التى وصلته من الملكة فكتوريا . وكان ذلك فى أكتوبر سنة ١٨٤٥ حين تم الاتفاق بين الحكومتين المصرية والانجليزية على نقل البريد الانجليزى داخل مصر بوساطة الطريق البرى من الاسكندرية الى السويس . وقد أرادت الحكومة الانجليزية ان تقيم نظام نقل البريد على أساس ثابت بينها وبين مصر ، حتى لايتعرض فى المستقبل لأى خطر

بعد وفاة محمد علي . وكانت هذه الحكومة في الوقت نفسه تشعر بحرج اذا عقدت الاتفاق مع محمد علي رأسا ، فان في عقد اتفاق مباشر بين الحكومتين شبه اعتراف من جانب انجلترا باستقلال مصر . وكان هذا مما يسيء الى العلاقات بينها وبين تركيا . فغضب محمد علي لذلك وأصدر في الحال قرارا بتأليف شركة حكومية أسماها « شركة الترانسيت (تجارة المرور) الاميرية » وعين مديرا لها عبد الباقي بك . فاتصل مدير الشركة بمدير البريد الانجليزي وتم الاتفاق بينهما على ان تقوم مصر بنقل البريد الانجليزي مقابل ٤٠ قرشا عن كل رطل انجليزي وخمس بارات (٤٠ بارة = قرشا) عن كل جريدة أو ورقة مطبوعة . وقد أعجبت الحكومة الانجليزية بتصرف الباشا فقررت ان تعبر لمحمد علي عن تقديرها وشعورها نحوه باهدائه صورة الملكة اليه . وفي ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٤٥ كتب وزير الخارجية لورد ابردين Aberdeen الى القنصل العام الانجليزي بمصر يبلغه ان صورة الملكة المرصعة بالألماس سترسل في أوائل الشهر المقبل لاهدائها الى الباشا . وكذلك كتب اللورد يدعو ابراهيم باشا الى زيارة انجلترا في أثناء رحلته للتداوي بأوربا ، ويؤكد في خطابه انه سيلقى فيها رعاية كبرى لا للمزايا التي يتمتع بها ابراهيم باشا فحسب ، ولكن كدلالة لما يكنه الشعب الانجليزي من الاعتبار نحو محمد علي نفسه

ولما قدمت الى محمد علي الهدية النفيسة التي أرسلتها شركة الهند الشرقية باسم حكومة الهند اتجه محمد علي نحو القنصل الانجليزي ، وقال :

— اني أحسب الايام وأعدها عدا حتى تصل الباخرة الانجليزية التي تحمل هدية الملكة . ان الشيء القليل الذي يأتيني من لدن الملكة لأجل قدرا وأعظم قيمة من الكنوز جميعها التي تقدمها الى شركة الهند

وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٤٥ وصلت الهدية ، فأعد الباشا حفلا رائعا انتظم مئات من المصريين والأجانب بملابسهم الرسمية . ولما قدم القنصل هدية الملكة في صندوقها المكسو بالمخمل الأخضر ، رفعها الباشا الى رأسه ثم وضعها على وسادة أمامه وقال مخاطبا القنصل :

— ان تأثري الشديد قد غلبني وأعجزني عن التعبير عما يخالج نفسي من شعور الغبطة . واني لأعهد اليك يا جناب القنصل ان تبلغ لورد ابردين تقديري لهذا الشرف العظيم الذي حبتني به الملكة

محمد رفعت

معرض صور الشهر

اختارها وعلق عليها الدكتور ابراهيم ناجى

زار الكاتب – وهو من الشخصيات المعروفة بخفة الدم وسلامة الذوق – قسم التصوير بدار الهلال . وفيما هو يتفحص أكداس الصور التى وصلتنا – من الخارج – خلال الشهر الماضى أبدى إعجابه بمجموعة منها . . وعلى هذه الصفحات ننشر بعضها مع تعليقه عليها

ظفرت المرأة بكل شيء فى الوجود على سطح الأرض . . وها هى تحاول أن تغزو قاع البحر . وهاتان غواصتان غاصتا فى قاع المحيط ، فلذ لهما أن يقضيا فيه بعض الوقت ، فلم تجدا وسيلة للتسلية خيراً من عد السلاحف وترقيمها





المرأة هى المرأة ، فى الشرق أو فى الغرب . . إنها تمجـد البطولة وتعبد القوة ، وقد عثرت هؤلاء الأمريكيات على حلمهن يتحقق فى صورة هذا الأمير العربى الوسيم الذى هبط عليهن فى زيارة عابرة ، فصار لسان حال كل منهن يهتف مع الشاعر :

وتقول كل بنيـــة   يا قيس إنى بنت عامر



فريق من هواة الفن الأجانب يعيدون الينا عصر بغداد – كما يتخيلونه – ترى هل كان عصر الرشيد عصر قرصنة ؟ . . يا فرط ما يجهلون ، انه كان أزهى عصور التاريخ !

هذا الرجل المفتون بما اجتمع على صدره من أوسمة ، يحق له الزهو . فانه – وهو أحد رجال جيش الخلاص – قد أنقذ من الأرواح ابان الحرب ما يزيد على عدد هذه الأوسمة







كاد الزمان يهد كيانها .. ولكنها تتناسى الموت وتتشبث بالحياة . ان نظرة هذه العجوز تعبر أصدق التعبير عن شيئين : خيال الماضي، والتعلق بالحاضر . انها تستعيد ذكرياتها فترى فيها ما يبرر تشبثها بالحاضر

منذ خلقت حواء والمرآة تلعب في حياتها دوراً هاما .. ويرى علماء النفس أن ذلك راجع ــ في الغالب ــ الى رغبتها الملحة في توكيد سلطانها برؤية جمالها . ما أروع صورة هذه الحسناء وخيالها في المرآة !



عجباً . . هذه الغادة الحسناء التي كثيراً ما اشعلت القلوب ، تخشى أن يصيبها من اللهب ما أضرمت ، فارتدت ثوباً من نسيج خاص لا يحترق مهما تعرض للنار ـ اهتدت الى صنعه أخيراً احدى الشركات ـ وها هي تعرضه في معرض دولي وقد وقف بجوارها مندوب الشركة يدلل بالاختبار على عدم قابلية هذا النسيج للاحتراق مهما اشتدت قوة اللهب



مهما تجملت المرأة بالوداعة ، فانها تحس فى قرارة نفسها بحنين الى السيادة والسيطرة .
ويبدو أن هذه الغادة لم تقنع بالسيطرة على الرجال ، فسلطت سحرها على «ملك الغابة»
فلم يجد مفراً من التسليم والاذعان .. ترى هل أمسكت بهذا المفتاح الكبير لتشير به الى
أن الصراع بين الجنسين هو مفتاح الوجود وسر الحياة على مر الأيام والعصور

هذه حادثة وقعت لرجل روسي يدعى الكسيس سيميانوسكي ، في عهد الحكم القيصري ، أي قبل الحرب العالمية الأولى . وقد رواها صديق له رافقه في هربه من المنفى بسيبيريا . وقد أذاعت الحكومة الروسية القيصرية في ذلك الوقت نبأ وفاة الكسيس غرقاً ، فهل غرق حقاً ؟

الغريق الذى لم يغرق!

نفى الكسيس سيميانوسكي الى مجاهل سيبيريا بسبب آرائه وميوله السياسية . وكنا زميلين في عهد الدراسة ، فوطدت العزم على مساعدة صديقي على الهرب من منفاه . وأصبحت هذه النية شغلي الشاغل ، فأعددت العدة لتنفيذها ، وغادرت روسيا الاوروبية منتحلا صفة تاجر فراء ، ووصلت الى مدينة توبولسك ، في جبال الأورال ، حيث علمت ان صديقي يقيم في بلدة سورجوت ، وهي بلدة كان المنفيون يرسلون اليها ويعيشون فيها أحرارا ولكنهم لا يغادرونها . وكانت الحراسة شديدة حول القرية . وعلمت أيضا ان السكان يحبون سيميانوسكي ويجلونه ، لأنه كان كثير العطف عليهم ، منصرفا الى معالجة الفقراء والمرضى منهم مجانا . وقيل لي أيضا ان سيميانوسكي قد رضي بحالته ، وعول على قضاء بقية حياته في ذلك المنفى مع زوجته وابنته ، وانهم يقيمون في منزل كبير بالقرب من كنيسة القرية

كنت أجهل ان سيميانوسكي قد تزوج . وأدركت ان وجود زوجته وابنته معه مما يجعل الفرار صعبا ويقيم في طريقي العراقيل . لكنني لم أعدل عن عزمي ، بل جعلت أحسب حسابا لهذه الصعوبة الطارئة ، ولم أظهر أمام الناس انني كثير الاهتمام بحالة الرجل

وبعد بضعة أيام من وصولي الى توبولسك ، واصلت السفر بطريق النهر الى سورجوت فبلغتها في اليوم التاسع من شهر يونيو

وبعد وصولي بقليل كنت أمام منزل سيميانوسكي . ولو أصغيت لصوت العاطفة حينذاك لاندفعت في الحال الى داخل الدار . ولكنني رأيت الجندي الحارس الذي يقيم مع كل واحد من المنفيين في سيبيريا ، ليراقبه ويحصي عليه حركاته وسكناته ، فتريثت ، وانتظرت . ولم يطل انتظاري فقد خرج رجل من الباب لم أعرفه في بادىء الأمر ، لفرط ما طرأ على وجهه من تغيير : كان هو الكسيس

سيميانوسكى ؟ ان الطالب المرح الذى عرفته فى الجامعة قد أصبح الآن كهلا قبل الأوان ، وشق الحزن فى وجنتيه الأخاديد ، وبدا عليه الضعف والهزال . فاقتربت منه ، وذكرته بنفسى ، وتصافحنا مصافحة مؤثرة

▭

كنا نلتقى مسرارا اذ انه كان الشخص الوحيد الذى يهمنى أمره فى تلك البلدة . وجعلت أطوف فى الغابات المجاورة بحثا عن الفراء . واستخدمت رجلا من السكان يدعى « يابلى » ، فصار يصحبنى فى طوافى ، وعولت على الاستعانة به فى تنفيذ خطتى ، لأنه أثبت لى وفاءه واخلاصه

جاء الصيف وهو شديد الوطأة فى تلك البقاع ، وصار الناس يخرجون الى الخلاء ويستحمون فى مياه نهر « اوب » جماعات جماعات . وكان صديقى الكسيس سباحا ماهرا . فحدث مرة ان ابتعد عن ضفة النهر فجرفه التيار بقوة ، وعبثا حاول العودة فلم يفلح ، وألقيت بنفسى فى اليم مسرعا الى الناحية التى كان يتخبط فيها . وكان يطفو على سطح الماء ثم يختفى ، والتيار يدفعه الى الامام وانا ألحق به ، حتى اذا ما وصلنا الى منحنى من النهر ، تمكنت من انقاذه ، وألقيته على الضفة . ثم التفت حوالى فاذا بنا فى مكان بعيد عن البلدة ليس فيه أحد . ولحق بنا يابلى الذى كان يصطاد السمك على مقربة من ذلك المكان فأخذنا الكسيس ونقلناه الى مخبأ أمين فى وسط الغابة ، حيث عهدت الى الخادم باسعافه والسهر عليه ، وأدركت فى الحال ان الفرصة قد سنحت لانقاذه والهرب معه من ذلك المنفى

عدت الى القرية حيث كان الناس لا يزالون على ضفة النهر يتساءلون : ماذا حدث لألكسيس ؟ .. فقلت لهم : اننى لم أتمكن من اللحاق به ، وانه قد غرق عند منحنى النهر ، فأسفوا جميعا لموته ، ورأوا ان لا فائدة من البحث عن جثته ، لأن نهر أوب لا يلفظ أبدا جثة غريق يبتلعها

▭

وجدت زوجة صديقى فى حالة يأس شديد ، ولكننى أعدت الأمل والثقة الى نفسها باطلاعها على حقيقة ماحدث ، ورجوت منها ان تتمالك أعصابها وان تكون كتوما فلا تبوح لأحد بالسر ، ولا تدع الناس يفطنون الى ما نحن قادمون عليه لانقاذ زوجها ، واتفقنا على خطة العمل فى المستقبل

طلبت من زوجة سيميانوسكى ان تعد مكانا أمينا فى بيتها ليختبىء فيه زوجها . وقلت لها ان سكان البلدة لن يدهشوا لعزلتها ، وعدم خروجها من البيت ، بعد الذى حدث لها ، وبوصفها امرأة فقدت زوجها . وفى مساء ذلك اليوم أبعدنا الجندى الحارس تيودور ، فى مهمة عهدنا بها اليه . وفى أثناء

غيبته ، ذهبت الى حيث كان سيميانوسكى مختبئا وعدت به الى البيت تحت جنح الظلام . وأدخلناه الى حجرة زوجته حيث كان الفراش فى انتظاره ، لأنه كان فى حاجة الى الراحة بعد تلك الظروف القاسية التى مرت به ، وبقائه مدة طويلة فى الماء

▭

وفى آخر شهر أكتوبر ، تلقت زوجة صديقى من الحكومة ، بالبريد القادم من توبولسك ، الاذن لها بالعودة الى الجزء الأوروبى من روسيا ، على اعتبار ان بقاءها فى المنفى لم يعد له معنى بعد وفاة زوجها . وحمل اليها الاذن بالعودة الى الحرية أكبر موظف فى سورجوت . وبعد ان هنأها بالافراج عنها ، عرض عليها ان تسافر الى أركوسك ، وان أكون أنا رفيقها فى الطريق ، لأننى رجل مشهود لى بالأمانة ، ولست من رجال السياسة بل من التجار . وقد طربنا جميعا لهذا الخبر ، ولكن الموظف أضاف قائلا انه سيرسل معنا ذلك الجندى تيودور الذى لازم سيميانوسكى فى منفاه لمراقبته ، لحراستنا أثناء الطريق ، فلم نرتح لهذا النبأ لأن رفقة ذلك الجندى ستضايقنا فى الطريق ، وتجعل فرار سيميانوسكى من أكثر المجازفات خطرا . فكيف السبيل الى التخلص من هذه الورطة ؟

فكرنا طويلا ، ولم نجد بدا من الرضوخ لارادة الموظف . فجعلنا نضرب أخماسا بأسداس لنجد وسيلة تمكننا من السفر بصحبة صديقى سيميانوسكى وصحبة الجندى فى آن واحد

▭

ووجدنا تلك الوسيلة !

ففى اليوم المحدد للسفر ، جئت بمركبة من المركبات المألوفة فى سيبيريا والتى يستخدمونها لنقل النساء والاطفال . وهى محاطة بألواح من الخشب مما يجعلها أشبه شىء بصندوق كبير . وفرشت أرضها بسجادة ووضعت على نوافذها ستائر قاتمة . ولم يدهش أحد عندما خرجت من البيت مع بابلى ، حاملين حزمة ضخمة من الفراء ، لأن الجميع كانوا يعرفون اننى جئت الى البلدة للاتجار بها . وكانت تلك الفراء تخفى فى طياتها الصديق العزيز الذى جئت لانقاذه ، الكسيس سيميانوسكى !

وضعنا الفراء فى المركبة ، وجلست زوجة سيميانوسكى وابنتها بجانبها ، وجلست أنا على مقعد القيادة . أما تيودور حارسنا فى الطريق فقد كلف بقيادة المركبة التى تحمل أمتعتنا جميعا . وانطلقت المركبتان فى طريق أركوسك

وتمكنت رفيقتى من ايصال الطعام فى الطريق الى زوجها المختبىء فى داخل حزمة الفراء ، والذى أدرك الخطر الذى نجتازه معا ، فأبدى شجاعة



« وثبت عليه ، وأوثقت يديه بحبل كنت قد
أعددته لهـذا الغرض . . فخاف وأصبح لين
الجانب خاضعاً لمشيئتي، وامتنع عن أية مقاومة »

عظيمة وصبرا يدعوان الى الاعجاب . فان أقل حركة منه كانت تؤدى الى عواقب وخيمة ، اذا فطن الجندى تيودور الى وجود الأسير في مركبتنا، وهو يعتقد انه مات غرقا في النهر !

مررنا بسلسلة من القرى والمراكز، في سهول ينيسيسك ، وكان موظفو الجمارك ورجال البوليس يفتشون أمتعتى ، ولكنهم لا يقتربون من مركبة « الارمل » المسكينة وابنتها ، ومن رزمة الفراء الملقاة في ركن من المركبة

▭

وبلغنا أركوسك في أوائل شهر فبراير ١٨٩٤ ، وكان لسيميانوسكى في تلك المدينة أصدقاء كثيرون . فبحثنا عنهم ، ولكننا لم نجد أحدا منهم في المدينة ، فقد شاءت الصدف ان يكونوا جميعا مشغولين بالصيد في الغابات المجاورة

بعت جزءا من الفراء في أركوسك، وساعدتنى هذه الصفقة على الاتصال برجل طلب منى السماح له بالسفر معنا الى الحدود ، فوافقت على طلبه بارتياح عظيم ، وسررت لالتحاق رفيق جديد بقافلتنا ، لأن الجندى الحارس تيودور كان يبدى كثيرا من القلق والاضطراب ، مما جعلنى أعتقد انه يضمر لنا الشر ويدبر شيئا ليس في مصلحتنا . فانضم الينا ذلك الرجل واسمه ريزنكامبف ، وأجلسته الى جانب الجندى ، في مركبة الأمتعة ، وطلبت اليه ان يراقب تيودور ويمنعه من التحدث على انفراد مع رجال البوليس والحراس في المراكز التى نجتازها

▭

كانت مخاوفي صادقة . فقد حدث في الطريق ، ونحن واقفون للراحة، ان سمعت زوجة سيميانوسكى أنينا منبعثا من بين حزمة الفراء ، فاقتربت منها لتعرف اذا كان زوجها يشكو من شىء ، واذا بها ترى أمامها الجندى تيودور وهو يقهقه !

عادت الى المسكينة ، وهى تقول : « لقد هلكنا ! .. ان تيودور قد فطن الى كل شىء ! »

لكننى هدأت روعها .. ودعوت صديقنا الجديد ريزنكامبف الى قيادة المركبة بدلا منى بحجة اننى متعب ، وجلست أنا الى جانب الجندى في مركبته ، واستأنفنا السير الى الأمام

تسلقنا طريقا جبليا وعرا ، وبدت لنا من بعيد قمم سلسلة « التساى » المشرفة على حدود سيبيريا والصين ، وهى الحدود التى كنا نقصد اليها ، لمواصلة السفر منها الى أوروبا بطريق البحر من احدى الموانىء الصينية

رأيت الفرصة مناسبة ، فى ذلك المرتفع الوعر الموحش ، لتنفيذ الخطة التى رسمتها في خاطرى للتخلص من الجندى المزعج . فتعمدت الخطأ في القيادة ، وجعلت المركبة تحيد عن

الطريق وتنزلق الى حفرة عميقة فسقطنا نحن على الأرض وسط الثلوج المتراكمة هناك

وما كاد الجندى ينهض ويستعيد رشده ، حتى كنت من ناحيتى قد وثبت عليه ، وأوثقت يديه بحبل كنت قد أعددته لهذا الغرض ، ووضعت فوهة مسدسى أمام وجهه فخاف وأصبح لين الجانب خاضعا لمشيئتى ، وامتنع عن اية مقاومة . ثم نزعت عنه ثوبه العسكرى ، وأبدلته بثوب آخر مما كنت أحمله ، فارتدى تيودور الثوب الجديد تحت تهديد المسدس ، وربطته بالحبل الى شجرة على حافة الطريق ، وتركته على هذه الحال بعد ان وعدته بأن أبعث اليه بمن ينقذه بعد قليل

□

وتركت المركبة حيث هى ، ولكننى أخذت حصانا واحدا من الاثنين اللذين كانا يجرانها ، وأضفته الى حصانى المركبة الأخرى . ودعوت صديقى الكسيس الى الخروج من مخبئه فخرج . وأعطيته ثوب الجندى فارتداه ، وجلس على مقعد القيادة بجانبى ، وبقيت زوجته وابنته فى داخل المركبة ، التى نقلنا اليها أيضا أمتعتنا . أما صديقنا ريزنكامبف . فقد رأينا ان لا يرافقنا الى أبعد من المسافة التى بلغناها ، فتركنا له المركبة الأخرى والحصان الباقى ، على ان يتدبر أمره ويواصل سفره تاركا الجندى تيودور مربوطا الى الشجرة

أرخيت العنان للخيول فانطلقت تنهب الأرض نهبا ، فى الطريق الى محطة فرودكاساك ، على الحدود . واقترب منا موظفو الجمارك ورجال البوليس لفحص أوراقنا وتفتيش أمتعتنا .. وكانت لحظة رهيبة !

□

أخذ أحدهم جواز سفرى فوجده قانونيا لا ينقصه شىء .. وأخذ الكسيس سيبيانوسكى ، وهو متنكر فى ثوب جندى ، جواز زوجته وابنته وقدمه بنفسه لموظف آخر ، ولعب دوره بمهارة فجعل يرد بصوت أجش على الاسئلة التى وجهها اليه الموظف ، فأحسن الرد والتمثيل !

وبينما كان الموظفون الآخرون يفتشون الأمتعة والبضائع المكدسة فى المركبة ، طلب الكسيس من رئيس المركز ان يسمح له بمواصلة السفر معنا الى ما وراء الحدود ، لزيارة أقاربه الذين ادعى انهم يقيمون فى بلدة أورجا الصينية . وكان لا بد من اعطائه جوازا للمرور . فوافق رئيس المركز على طلبه ، وجلس الى مكتبه لاعداد تلك الوثيقة

ورأيت ان الكسيس متعب جدا ، فأمرته بصوت مرتفع بأن يذهب لحراسة الخيل ، وبقيت أنا أمام الضابط فى انتظار الوثيقة . وفجأة ، ألقيت نظرة

من النافذة فرأيت رجلا يعدو من بعيد نحو المكان وعرفته : هو تيسودور ، الجندى الذى ربطناه فى الشجرة ، والذى فك وثاقه أحد المارة فتبعنا وأدركنا قبل ان نجتاز الحدود !

قلت فى نفسى : لقد هلكنا ! فلو وصل هذا الرجل الى هنا ، لفضح أمرنا،ولعرف هؤلاء الجنود والموظفون الحقيقة ، وقبضوا على الكسيس وأعادوه الى منفاه ، وربما ساقوه الى ساحة الاعدام !

أدركت الخطر .. وبأسرع من لمح البصر ، وثبت على الضابط، وانتزعت جواز السفر من يده ، وقفزت الى الخارج حيث كان الكسيس ينتظرنى جالسا على مقعد القيادة ، وزوجته وابنته فى داخل المركبة ، فأخذت مكانى بجانبه ، وأطلقت عنان الخيول فى وثبات هائلة الى الأمام مبتعدا برفاقى عن مقر الخطر !

أخذ الجنود والموظفون على غرة ، فجعلوا يصيحون طالبين الى الوقوف ، وأطلقوا علينا الرصاص فأخطأونا ، ولكن رصاصة واحدة أصابت أحد الخيول الثلاثة اصابة غير خطيرة ، فضاعف الألم سرعته !

وبعد دقائق معدودة كنا قد اجتزنا الحدود ، وتركنا وراءنا تلك الارض الملعونة ، أرض المنفى والعذاب ، ودخلت الأرض الصينية التى لايستطيع الجنود والموظفون الروس ان يلحقوا بنا فيها

ولم يقل أحد منهم شيئا عن ذلك الحادث ، اما لأنهم خافوا من القصاص والعار ، واما لأن صديقنا ريزنكامبف اشترى سكوتهم بالمال . أما الحكومة الروسية، فانها ظلت تعتقد ان الكسيس سيميانوسكى مات غرقا فى نهر أوب!

[عن مجلة « جورنال دى فوياج »]

بلسان الأجيال القادمة !

كان عضو فى البرلمان الأمريكى ـ يدعى الجنرال الكسندر سميث ـ يضايق المجلس باطالته فى الكلام الى حد الملل .. وذات يوم أطال فى كلامه أكثر حتى من المعتاد ، وفيما هو يشرح رأيه قاطعه واحد من المعارضين كان جالساً بجواره فالتفت الجنرال اليه قائلا : « إنك تتكلم بلغة الجيل الحالى، أما أنا فأنطق بلسان الأجيال القادمة ! »

فأجابه خصمه فى الحال : « ويظهر انك تعتزم المضى فى الكلام حتى يصل الذين تنطق باسمهم ! »

صارح طبيبك ..

بقلم الدكتور محمد كمال قاسم
اخصائي الأمراض العقلية والعصبية

لئن كانت الصراحة واجبة في معاملة الافراد فيما بينهم وبين بعضهم ، فهي أوجب ما تكون بين المريض وطبيبه ، اذ يسعى كلاهما لغرض واحد وقصد معين ، هو مقاومة المرض والتخلص من آثاره . ولئن وجب على الطبيب أن يكون أمينا في صناعته فيستقصي أصل العلة ومبعث شكاية المريض ، فان على المريض أن يكون وفيا لنفسه يعاون طبيبه بذكر كل ما يعرف عن مرضه وعوارضه ، وما يراه متعلقا به من الشؤون الشخصية والمعيشية والعائلية ، وان يتوخى الصراحة التامة والدقة في ايراد ذلك ، فان هذا هو خير هاد للطبيب في عمله ، وخير مستند له في تشخيص العلة والوصول الى مسبباتها

وقد لايعرف الكثيرون ان تشخيص المرض يتوقف الى حد كبير على صراحة المريض وذكر مايشعر به من عوارض مرضه ، والظروف التي بدأت فيها شكواه ، وسير هذه العوارض وما اتبعه في علاجها ، سواء بالاستشارات الطبية . أو الوسائل الاخرى . ولست أذيع سرا اذ أذكر أن ما يقوم به الطبيب من فحص لا يؤدي دائما لمعرفة المرض بالذات ، بل كثيرا ما يشخص الطبيب الداء من شكاية المريض وما يذكره من عوارض . وانما يكون الكشف لتمييز العلة من شبيهاتها ، ولمعرفة أسبابها في كل حالة على حدة . لهذا كانت صراحة المريض التامة في ايراد كل ما له علاقة بمرضه أو بمعيشته ، الركن الاساسي في تشخيص المرض وعلاجه . وان على المريض الذي يحاول أن يخفي عن طبيبه شيئا من المعلومات مهما كان تافها ، أو يحاول أن يراوغه ، أن يتحمل تبعة ما قد يحدث من خطأ في تشخيص اصابته ، وبالتالي عدم انتفاعه بالعلاج

●

ويحاول بعض المرضى أن يختبر الطبيب ويسبر غور معلوماته ، وذلك باخفاء شيء من تاريخه المرضي ، أو بنفي وجود أمراض وراثية أو مزمنة ببعض أصوله أو فروعه ، ويظن ان

فى ذلك كسبا له ، والحقيقة انه انما يخدع نفسه ، ويمهد للطبيب سبيل الخطأ فى التشخيص والعلاج ، ولكم كنت أرثى للمرضى فى بعض البلاد النائية فى الصعيد ، اذ كنت اسأل المريض منهم عن شكايته فيجيب : « أمال أنا جايلك ليه لما اجولك عل وجيعتى » أو « لما أنا حجولك امال انت حكيم ازاى » وهكذا ..

وليعلم كل مريض انه كلما اسهب فى ذكر تفصيلات اصابته وتطوراتها، وكلما توخى الصراحة والصدق فى الاجابة على أسئلة الطبيب ، كان فى ذلك العون على شفائه وتخلصه من علته

وقد يقتصر ضرر عدم مصارحة المريض لطبيبه على الخطأ فى تشخيص الاصابة.. وعدم اتباع العلاج الناجع الى حين ، ولكن ذلك قد يكون غالبا مبعث تفاقم الحالة وهلاك المريض ، من ذلك حادثة لن انساها لشاب أصيب بارتفاع درجة حرارته مع آلام فى جميع اجزاء الجسم وعوارض تسممية أخرى ، واختلفنا نحن الاطباء فى تشخيص حالته التى أخذت تتطور من سيىء الى اسوأ ، رغم التحليلات العديدة والعلاجات المختلفة . ولما اصابته شبه غيبوبة ووصلت حالته الى طور خطير ، قررنا فحصه مجتمعين « كونسلتو » ، وفى أثناء الفحص لاحظت صدفة ان احدى اليتيه متورمة، وبفحصها اتضح ان بها خراجا كبيرا غائرا كان هو سبب الاعراض التى بدت عليه. وبالتحرى امكننا أن نعلم ان هذا الخراج تسبب عن حقنة عملت له بوساطة أحد الحلاقين ، وذلك اثر اصابته بمرض سرى خشى ان يصارح به أهله أو الاطباء الذين فحصوه من قبل ، فقررنا فورا ، ورغم سوء حالة المريض، فتح هذا الخراج الذى وجدت به كمية كبيرة من الصديد . ولكن ذلك لم يجد اذ قضى المريض نحبه فى اليوم التالى . وهكذا ذهب المسكين ضحية عدم صراحته مع أطبائه !

وأذكر حالة سيدة أصيبت بعد الوضع بأيام بعوارض مرضية شديدة، منها ارتفاع الحرارة، وشحوب الوجه، والقىء والغثيان ، واضطراب القلب والتنفس، واختلف الاطباء فى تشخيص حالتها وعلاجها ، وظلت حالتها تزداد سوءا يوما بعد يوم الى ان اشرفت على الهلاك ، لولا ان قيض الله لها احدى قريباتها فظلت تستدرجها الى ان اعترفت لها بانها تحس بوجود تورم « بالمهبل » وانها خجلت ان تفضى بأمره الى الاطباء . ولم يكن هذا التورم سوى خراج مهبلى كبير ، كان فى فتحه وتخليص المريضة مما به من صديد الشفاء التام ، بعد ان كادت تفتك بها براثن الموت

●

واستدعيت ذات ليلة لاسعاف شاب

ليلة عرسه ، حيث اصابه غثيان وقيء شديدان وهبوط فجائي، وعبثا حاولت أن أعرف سر اصابته، وكم أدهشتني حالته اذ كانت تتحسن طورا وتسوء آخر ، حتى اضطررت ان امكث بجواره الى الصباح ، ولما ان تفاقمت الحالة وانتابه هبوط شديد اعترف بعد استدراجي له ، بان أحد اخوانه ناوله قطعةحلوى قبل «الزفة»، ولكنها لم تكن سوى قطعة افيون كادت تقضي عليه ، لولا ان صارحني أخيرا بأمرها

وهناك من الحوادث ما يفوق العد والحصر ، وكلها تبين بوضوح ضرر عدم مصارحة المريض لطبيبه ، أو محاولته اخفاء حقيقة أمره . ولئن كان هذا الضرر بالغا في حالات الاصابة بالامراض العضوية فانه أشد أثرا في حالات الاصابة بالامراض النفسية ، التي سببها في الغالب ذكريات مؤلمة ، أو رغبات مكبوتة ، أو صراع نفسي دفين ، قد تكون صراحة المريض وحدها هي العامل على تخلصه منها ومن آثارها . وليس التحليل النفسي بجميع طرقه وانواعه الا سبيلا للوصول الى مكمن اسرار المريض وما يخفيه من ذكريات ورغبات ، سواء أكان ذلك عن قصد أو بلا شعور

●

وأريد أن أشير الى ان أمهر الاطباء النفسيين قد يخفق في شفاء مريضه ، اذا حاول هذا ان يخفي من أمره شيئا، أو يذكر من أمره غير الحقيقة . ولست انسى مريضا بحالة قلق نفسي ظل تحت العلاج أكثر من عامين دون جدوى ، ولم يكن ذلك الا لانه كان يعمل على اخفاء مايجيش بنفسه من بغض لشقيقه الاكبر ، الذي كان يتولى شؤونه المالية رغما عنه ، وما ان صرح لي بذلك وأخذنا في مناقشة هذه المشكلة من جميع أوجهها حتى تحسنت حالته وشفي

وأذكر حالة سيدة شق علاجها على كثير من الاطباء ، حتى يئس أهلها من حالتها ونأى عنها زوجها ، ولم تتحسن حالتها الا بعد ان صرحت ببغضها لمنزل الزوجية ، الذي كان يضم بعض أقارب الزوج ممن كانت لا ترتاح لوجودهم

ولا يتسع المقام لسرد المئات من الحالات النفسية التي يبذل المريض وأهله قصارى الجهد في علاجها دون جدوى، والتي يعقبها البرء اثر مصارحة المريض لطبيبه بما يكنه في نفسه !

وهكذا نرى ان صراحة المريض ، وافصاحه عن كل ما يعن له خاصا بمرضه ، يكونان الاساس الاول الذي يبني عليه الطبيب تشخيص المرض والاشارة بالعلاج

محمد كمال قاسم

طرائف فى سطور !

أعظم الأطباء

قال طبيب كبير، وهو يحتضر، لجماعة من الأطباء حوله : « سأخلف ثلاثة أطباء عظماء ! » . . ولما كان كل منهم يعتقد أن زميلهم المحتضر سيذكر اسمه ضمن أولئك الأطباء العظماء ، فقد أصغوا اليه بانتباه وهو يتابع كلامه بصوت ضعيف قائلا : « وهؤلاء الأطباء العظماء هم : الماء ، والرياضة ، والغذاء الصحى ! »

حكمة لقمان !

استدعى أمير لقمان الحكيم وأعطاه شاة وأمره أن يذبحها ويأتيه بأخبث مافيها . . فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها . . ثم أعطاه شاة أخرى وأمره بأن يذبحها ويأتيه بأطيب ما فيها . . فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها . . فسأله عن ذلك فقال :

— « ياسيدى ليس أخبث منهما اذا خبثا . . ولا أطيب منهما اذا طابا ! »

شجاعة !

كان الماريشال دى لكسمبورج من أشجع قواد فرنسا . . وقد أحرز من الانتصارات مارفع قدره . وكان أحدب الظهر . واتصل به يوما ان أحد أعدائه قال :

— « ألا يمكننى أن أغلب هذا الأحدب ؟ ! » .

فقال الماريشال : « ومن أين عرف الأعداء أنى أحدب وما وليتهم ظهرى قط ! »

رد مسكت

عير أعرابى ابنه بأن أمه « أمة » .. فقال له ابنه :

« هى والله خير منك . . لأنها أحسنت الاختيار فولدتنى من حر .. أما أنت فقد أسأت الاختيار فولدتنى من أمة ! »

عفو !

تغيظ عبد الملك بن مروان من رجاء بن حيان فقال : والله لئن أمكننى الله منه لأفعلن به كذا وكذا

فلما صار بين يديه قال له رجاء « يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله »

فعفا عنه وأمر له بصلة

حسن حافظ فهمى

رجل له ماض!

بقلم الأستاذ حلمى مراد

من صمته أدركت ان همه يضنيه ، ويتجمع فى رأسه قبل ان ينفجر ويفيض على لسانه .. كان صمتا كالذى يسبق المصارحة، يرهق كلا الجليسين : المترقب .. والمتردد !

لكن تردده طال أكثر مما قدرت، ولم تفلح فى انهائه وسائل الاستدراج التى جربتها معه ، فقد ظل ينظر الى الفضاء خارج النافذة بثبات عجيب ، وكأن بصره مشدود الى الأفق بخيوط غير منظورة .. فتركته لشروده وشغلت نفسى بمحاولة استنتاج السر الذى أغراه باصطحابى معه الى منزله فى ذلك الضحى ! .. ان المصادفة وحدها هى التى جمعتنا ، كنت أعبر شارع فؤاد الأول داخل سيارة « تاكسى » حتى أوقفتنى اشارة المرور عند تقاطع شارع عماد الدين . وفيما انا أنتظر اشارة الاذن باستئناف المرور ، فوجئت بباب التاكسى الايمن يفتح ، ويقفز منه الى جوارى ضابط بوليس .. تبينت فورا انه « عزت » زميل الدراسة القديم

كانت قد مضت أعوام لم أره خلالها الا لماما ، فى فترات متباعدة ، فكنا فى كل مرة نتبسط فى الحديث فنستعيد ذكريات الماضى ونتواعد على ان نلتقى كثيرا ، ونبعث زمالتنا القديمة من جديد .. لكن الايام كانت لا تلبث ان تباعد بيننا فى كل مرة ، فينسى كلانا صاحبه ! .. وفى آخر مرة التقينا فيها ، منذ نحو عامين ، علمت منه انه قد انتقل من دنيانا — نحن العزاب — الى جوار زوجته.. فأدركت ان الشقة بيننا قد ازدادت اتساعا ، وافترقنا يومئذ دون ان نتواعد !

حتى جمعتنا المصادفة هذه المرة فى التاكسى ، فرجانى « عزت » فى الحاح ان أصحبه الى منزله . وكانت فى صوته رنة توسل جعلتنى أهمل العمل الذى كنت منطلقا اليه، وأمضى معه..

ووقف بنا التاكسى فى أحد شوارع « شبرا » الضيقة ، أمام « عمارة حرب » .. مبنى من تلك المبانى التى شيدت على عجل أثناء الحرب بقصد الاستغلال الفاحش .. ثم تقدمنى صديقى الى مسكنه فى الطابق الثانى على اننا لم نكد نستقر فى غرفة

الاستقبال ، ويقدم لى بعض الشراب ، ولم أكد أنهيأ أخيرا لسماع ما يريد ان يفاتحنى فيه ، حتى شرد منى .. وراح يتطلع الى النافذة فى هيئة من نسى وجود ضيف الى جواره !

وران على المكان سكون كئيب ، ذكرنى فجأة انى لا أرى حولى فى جو البيت الموحش ذلك الرونق السحرى الذى تضفيه المرأة على جو بيتها ، والذى ينطق قطع الأثاث الصامتة وتحف البيت الصغيرة بأن وراء تنسيقها يد ، وذوق ، مخلوقة ناعمة .. ولا أتنسم ذلك العطر الغامض الذى يهدى حواسنا الى وجود امرأة فى المكان !

فقلت لصديقى مندفعا دون تدبر : « على فكرة ، ألم تقل لى يوما انك قد تزوجت ؟ .. انى لا ألمح فى بيتك ظلا لحواء ؟! » .. فامتقع وجهه بغتة ، وتبينت على صفحته ذلك الاضطراب الذى يحدثه الفاء حجر ثقيل فى بحيرة ساكنة ! .. ورغم ذلك لم أستطع قمع ما تملكنى على الفور من شعور شاذ بالارتياح ، لعله شعور الجراح حين يرى انبثاق الصديد من دمل ملوث تحت أثر وخزة من مبضعه ، أو شعور القصاص حين تنبئه بادرة بأنه مقبل على سماع قصة من الحياة .. !

وصدق حدسى ، فان صديقى لم يلبث ان رمقنى بنظرة خلت معها كأن قاع نفسه قد طفا فجأة على سطح حدقتيه ، فكرهما .. ثم قال فى لهجة الجاد : « متى عرفت منى نبأ زواجى ؟ »

فقلت ، وأنا أجهل مقصده من السؤال ، « منذ نحو عامين » .. وعندئذ أطلق ضحكة استهتار ساخرة ، ثم قال متكلفا المزاح والمرح : « أوهوه .. صح النوم .. أو تظننى « محدث نساء » أصبر عامين كاملين على رفقة ، أو ربقة ، زوجة واحدة ؟ .. »

لكن سخريته من نفسه لم تطل فقد نهض على الأثر من مقعده فى تأفف وضيق ، وأخذ يذرع الغرفة فى عصبية ظاهرة ، وقد استرد مظهر الجد الصارم .. ثم أقبل على يمسك بذراعى ويناشدنى فى صوت ينطق بالحيرة القاسية : « اسمع يا فلان .. أرجوك ألا تسخر منى ، فأنا أريد استشارتك فى أمر خطير ، بالنسبة لى على الأقل .. »

* * *

وقبل ان أفهم شيئا ، أو أستفسره عما يقصد ، قادنى من ذراعى الى حجرة مجاورة كانت مغلقة النوافذ ، ثم اقترب بى من « شيش » النافذة المطلة على الشارع الضيق .. ولفرط دهشتى رأيته يضع عينه على ثقب مستدير فى حجم القرش ، يدل مظهره على انه قد ثقب فى خشب النافذة حديثا ، ثم رفع وجهه الى وهو يقول : « بربك انظر .. تأمل هذه الفتاة التى تسقى أصص الأزهار فى الشرفة المقابلة ، وقل لى رأيك فيها .. بصراحة »

وعقدت الدهشة لسانى .. فقد كان ما رأيته عجبا ! .. كانت الفتاة صبية يافعة لا تزيد عن الخامسة عشرة! فتملكنى ميل قوى الى ان أصيح به هازئا : « ماذا .. أتريد ان .. تتبناها ؟ » .. لولا انى لمحت على وجهه لهفة ساذجة الى سماع رأيى فكتمت سخريتى اشفاقا عليه .. وتكلفت ان أقول فى اعجاب مصطنع: « وماذا يمكن ان يكون رأيى فيها .. لا شك انها جميلة ، ورشيقة .. »

ولم يخب تقديرى ، فقد انفرجت أساريره فرحا بهذا المديح ، ولكن فى ومضة سريعة ، كأنما دون وعى ، فقد عاد يسألنى فى لعثمة وحماس ظاهرين: «ولكن .. ليس جمالها الذى يعنينى .. وانما أنا أريد ان أعرف .. هل تعتقد ان لها ماضيا ؟ »

ومرة أخرى كادت الضحكة تفلت منى ، لولا ان سارعت أجيبه ، ساخرا برغمى : « يا أخى .. أهذا كل ما يقلقك ؟ .. اذا لم يكن للفتاة ماض، يكون لها مستقبل ! »

لكن النظرة التى قابل بها جوابى جعلتنى أندم على مزاحى . كانت نظرة تأثر شديد لا تصدر الا من نفس معذبة ، فبادرته فى لهجة اعتذار خالصة : « ظننتك تمزح .. أو حقا تسألنى عن ماضى هذه .. الطفلة ؟»

وبدا ان الكلمة قد استفزته ، فقد تنهد فى حرقة ، وأطلق صوتا يشبه ضحكة الهزؤ المبتورة .. ثم قال ، وهو يغوص يائسا فى مقعد جلدى كبير ، كمن تداعت قدرته على المقاومة: « تقول « طفلة » ؟ .. يا لك من ساذج ! »

* * *

وصمت برهة ، وهو يخرج من جيبه سيجارة ، ويشعلها ، ثم ينفث دخانها فى بطء وروية .. واستطرد فى لهجة اعتزاز واعتداد برأيه : « ان المرأة يا صديقى مخلوق عجيب ، يسبقنا فى الادراك وتفتح الغرائز بسنوات .. انظر الى طفلة السابعة وهى تسوى شعرها أمام المرآة ، فتتمايل دلالا ، وتلين خصرها لمداعبة عمها أو خالها ، تدرك ان المرأة انما ترضع نزواتها وصبواتها مع اللبن ، وتلهم الخداع والغواية قبل ان تنبت أسنانها .. فتؤمن معى بأن لا أمان لامرأة ، ولو نبت لها جناحان ! ..

« لست أقول هذا اعتباطا ، وانما عن خبرة ، وتجارب ، وأهوال .. لو مرت بك لشيبتك كما شيبتنى ! .. فلعلك تعلم انى فى هذا الميدان « محارب قديم » ، لم أبخل على شبابى بمتعة ولا عصمت نفسى من معصية .. كان الضمير دائما فى معجم حياتى مرادفا للجبن ، والشرف مرادفا للعجز .. فلهوت ، واستمتعت .. ولم أتورع عن خطايا أو دنايا أيا كانت ! .. لم يعوزنى يوما مال ، أو حرية ، أو

مخدع آمن .. فاستبحت كل شيء ، وطلقت كل ايمان ، خلا ايماني بأن خير وسيلة للتخلص من اغراء أية متعة هو الاستسلام لها .. والارتواء منها حتى الشبع ، فالملل ، فالاشمئزاز .. !

« وعشت هكذا عشرة أعوام ، معيشة بوهيمية فوضوية عجيبة ... ذقت فيها جميع المحرمات .. حتى سئمتها ! .. سئمت كل ألوان تلك المتع العابرة ، واعتراني ذلك الشعور القوي بالنقص ، الذي يغرينا بالزواج . وتلك الحاجة الملحة الى حياة الراحة والاستقرار ، في رفقة امرأة طاهرة أقتنيها بلا شريك ، لا في الماضي ولا في الحاضر أو المستقبل ! ..

« فبدأت أبحث وأنقب ، في روية وامعان . كانت تجاربي قد دلتني على ان المرأة الفاضلة يفوق ثمنها اللآلىء . وان من أعقد مشكلات الزواج مشكلة العثور على فتاة يوقن الرجل بأنها طاهرة لم تعرف القبلة ، أو اللمسة ، او المناجاة ! .. وهكذا مضيت في بحثي حتى اهتديت الى فتاة دلني مظهرها على انها ضالتي المنشودة ، فاتجهت نحوها جديا ، ولكن في حذر اللئيم . لم أسمح لنفسي ان أنخدع بالمظهر ، فأجريت عليها طائفة من الاختبارات الماكرة ، الكفيلة بكشف طوية أخبث النساء .. لكنها نجحت فيها كلها من « أول دور » وبتفوق . فوثقت أنها امرأة مأمونة .. وتزوجت منها !

كانت « سميرة » نموذجا لذلك الجمال الساذج المحبب ، الذي يوحي بالطهر والبراءة . أعجبني فيها هدوؤها وسماحتها ، وحياؤها العذب ، ورقتها الخالصة .. ونظراتها الصافية التي تطالع فيها قلبها ونواياها ككتاب مفتوح ، ناصع الصفحات ! وتزايد اعجابي بها بعد زواجنا حين وجدت فيها تلك « المرونة » النادرة التي لا تملكها غير فئة « الموهوبات » من النساء .. المرونة التي تتحول بها الفتاة بعد الزواج من عذراء ساذجة الى غانية لعوب ، متفجرة الأنوثة ، ترى زوجها من أفانين الهوى والمتعة ما لا تحذقه غير الفاجرات ، وما يغنيه عن الغانيات! .. وقد كانت «سميرة» نابغة حقا في هذا المضمار ، فأرتني من فنونها عجبا ! ..

« لكن استمتاعي بنبوغها ذاك لم يدم أكثر من أسابيع .. تحولت حياتي بعدها الى شبه جحيم !

* * *

وصمت صديقي برهة ، وهو يشعل سيجارته السابعة من سابقتها ، ثم أسند رأسه الى ظهر المقعد الكبير وراح يتابع ببصره سحب الدخان وهي تتلوى وتتكاثف في جو الغرفة المظلمة ، التي كانت ما تزال مغلقة النوافذ ..

حتى أفاق أخيرا من تفكيره ، فاستطرد في صوت خائر خفيض : « .. وكانت نقطة التحول ، التي أحالت حياتي جحيما وطردتني من جنتي السعيدة .. مسألة تافهة في ذاتها ، لولا دلالتها !

« عدت الى البيت يوما فسألتها بلا اهتمام، وهي تستقبلني بعناقها المعتاد، هل حضر في غيبتي صديق كنت أتوقع زيارة منه في غضون ذينك اليومين .. فأجابتني دون ابطاء : « أبدا .. ما جاش حد النهارده خالص .. من وقت خروجك وانا قاعدة لوحدي متضايقة .. » فاقتنعت بقولها فورا. وكان يمكن ان تمر المسألة بلا ذيول لولا .. آه ! .. أى شيطان أوقع بصري لحظتئذ على يدها القابضة على « طقطوقة » السجاير ؟ .. وما الذى جعلني أسألها في سخف عما كانت تفعل بها ، كي تجيبني ، وقد بدأ الاضطراب يلم بها ، بأنها تناولتها قبيل دخولي كي تأمر الخادم بتنظيفها .. ثم أى وسواس جعلني أتناول الطقطوقة من يدها ، كأنما بغير قصد ، فأعثر فيها على عقب سيجارة .. من غير السجائر التي أدخنها ؟ .. وفيم كان ذلك خليقا ان يهمني أو يقلقني ، انا الذى كنت أعلم ان جارتنا التي تقطن المسكن المقابل كثيرا ما كانت تأتي الى مسكننا كي تستخدم التليفون في محادثة قصيرة فتدخن أثناء ذلك سيجارة ثم تخرج ..؟

« كلها أسئلة لا أذكر الآن جوابها ، واعتبارات لا أذكر ما الذى أعماني عنها في حينها ! .. كل الذى أذكره انني سألتها يومئذ عن صاحب عقب السيجارة . فتلعثمت وترددت. وزادني ترددها حدة وانفعالا فألحفت في السؤال .. وزادها انفعالي خوفا وارتباكا فأمعنت في الانكار ! .. ثم تطور النقاش بيننا حتى ضيقت عليها الخناق وأحست حرج موقفها، فتراجعت عن تشبثها وأقبلت على تلاطفني في نعومة المحبة ، وهي تبتسم ابتسامة اعتذار خلابة ، ثم تقول .. ان صديقتها « وداد » هي التي دخنت تلك السيجارة حين زارتها ذلك الصباح .. وانها قد خشيت مصارحتي بنبأ زيارتها لعلمها انى لم أكن « أستلطف » تلك الصديقة بعد ما أثير حولها من أقاويل .. ولأنى كثيرا ما أبديت لها عدم ارتياحي الى صداقتهما .. الى حد ان صار مجرد ذكر اسمها ودفاع زوجتي عن صديقتها « المظلومة » يثير أعصابي .. !

* * *

« .. وكان ذلك بداية شقائي. فمنذ تلك الساعة فر طائر السعد من عشنا الزوجي ، وهبط مكانه غراب الشك القاتل اللعين ..

« لا تتسرع فتتهمني بضيق أفق التفكير ، وبأن زيارة تلك الصديقة في ذاتها هي التي أيقظت شكوكي

وغيرتي الدائمة .. فلو ان « سميرة » أحسنت التصرف وصارحتني بالحقيقة من البداية لما أغضبتني ، برغم نفوري من صديقتها وعدم استساغتي غمزاتها وضحكاتها ونكاتها غير اللائقة .. ولما كان الأمر قد تعدى من جانبي حد الاغضاء أو « لفت النظر » .. لكن الذي أتى الشك في قلبي منذ تلك اللحظة حتى أفرخ وتكاثر ، شيء واحد : أكذوبة زوجتي ! .. فقد أخذت أسأل نفسي وأجيب ، وأبدي وأعيد « ما دامت سميرة قد استطاعت ان تكذب على ، ان تواجهني بعينين كاذبتين وفم مدلس .. فماذا بقي ؟ وماذا يضمن لي انها لا تكذب على فيما هو أخطر وأفدح ؟ .. وكيف يمكنني بعد ذلك ان أثق بصدق كلمة واحدة مما تقول لي ، في أي شأن من الشؤون ؟

***

« وهكذا راحت تتناهبني ، وتتجاذبني، الوساوس !.. فأدركت ان تلك بداية تعاستي ، واني قدفقدت الى الأبد أمني البيتي وطمأنينتي النفسية ، لكنني عجزت مع ذلك عن تدارك هذا الشقاء الزاحف على بيتي وحياتي ومستقبلي ، فاستفحل وتفاقم. صارت أيامي دوامة من العذاب المتصل . صرت أشك في كل أقوال زوجتي وأفعالها .. وأستريب في جميع حركاتها وسكناتها ، وتمثلت في خاطري شتى صور الخيانة الزوجية التي لمستها بنفسي ، أو عن كثب ، خلال سنوات شبابي العابث ، فأخذت أفسر على ضوئها كل ما يبدر من « سميرة » أو يبدو عليها .. صار يكفي ان أراها تطيل التزين أمام المرآة كي أقول لنفسي والشك يذهب بي كل مذهب : « لعلها تتأهب للقاء عشيق لها في الخارج ، أو استقباله في بيتي بعد خروجي ! » .. واذا عدت يوماً من عملي قبل ان تعود من احدى « زياراتها » ساءلت نفسي قلقا : « ألا يجوز ان تكون الآن منفردة مع رجل في مسكنه ؟ » .. واذا دخلت البيت مرة فوجدتهامشعثة الشعر قليلا ، أو خيل لي ذلك ، رقتني الوساوس وتوهمت انها قد انتهزت فرصة تغيبي عن البيت واستقبلت عشيقا في مخدعي ! .. وهكذا الى آخر تلك الهواجس الموجعة والشكوك القطيعة التي صرت نهبا لها طوال ليلي ونهاري ، حتى مزقت أعصابي وكادت تفقدني صوابي ..

« وهل أنسى يوم عدت من المقهى ذات مساء فلم أكد أصعد الدرج وأبلغ الطابق الذى فيه مسكني حتى رأيت صديقا لي يطرق بابي ، فلما رآني خيل الى انه تلعثم قليلا وهو يقول لي: « اهه.. ! .. هو انت لسه ماجيتش البيت ؟ ده انا كنت فايت من الناحية دى فقلت أما أدخل أمسي عليكم ..

وازاى المدام ؟ ان شا الله تكون بخير ؟ » .. فأكدت له انها بأتم خير، ودخلنا .. لكننى قضيت السهرة كلها شاردا فى واد سحيق ، نهبا لأقسى الوساوس والشكوك .. فقد ذكرنى موقف صديقى على بابى بموقف مشابه من مواقف شبابى العابث .. كنت أنا أيضا أحد بطليه ، أما بطله الآخر فكان صديقا قديما لى كنت على صلة .. بزوجته ! .. كانت قد عودتنى ان ألقاها فى بيتها ، خلال فترة تغيب زوجها فى عمله .. فتصادف ان كنت منصرفا من مسكنها ذات يوم على أثر خلوة مختلسة ، وفيما أنا أهبط السلم .. لمحت زوجها صاعدا ! .. وكان لا بد أن نلتقى فى منتصف السلم فيدرك كل شىء ، أو يسترب فى الأمر على الأقل .. ومن ثم ألهمنى ارتباكى فى ذلك الموقف المشئوم ان أسارع فأصعد الدرجات القليلة التى هبطتها ، ثم أقف على باب مسكنه أطرقه .. كأننى قادم توا لزيارته ، ولست منصرفا من لدى زوجته !

« وجازت الحيلة على التعس، فدخلت معه من جديد .. وقضينا ثلاثتنا بقية السهرة فى مرح .. برىء !

« ذلك هو الموقف الذى خلته قد تكرر حين رأيت صديقى الجديد الاعزب يطرق بابى أنا الذى صرت زوجا .. فعادت الى ذاكرتى القصة القديمة بأبشع تفصيلاتها ، وخيل الى ان القدر أراد ان يقتص لضحاياى منى ، فأعاد التاريخ نفسه مرة أخرى .. ولكن مع فارق خطير ، هو انى قد صرت الزوج المخدوع بعد ان كنت الصديق المخادع ، والمجنى عليه بعد ان كنت الجانى !

« وهكذا انقضت السهرة فى تلك الليلة ، وانا فريسة لذلك الشك الرهيب ، الذى يغرى بالجريمة .. أنقل بصرى الزائغ بين زوجتى وصديقى حائرا .. جامدا .. صامتا .. وبودى ان أغمد خنجرا فى قلبيهما كى انتزع منهما ما يخفيان .. وكلما ضحكا أو تبادلا نظرة « ودية » وقعت ضحكاتهما على أذنى كالمطارق الثقيلة، ونفذت نظراتهما الى قلبى كالطعنات المسمومة .. !

* * *

« وغدت حياتى جحيما لا يطاق، أفقدنى أمنى وراحتى ، ونومى وأعصابى .. وكاد يفقدنى عملى ! .. فقد صارت شكوكى فى زوجتى شغلى الشاغل ، وهمى المقيم . صرت أجلس الى عملى شاردا أفكر فيها ، وفى عشاقها .. فاتمثلها غارقة فى أحضان أحدهم تهزأ بى وبغفلتى .. فيجن جنونى وأنهض كالمعتوه أتناول طربوشى وأخرج دون استئذان كى أستقل « تاكسى » ينهب بى الطريق نهبا الى البيت .. ثم أصعد السلم قفزا على أطراف أصابعى وأفتح الباب متلصصا ، كيما أفاجئها بين ذراعى عشيقها الموهوم .. فاذا



« ان هواجسى ليست غير أوهام تنبع من وحل مباذلى ومغامرات شبابى الفاجره .. »

بى أراها جالسة فى الردهة تقرأ كتابا ، أو تنسج لى صدارا من الصوف .. فتلقانى بهدوئها المثير وابتسامتها الغامضة ، متسائلة عن سبب عودتى مبكرا ! ..

« وكم كلفنى هدوؤها المثير ، وابتسامتها .. !

« كنت حين ترهقنى الوساوس فتثور أعصابى ، أنهال عليها بوابل من الاستفسارات المحرجة و«الاستجوابات» الملحوحة .. فلا تغضب أو تثور ، وانما تتركنى أفرغ كل ما فى جعبتى ، مكتفية - فى الرد على - بتلك الابتسامة الغامضة الخلابة ، وذلك الهدوء البارد المثير .. كأننى أمزح ، أو ألقى نكتة « بايخة » لا تستحق التعليق ! .. وكم أغرانى هدوؤها ذاك بأن أتناول رأسها بين يدى كى أحدق فى عينيها الضاحكتين بنظرة فاحصة نارية .. وأنا أصر على أسنانى غيظا وأقمع جاهدا ثورة دمى وأعصابى التى تهيب بى ان أحطم رأسها وأستريح .. فيكون رد الفعل الوحيد الذى تقابل به ثورتى على هذا النحو ، نظرة ناعسة ساخنة ترفع بها عينيها الى ، واختلاجة راعشة من شفتيها تطلب القبلة وتستثير الجماد .. !

« وليت الليل كان يريحنى من عذابى ، اذن لوجدت أعصابى فرصة تهدأ فيها وتستكين .. لكن البلاء الأكبر ان هواجسى خلال النهار كانت تتجسم وتتضخم أثناء نومى فى صورة كابوس مفزع أرى فيه زوجتى فى أبشع أوضاع التبذل والتهتك ، فأصحو من نومى مذعورا ، سابحا فى عرقى البارد ، لأجد «سميرة» مستغرقة فى أشهى نعاس وأعذب أحلام ، وقد انفرجت شفتاها ، وأسنانها اللؤلؤية البيضاء ، عن تلك الابتسامة الغامضة الخلابة .. التى تغرى بالجريمة !

« وقد كدت أرتكب الجريمة فعلا ، ذات ليلة ! .. لم أكد أفيق من كابوسى فزعا ، وأراها تبتسم فى حلمها - لست أدرى لمن ! - حتى جن جنونى واستبدت بى غيرة فظيعة وشك قاتل ، فأطبقت بكلتا يدى على رقبتها ، أريد ازهاق روحها .. لولا ان أيقظتها ارادة الحياة وضغط يدى ، فانتفضت تدفع الأذى عن نفسها بذراعيها وساقيها .. واذ ذاك خشيت ان تفتضح نيتى فسارعت بسحب يدى من حول رقبتها وتظاهرت بالاستغراق فى النوم .. فظنت المسكينة ان ما أحسته كان محض كابوس ! »

وأطرق محدثى برهة ليقمع انفعاله الذى أثارته الذكرى ، ويدخن سيجارة أخرى .. ثم استطرد بعد حين :

« .. ولم أطق صبرا على عذابى آخر الأمر .. فطلقتها ! .. طلقت المسكينة وأنا أكاد أوقن انها بريئة. وان هواجسى ليست غير أوهام تنبع

من وحل مباذلى ومغامرات شبابى الفاجرة .. وحين تململ ضميرى أخرسته بحجة ان الذنب لم يكن كله ذنبى ، وان طبيعة الفتاة الهادئة وبرودها المثير وأنوثتها العارمة ، كانت المسئولة عن المأساة !

« وعلى مدى هذا التعليل أقنعت نفسى اننى أستطيع ان أسعد مع .. أخرى .. لو وفقت فى الاختيار ! .. فلم أكد انفض يدى من « سميرة » حتى بادرت بالبحث عن زوجة جديدة !

« ولم يطل بحثى .. سرعان ما اهتديت الى فتاة راعيت فيها ان تكون طباعها على النقيض من الأولى ... فاخترتها نحيفة الجسم ، على نصيب متوسط من الجمال ، ونصيب ضئيل من الأنوثة ، قوية الميل الى العلوم والأدب والفنون ، وكل ما يشغلها عن التفرغ لعبادة نزوات نفسها وجسمها .. كما حرصت على ان تكون موفورة الحمية والتوثب والنشاط ، مجردة من جرثومة ذلك الهدوء البارد الذى كان يحتقنى على الأولى ويثير شكوكى فيها ووساوسى .. !

« لكن الفشل الذى منى به زواجى الأول كان من نصيب الثانى أيضا . مع فارق واحد ، هو ان طبيعة «فوزية» الثائرة وعصبيتها الزائدة وحساسيتها البالغة ، قد أعجزتها عن احتمال هواجسى والرقابة الصارمة التى فرضتها عليها ، فصارت تقابل ذلك منى بالثورات الصاخبة والهياج الشديد .. مما عجل سريعا بالنهاية، بعد ان عشت شهورا فى جو عاصف من الشجار الدائم والمشاحنات التى لا تنتهى الا لتبدأ ، ولا تهدأ الا لتثور .. !

« وفى هذه المرة لم أكن غبيا ، أو مغابيا .. أدركت ان علة شقائى لا تصيبنى من الخارج ، وانما تكمن فى أعماقى .. وتفعل فعلها المدمر فى نفسيتى كجرثومة الداء الخبيث ... فتبلجت الحقيقة الأليمة أمام عينى كالنور الساطع . أيقنت ان « سرطان » الشك القاتل قد تمكن من عقلى الباطن، وان نفسى قد تسممت بالجو الفاسد الخانق الذى قضيت فيه أعوام شبابى الباكر ، فلم يعد فى امكانى الاطمئنان الى طهارة أو اخلاص امرأة .. وصار الزواج حراما على .. كما صارت العودة الى حياتى العابثة مرة أخرى ضربا من المستحيل ، فقد عافتها نفسى بمجرد ان تغيرت زاوية نظرتى اليها فأصبحت من ضحاياها ! ... وهكذا انتهيت من حيرتى الى نتيجة واحدة هى : ان لاخلاص لى من عذابى الا فى الفرار من دنيا النساء ، واخراجهن جميعا من محيط حياتى ! . وركنت نفسى الى هذا القرار ، فأحسست - لأول مرة منذ أعوام - بارتياح خالص عميق .. »

وتنهد صديقى فى حرقة ، وهو

ينظر الى من وراء نظارته بعينين متعبتين ، ونظرة يائسة ، ثم مضى فى كلامه : « .. لكن الاستغناء عن الخبز والماء أسهل على مثلى من الاستغناء عن النساء ! .. فبالرغم من كل « الاجراءات » الحازمة التى اتخذتها على سبيل الحيطة بمجرد انتهائى الى ذلك القرار .. وبالرغم من تركى مسكنى القديم الذى شهد مأساتى زواجى ، وتغيير جو معيشتى تغييرا تاما ، وعودتى الى الاختلاط ببطانة من الرجال راعيت فى اختيارهم ان يكونوا من طبقة أرباب الأسر المحافظين الذين لا يرد على ألسنتهم ذكر النساء .. بالرغم من ذلك كله فان القدر مازال واقفا بالمرصاد .. اذ لم ينقض على انتقالى الى مسكنى هذا أسبوعان ، حتى .. حتى خارت عزيمتى أمام فتنة عينى الصبية التى أريتها لك من ثقب النافذة منذ حين .

فأحببتها .. لا تسخر منى ، نعم أحببتها بكل طاقة قلبى وروحى ، حبا أعترف لك انى لم أحمله قط لامرأة . فلم أحس الا وأنا أرتكب جميع الحماقات التى طالما سخرت من « اخوان الصفا » بسببها حين كانوا يقصون أمرها على .. صرت أستلقى على فراشى وأغمض عينى ، ثم أنطلق الى أودية الخيال فى « رحلات » طويلة لا تنتهى ، عذبة ومضنية معا ! .... ولأول مرة فى حياتى ذقت طعم الأرق والسهاد من أجل امرأة ... ولأول مرة عرفت مرارة انتظار رؤية المحبوب - صرت أنتظر ساعتى الضحى والغروب بلهفة الفتى المراهق ، كى أراها تخرج الى الشرفة وفى يدها رشاش الماء تسقى به أصص الأزهار فى مرح وانشراح ، وهى تغنى وتبتسم . فان تلك هى فرصتى الوحيدة لرؤيتها . أما فيما عدا تلك الدقائق الخاطفة فهى لا تبرح غرفتها ، وانما تقضى أكثر الوقت مسترخية على ذلك المقعد « الهزاز » الذى تستطيع ان تراه فى ركن الغرفة ، أو مستلقية على فراشها تقرأ مجلة أو تغنى وتصفر بفمها ، لاهية عن الشاب المنكود الذى يراقبها من ثقب صغير فى النافذة دون ان تشعر !

« .. نعم ، فلقد غدت مراقبتى اياها مسلاتى الكبرى .. منذ ستة شهور وأنا أراقبها من هذا الثقب ، ساعات كل يوم .. حتى أصبحت أعرف أدق دقائق عاداتها وطباعها وميولها . ألازمها ببصرى وخيالى حين تأوى الى فراشها فى الليل ، وحين تنهض منه فى الصباح .. حين تقرأ وحين تدرس وحين تتزين أمام المرآة .. وطوال تلك المدة لم ألحظ عليها ما يريب ، حتى بت أجزم انها زهرتى المنشودة ، التى لم تفض بعد أكمامها ولم تنزع عنها أشواكها .. ومنذ رسخ فى ذهنى هذا الاعتقاد وجدتنى ـ بالرغم منى ـ أعيش وأتنفس ، وأصبح

وأمسى ، على أمل واحد تركزت فيه كل أمانى فى الحياة : ان أتزوجها ! وعبثا حاولت مسح هذه الامنية فى نفسى وانتزاع جذورها من خيال ، فقد تعمقت وامتدت وتأصلت ـ دون ان أشعر ـ فغدا اقتلاعها من خاطرى بمثابة انتزاع روحي من جسدى .. وغدوت ولا هم لى غير توطين نفسى على ذلك ، واعداد العدة للزواج ..

«لكننى كلما اقتربت «ساعة التنفيذ» أحسست اننى مقدم على حماقة كبرى، على وضع حبل المشنقة فى عنقى من جديد .. فانى واثق اننى سأشقى بهذا الزواج ، كما شقيت فى المرتين السابقتين .. بل ان الذى يحز فى نفسى ويجعلنى أرتجف هلعا كلما تصورت الجحيم الذى أنا عائد اليه بمحض ارادتى ، هو اشفاقى على الفتاة التى أحبها من ذلك الجحيم ، أكثر من اشفاقى على نفسى .. ويقينى بأننى سوف أشقيها معى ، وأذيقها عذابا مريرا ، بالرغم منى .. ولكن ماذا أفعل ؟ .. انى أحبها .. ومن المحال ان أسلو فكرة الزواج منها بحال ! .. كما ان من المحال ان أسعدها وأسعد معها ، هى أو أية امرأة أخرى ، ما دام سم ذلك الشك القاتل يسرى فى دمى .. انه شىء يحدث بالرغم منى ، شىء فظيع رهيب لا قبل لك بتصوره ، ولا قبل لى باحتماله مرة أخرى .. انه سوف ينتهى بى الى الجنون .. فبالله أنقذنى بأى ثمن رحمة بى .. وبالفتاة ! .. حل بينى وبين اتمام هذا الزواج الذى سيقودنى واياها الى كارثة مفجعة .. فانى واثق ان شكوكى وهواجسى المخيفة سوف يعاودننى ، وتنتهى بى الى ان أقتل المسكينة هذه المرة ، ثم أقتل نفسى ! فبربك أنقذها من هذا المصير . فانها فى زهرة شبابها ، وأنا أحبها .. يا الهى ، لكم أحبها .. »

كانت دموعه قد بدأت تفيض وهو يتكلم ، وتهطل على وجهه ، حتى خنقته غصته آخر الأمر .. فأجهش بالبكاء ، بصوت عال وحشرجة أليمة. وقد دفن وجهه بين راحتيه ..

وحين رفع وجهه ونهض بعد حين بعد ان استرد بعض هدوئه ، كان وجهه فى صفرة الأموات !

وعبثا حاولت ان أسرى عنه طوال ذلك الاسبوع ، فأنتزعه من جوار تلك الفتاة أو انتزع خيالاته من رأسه .. فاضطررت آخر الأمر مكرها ان أتركه لشأنه ..

حتى طالعت فى « الاهرام » منذ يومين نبأ نقله الى نقطة بوليس جبل « الطور » .. بناء على طلبه !

كأنما يستطيع التعس ان يعيش بعيدا عن النساء ! .. أو يطرح عنه فى ظلمات منفاه .. أثقال ماضيه !

حلمى مراد
المحامى

عجائب الصوم عند الأمم !

بقلم الأستاذ حبيب جاماتي

ليس الصوم فريضة دينية توجبها الديانات المختلفة أو تشير باتباعها فقط ، بل هو أيضا قاعدة صحية لازمة لسلامة الجسد وحفظه . ففي الاكثار من الطعام مضرة . وفي الامتناع عنه من وقت الى آخر ، حتى في مواعيده المقررة العادية ، فائدة لا شك فيها . وهذه حقيقة يدركها ويقر بها العالم والجاهل ، والنهم والقنوع ، وان كانوا جميعا لايعملون بها في حياتهم

كان الأقدمون يعدون الصوم أنجع علاج للوقاية من العدوى في أثناء انتشار الأوبئة . فهو ينظف أجهزة الجسد ، ويخلي الأمعاء من بقايا الاطعمة الراكدة فيها ، ويمنع انتقال المرض بوساطة الغذاء . فالانسان الأول ، الذي كان يعيش على الفطرة لم يكن يمارس من أنواع العلاج غير الصوم والاكتفاء ببعض الأعشاب المهضمة . وظل الانسان فيما بعد ، على مر الأجيال، وبارتقائه في مدارج التحضر والتمدن والتفكير ، محافظا على تلك العادة التي ورثها عن الانسان الأول . والحيوان الأعجم يعالج نفسه بالصوم اذا ما أصيب بمرض . وعبثا نحاول ارغام حيوان مريض على ازدراد طعام ما ، فانه يكتفي بالقدر اليسير من الماء ويعرض عما عداه . فالحيوان غير العاقل يعطي الانسان العاقل ، في هذا المضمار ، درسا تلقنه اياه الطبيعة بالسليقة . والحيوان في هذا كثيرا ما يكون أعقل من الانسان

وبعد العصور المظلمة الأولى ، انبثقت الأديان في العالم شيئا فشيئا، فاتخذ مؤسسوها ورؤساؤها وكهنتها الصوم قاعدة للعبادة وشرطا للتقرب من الآلهة . ففي مصر ، كان يفرض على الراغبين في الالتحاق بخدمة معابد ايزيس وأزوريس ان يصوموا سبعة أيام كاملة، لا يتناولون فيها غير بضع جرعات من الماء . وكانت مدةالصوم تمتد أحيانا الى ٤٢ يوما . وهذا

اليونانيون حذو المصريين ففرضوا الصوم في دياناتهم على أنواع متعددة. ففي مدينة ديلف ، كانت خادمات المعبد يعتزلن في خلوة تامة ، وينقطعن عن الطعام يومين أو ثلاثة ، قبل استنزال وحي الآلهة في شأن من الشؤون . وكان الشعب يصوم في بعض المواسم الدينية ، استرضاء للآلهة واستجداء لعفوها . وقد تكون اللغة اليونانية هي الوحيدة بين اللغات التي يوجد فيها تعبير خاص للدلالة على الصوم الديني . فانهم كانوا يقولون عن الصائم انه « يبعث من جوفه رائحة معدة خالية ! »

▭

وكان الفرس يروضون أبناءهم على الصوم منذ نعومة أظفارهم ، لكي يعودوهم تحمل المشقات . وكان سكان سبارته في اليونان يفعلون أكثر من هذا ، اذ يرغمون أبناءهم على الصوم بمنع الطعام عنهم يوماً بعد يوم ، لكي يصبحوا جنوداً أقوياء يستطيعون مواصلة القتال من الصباح الى المساء دون ان يشعروا بجوع أو عطش

ويتضح من الآثار والمعالم التي عثر عليها الباحثون في المكسيك وأمريكا الجنوبية ، ان سكان هذه الأقطار الأقدمين ، كانوا يمارسون الصوم قبيل كل عيد من أعيادهم ، وكانت مدة الصوم تختلف باختلاف الأعياد ومبلغ أهميتها . وفي أحد الأعياد المكسيكية القديمة ، كان الكهنة يصومون ١٦٠ يوما بلا انقطاع ، وكان الذين يعجزون عن مواصلة الصوم الى النهاية يحبسون أنفسهم في دهاليز المعابد سنة كاملة تكفيراً عن ذلك العجز . وأما الذين يبلغون نهاية الصوم ، فانهم كانوا يعدون في نظر الشعب انصاف آلهة . وكان الكاهن يعقل لسانه بقطعة من الخشب تخترق اللسان وتربطه بالشفتين ، منذ اليوم الاول من موعد الصوم ، لتسهل مراقبته ، والتثبت من انه لم يقدم على تناول الطعام سرا

والهنود الحمر في أمريكا الشمالية كانوا ولا يزالون الى اليوم ، بالرغم من امتزاجهم بالسكان البيض وامتداد المدنية الى ربوعهم ، يعدون الصوم من أنواع الرياضة البدنية النبيلة ، ومن الوسائل التي يتقرب بها الانسان الى الخالق . وهم يدربون أبناءهم على الصوم منذ سن الطفولة ، وينصرف الصائم ، بعد مضي عشرين يوما أو أكثر على صومه ، الى التحدث بنصائح وارشادات ، يحلها سامعوه محل الاعتبار ، لاعتقادهم انها صادرة عن رجل ارتفع بصومه عن مستوى البشر وسما بروحه ، بعد ان طهرها وطهر جسده معها بالزهد والتقشف ، الى العالم الآخر حيث ترتع أرواح الموتى من أجداد الهنود الحمر ، في « رياض الآلهة ! »

وفرض « البوذا » على أتباعه ان يصوموا مدة طويلة من السنة « لجعل الروح تنفصل عن المادة وتقهر الجسد وتهزأ بقوانين الطبيعة . » والبوذيون يحافظون محافظةدقيقة على هذهالوصية، كما يحافظ البراهمة على ما تفرضه عليهم أيضا ديانتهم من الامتناع عن الطعام للغرض نفسه . وفى الصين والهند واليابان ، أمثال رائعة من الصوم الطويل الأمد ، الذى يتحمله المتعبدون من أبناء الديانتين بصورة تدعو الى الدهشة والعجب

وكان النورمنديون الوثنيون ، عندما اندفعوامنالشمال لغزوأوروبا، يمتنعون عن الطعام بضعة أيام لكى يخوضوا غمار المعارك « بجسم نظيف وروح مطهرة ! »

□

وجاءت الأديان المنزلة ففرضت الصوم على اتباعها لاعتبارات دينية وصحية معا - فاليهودية والمسيحية والاسلام ، ثلاثتها تفرض الصوم على العباد فى أوقات معينة ، وبشروط محددة . وأهم مواسم الصوم عنداتباع هذه الديانات ، يوم بوريم ويوم كيبور عند اليهود ، ويفرض فيهما الانقطاع التام عن الطعام والشراب مدة ٢٤ ساعة . والصوم الكبير عند المسيحيين، وهو يقضى بالانقطاع عن الطعام والشراب من منتصف الليل الى الظهر أى ١٢ ساعة ، لمدة أربعين يوما . وصوم رمضان عند المسلمين ، وهو يقضى بالانقطاع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر الى مغيب الشمس ، طوال ذلك الشهر . ولليهود والمسيحيين مواسم أخرى يفرض فيها الصوم ، أو الامتناع عن تناول أنواع معينة من الأغذية، لمدة تقصر أو تطول حسب الدين والموسم . وقد ضرب مؤسسو الديانات الثلاثة لاتباعهم المثل الصالحة والقدوة الحسنة ، بانصرافهم الى ممارسة الصوم وانقطاعهم عن الطعام وعن العالم ، مرارا عديدة فى حياتهم . ولسنا هنا فى حاجة الى ذكر الآيات الخاصة بالصوم فى التوراة والانجيل والقرآن ، فهى خارجة عن نطاق هذا البحث

□

ونتساءل الآن : كم من الأيام يستطيع الانسان ان يتحمل الصوم وينقطع عن الطعام ويكتفى بالماء ؟

ان العلم والتجربة والواقع ، كلها تثبت ان الانسان فى وسعه ان ينقطع عن الطعام عشرات الأيام ، ولكنه لا يقوى على تحمل العطش أكثر منسبعة أيام ، فان الجسم بعد هذه المدةالقصيرة يشرف على التلف ، ويزيغ العقل

اما الانقطاع عن الطعام فقط ، دون الماء ، فان التجارب التى أجريت فى مختلفالبلدان قد أسفرتعن نتائج عجيبة ، يصعب تصديقها لو لم تكن مؤيدة بشهادات الشهودوتقارير العلماء

واليك بعض الأمثلة من الصـوم الطـويل الأمد ، نرويهـا للفائدة والتسلية ، وقد تحدى القائمون بهـا مبادىء الطب وقواعد العلم ، ولكنها حـوادث فردية استثنائيـة لا يمـكن اتخاذها حجة للتعميم

ان أعظم الناس تحملا للجوع هم بلا شك جماعة « اليـوجى » أو من يسمونهم « فقراء » الهند . وقد سمع كاتب هذه السطور فى بمباى كاهنا برهميا يشرح أساليب اليوجى ، فقال: ان كلمة « فقير » محرفة ، وان الاصل « فكير » بالكاف المشددة ، أى من يمعن التفكير فى شىء معين

ويصوم الفقير ٥٠ أو ٦٠ يوما فلا يعد عمله هذا شـيئا يذكر فى نظر بعض رفاقه ، الذين يمتنعون عن الطعام والشراب بضعة شهور ، يصبحون فى خلالها فى حالة ذهول وجمود يقرب من الموت ، بل يخيل لمن ينظر اليهم ، أو يلمسهم وهم ممددون فى صناديق تشبه النعوش ، انهم أموات حقا .
وقد شرح الأستاذ بوتك فى كتابه « قانون اليوجا » الأساليب التى يعمد اليها أولئك الفقراء شرحا وافيـا ، يفهم القارىء فحواه ، ولكنه لا يكاد يصدق ما جاء فيه ، ويؤثر لو شاهد بنفسه أولئك الصائمين ، وتثبت من أمرهم ، عملا بقول القائل : « الرؤية أصدق من السمع »

ويقول اليوجى أنفسهم ان العمل الذى يقومون به ، فى استطاعة أى انسان كان ان يقدم عليه بنجاح على شرط ان يروض نفسه ، ويتمكن من « تسليط قواه الروحية على جسد لأن المادة تخضع للروح وتصبح فى مأمن من التلف والفناء ! » وهـذ أيضا تفسير يصعب عـلى غـير الذين مارسوا هذه الرياضة ، أو هذا الفن ان يدركوا مداه ويصدقوه

ولكن الواقع يرغمهم على التصديق والواقع الذى لا شـك فيه ، والذى شهد به شهود واقره علماء ، هو ان فقراء الهنـد يتحملون الصوم بضـعة شهور ، شئنا أم أبينا !

▭

يقول الكولونيل روشاس فى كتابه « وقف الحياة » : ان فقيرا هنديا بقى عشرة شـهور مدفونا فى قبر ، ولم تنقطع الحراسة عنه ، فظل حيـا ولم يؤثر فيه الجوع والعطش . ودفن الفقير « هاريدس » نفسه عشرة شهور ايضا فى قصر المهراجا رانجيت سن ، وكان يراقبه الطبيب النمساوى هونيجبرجر . وأراد الانجليز مرة ان يضربوا الهنود فى معتقداتهم ضربة قاسية ، فطلبوا من الفقـراء ان يقوموا بتجاربهم تحت اشراف السـلطات الحاكمة نفسـها ، فقبل لفيف من الفقراء ذلك التحدى ، ودفنوا انفسهم عشرين يوما فى قبور

محكمة الاقفال ، ثم نهضوا أصحاء معافين !

ولكن ما لنا ولفقراء الهند . فقد يقول قائل ان قوة سحرية أو روحية تسندهم في تجاربهم . فلنذكر اذن بعض حوادث الصوم الغريبة ، في خارج الهند

في سنة ١٧٩٠ ، ظلت الفتاة السويسرية جوزفين دوران أربعة شهور بلا طعام ، ولم تذق في خلال هذه المدة غير بضع قطرات من الماء

وفي سنة ١٨٩٦ ، ذكرت الصحف خبر امرأة فرنسية تدعى زيلي بوريو ، امتنعت عن الطعام مدة ١٥٢ يوما ، لم تذق فيها غير الماء . وذلك على اثر حزن شديد أصابها

وتراهن الدكتور تانر ، في سنة ١٨٨٠ ، على البقاء اربعين يوما بلا طعام ، وكسب الرهان ، وقد راقبه طول مدة الصيام جماعة من زملائه الاطباء ، ودونوا ذلك في محضر وقعوا عليه جميعا

وصام الرسام الايطالى مرلاتي ٥٠ يوما ، في سنة ١٨٨٥ ، باشراف لجنة من الاطباء ، بعد ان التهم أوزة بكاملها ، مع عظامها وخرج من التجربة ظافرا معافى

وصام الايطالى سوتشي بضع مرات ، كان ينقطع فيها عن الطعام ٣٠ أو ٤٠ يوما في كل مرة ، وذلك باشراف اطباء يدونون ملاحظاتهم

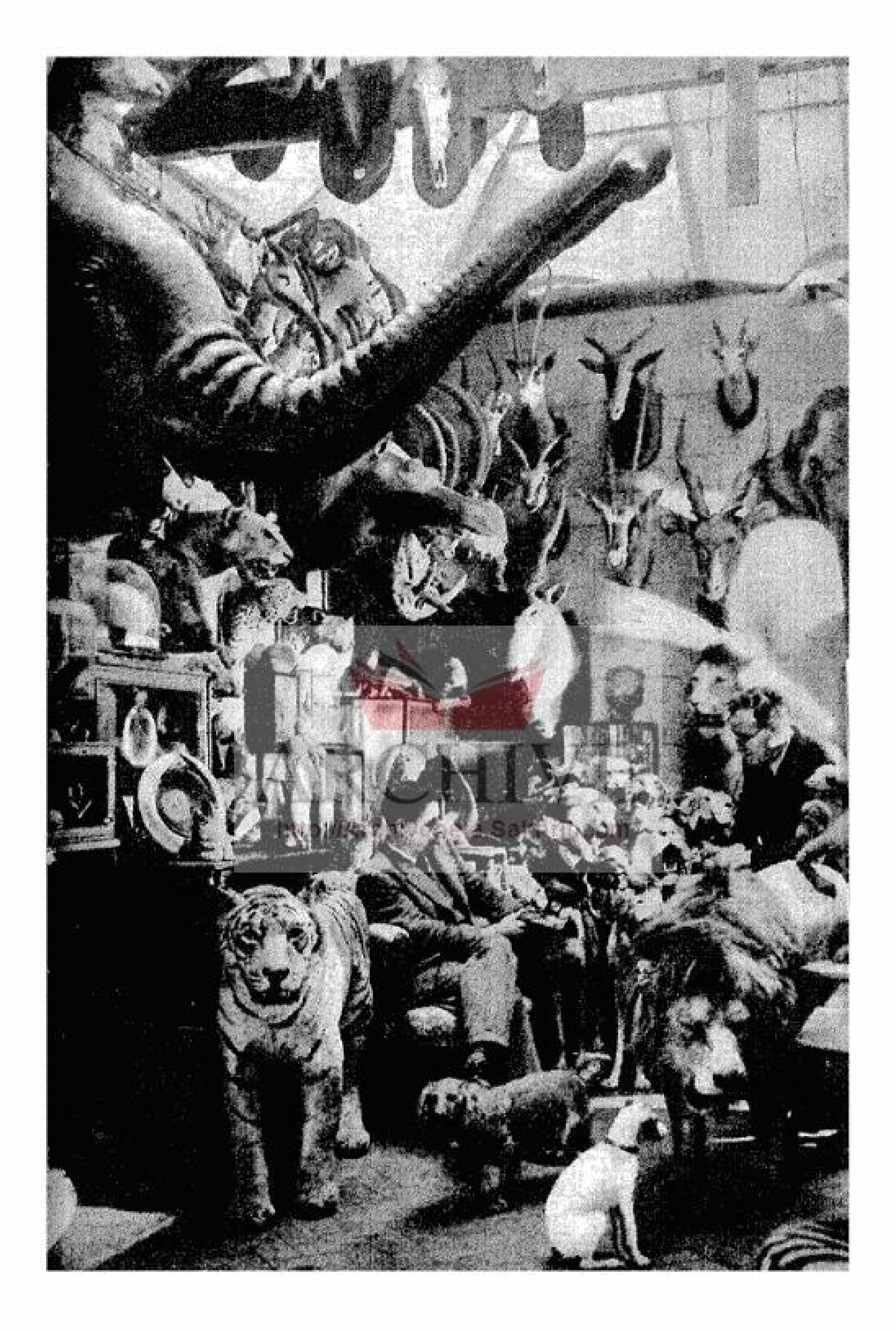
وحادثة الزعيم الارلندي مكسويني مشهورة يعرفها الجميع . فقد سجن ذلك الوطني المجاهد وقرر الاضراب عن الطعام في سجنه حتى الموت . وبقي صائما ٧٥ يوما ، الى ان وافاه الأجل وذلك في سنة ١٩٢٠

وفي أيامنا هذه ، يعمد بعض السجناء والمعتقلين الى الاضراب عن الطعام ، ولكنهم يعدلون عن مواصلة الصوم بعد بضعة أيام ، اما اقتناعا بان الحياة أفضل من الموت ، واما لاجابتهم الى ما يطلبون . واشهر مارسي الصوم في هذه الايام المهاتما غاندي ، وهو يفعل ذلك من وقت الى آخر ، اما على سبيل الاحتجاج السياسي ، واما لتطهير النفس والتقرب من الملأ الاعلى ، واما لحمل مواطنيه على اتباع خطة معينة يرشدهم اليها ، ويقول لهم : « سأصوم الى ان تسلكوا الطريق القويم ، وسأظل صائما حتى الموت ! » وقد كللت طريقة الاقناع هذه بالنجاح الى الآن ، اذ ان المهاتما غاندي لايزال حيا يرزق !

☐

هذا ما عن لنا ذكره عن الصوم في التاريخ ، وجلد الانسان على تحمله . اعاد الله على العرب اجمعين ، مسلمين ومسيحيين ، مواسم صومهم مصحوبة بالخير والبركة وتحقيق الاماني والآمال !

حبيب جاماتي





الى اليمين جانب من مصنع « جيرار » للتحنيط والى أعلى مجموعة محنطة من الأسود يخيل للرائى أنها لا زالت على قيد الحياة

سفينة نوح !

يطيب لكثير من الناس أن يحتفظوا بهيا كل ما كان لديهم من الطيور المحبية اليهم ، أو الحيوانات الأليفة بعد نفوقها، وقد اختصت عائلة « جيرار » بلندن فى حفظ الطيور والحيوانات بأشكالها الطبيعية . وقد نشطت صناعته أيما نشاط فى السنوات الأخيرة ، ويرجع ذلك الى أن المعاهد الدراسية ، والمتاحف وكبار رجال الصيد ، وغيرهم من الناس الذين لا يستغنون عن الاحتفاظ بالأليف من طيور والحيوانات النافقة . اندفعوا فى طلب « تحنيطها » . ويكلف تحنيط الفيل من ٢٠٠ الى ٣٠٠ جنيه، أما السباع والنمور فيكلف الواحد منها مبلغاً لا يتجاوز ١٥٠ جنيهاً ، وتستغرق هذه العملية نحو ثلاثة أشهر ، أما عصفور الكناريا فلا يكلف أكثر من ٩٠ قرشاً .

ومن أشهر ما احتفظ بهيا كله من الحيوانات ، الدبتان القطبيتان اللتان كانتا بحديقة حيوانات مدينة لندن ، وكذلك بعض الطيور النادرة ذات المنظر الجميل

وقد ادخل على هذه الصناعة كثير من التعديل والتحسين ، وذلك ببناء هيكل الحيوان او الطائر فى كثير من الدقة ، وطلائه بطبقة رقيقة من الصلصال ، ثم يوضع جلد الحيوان أوريش الطائر على هذا الهيكل فيضفى عليه الشكل الطبيعى ، حتى لا يستطيع الناظر اليه التفرقة بين الحى والميت ، أما الفك واللسان وسقف الحلق والشفاه فانها تصنع من مادة البلاستيك ، كما تطلى العيون حتى تظهر بمظهر العيون الطبيعية

الأدلة الناطقة



هل ما يسمونه «الادلة الناطقة» يعد دائماً من عناصر الاثبات التي لا تكذب؟ ان هذا الحادث مثل لما يقع فيه الناس أحياناً من خطأ في الحكم والتقدير

سار «جون كامبيون» وراء بواب الفندق ، وصعد السلم الذي خيل اليه انه حالك السواد كالقبو المظلم ، بعد ان كانت أضواء الطريق قد بهرت عينيه . وأدخله البواب احدى غرف النوم ، ثم وضع حقيبته على مقعد خشبي ، وانصرف بعد ان أغلق الباب وراءه

ذهب كامبيون الى النافذة ، وفتح مصاريعها الخشبية الخضراء ، فأغرقت الغرفة موجة من أشعة الشمس الوهاجة ، وانحنى ناظرا الى الخارج فخيل اليه انه يشرف على هوة سحيقة ، فان السهل ينبسط خلف الفندق ، بما فيه

من كروم وحقول وأشجار وطرقات، كانت تبدو له صغيرة من ذلك المكان المرتفع أشبه ما تكون برسم منقوش على لوحة رسام كبيرة ، هى ذلك السهل الذى يمتد الى مسافات بعيدة ، حيث تحده تلال بنفسجية ترفع هاماتها الوردة الواحدة خلف الأخرى ، كالأمواج المتلاحقة تتلاعب بها الرياح

كانت الغرفة فسيحة رطبة ، ذات سقف مرتفع مدهون ، وفيها كثير من الاغطية البيضاء ، وكثير من المناشف النظيفة، ولم يجد كامبيون فيها الا عيبا واحدا ! هو ان الخادم نسى ان ينظف الموقدة ، التى ترك فيها المسافر الذى أقام فى الغرفة قبله ، كومة من رماد اللفائف ومن أعقاب « السيجار »

* * *

ألقى كامبيون بنفسه فى مقعد واسع ، وقد شعر بالتعب ، فان ألم القلب قد راجعه وهو فى القطار ، وأدرك أنه أخطأ فى حمل حقيبته من البيت الى المحطة ، فى صباح ذلك اليوم

لم يكن لكامبيون كثيرون من الأصدقاء ، ولم يحدث ان رجلا مشهورا مثله عاش ، كما يعيش هو ، فى معزل عن مواطنيه . فالجمهور لا يعرفه الا من مؤلفاته . أما حياته وشكله وعاداته ، فانها محاطة جميعها بهالة من الاسرار ، فلا يعرف أحد عنها شيئا . ومن خصائصه أنه يكره التبغ ولا يدخن أبدا ، وانه لا يحب الموسيقى ، ولا يختلج صدره بأى نوع من الشعور عند ما يسمع أنغامها

انه ينظر الى الحياة نظرة الساخر المراقب ، ويكتب فتنم كتاباته عن قوة فى التفكير والتعبير تثير الاعجاب ، وأسلوبه لاذع مقتضب، يمتاز بوضوح فى النقد ، وجلاء فى الوصف ، وسحر فى البيان، يكثر كامبيون من الاستعانة به لحمل قرائه على الخروج على التقاليد البالية ، وطرح المعتقدات السخيفة جانبا ، والنظر الى الحياة بعين مجردة من الخداع

* * *

أخذ كامبيون فى تلك الغرفة نصيبه من الراحة ، ثم نهض وفتح حقيبته، وجعل يخرج محتوياتها التى كانت تدل ، بطريقة وضعها وتنظيمها ، على ان الشخص الذى وضعها يحب النظام، كما دل على ذلك أيضا ترتيبها فى الغرفة . فان كامبيون كان يستخرج تلك المحتويات واحدة فواحدة من الحقيبة ، ويضع كل شىء فى المكان الذى خصص له ، فى الخزائن أو الادراج . فقد تناول ثلاثة أو أربعة كتب ووضعها فى مكانها ، فى الخزانة الصغيرة الموضوعة الى جانب الفراش، وأخذ بين الابهام والسبابة رزمة من « السيجار » الايطالى ، فشمها بشىء

من الفضول الممزوج بالامتعاض ، ووضعها فى أحد الادراج . ثم تناول نسخة من التوراة ، ففتحها ، وتبين من أوراقها ان الايدى قد قلبتها كثيرا من قبل ، وان الذين طالعوها دونوا على هامش صفحاتها ملاحظاتهم ، ووجد كامبيون فى داخلها ورقة كتبت عليها هذه الكلمات : « نصوص تعيد الثقة الى النفس » فهز كامبيون كتفيه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة الشفقة على ذلك الذى كتب تلك الكلمات ، ثم وضع التوراة فى الدرج بجانب رزمة السيجار ، وعاد الى الحقيبة فأخذ منها كتابا ضخما ألقى نظرة على عنوانه : « مقطوعات بيتهوفن الموسيقية » وقلب أوراقه كما يفعل الجاهل الذى لا يدرك من الموسيقى شيئا ! ..

* * *

وبعد ان انتهى كامبيون من نقل محتويات حقيبته جميعها ، ورتبها فى أماكنها بدقة واهتمام ، أخذ محبرته وقلمه ، وجلس الى المكتب ، وجعل يكتب الرسالة الآتية :

« وصلت منذ ساعة ، وبعد أربعة أيام سأواصل السفر الى انجلترا . لقد قمت بالمهمة التى كلفتنى بها ، واشتريت لك جميع الاشياء التى طلبتها منى . ففى الخزانة رزمة بها خمسون من السيجار الايطالى الكريه ، الذى امتد نتنه الى ثيابى ، ففاحت منها رائحة تعافها النفس ! وفى فلورنسا ، عهدت الى صانع ماهر بتجليد نسخة التوراة لزوجتك ، حسب التعليمات التى تلقيتها منها . والآن ، تبدو هذه النسخة المقدسة فى حلة تجعلها أشبه برواية من روايات دانونزيو . وبهذه المناسبة أخبرك بأننى عثرت فيها على بضع وصفات « روحية » مدونة بالقلم الرصاص ، وقد احتفظت بها بعناية ، ووجدت أيضا فى أحد المخازن التى تباع فيها الذخائر المقدسة ، صورة لولى من الأولياء ، فاشتريتها ووضعتها لك داخل التوراة . ولكن ، سمعت ان هذه الذخيرة لا تجلب الخير الا لمن يكون ايمانه قويا صادقا ، وليس كايمانى أنا ، فاننى أوثر العلاج من الأمراض والأوجاع بالعقاقير الطبية المعروفة ، على العلاج بالأناشيد والصور والتماثيل التى تصنع المعجزات . ووجدت فى فلورنسا نسخة من مقطوعات بيتهوفن الموسيقية ، فيها ملاحظات بقلم رجل يدعى روبنستين . وقد أكد لى الصديق الذى دلنى على الكتاب ، ان روبنستين هذا موسيقى مشهور من نوابغ العازفين على البيان ، وان هذه النسخة تحفة فنية لاتقدر بثمن . ولهذا اشتريتها لزوجتك ، وسأحملها اليها معى ، ولكن

على شرط ان تمتنع عن عزف ألحان « بيتهوفن » عندما أكون أنا عندكم. وانني أشكرك على القائمة التى أرسلتها الى بأسماء الكتاب والمؤلفين الايطاليين الشبان . وقد أصغيت لنصائحك واشتريت مؤلفات « بابينى » وغيره ممن ذكرتهم لى . وكتاب « الرجل الكامل » لبابينى ، الذى سأنتهى من قراءته الليلة ، ضايقنى وبعث فى نفسى الضجر . فان ثرثرة هذا الكاتب متعبة ، واكثاره من العبارات الخليعة يثير الاشمئزاز . وأنا لم أجد الى الآن كاتبا واحدا بين هؤلاء المؤلفين الايطاليين الشبان جديرا بالاهتمام والالتفات »

* * *

كتب كامبيون العنوان على الظرف وألصق عليه طابع البريد ، ووضعه فى الصندوق وهو نازل الى قاعة الطعام، حيث جلس على مائدة واحدة مع الانجليزى الوحيد الذى كان بين نزلاء الفندق. فوجده كامبيون ظريفا، واسع الاطلاع ، وتبادل الرجلان حديثا طال الى ما بعد العشاء

ولكنه شعر بألم القلب يعاوده ثانية ، فقال فى نفسه مرة أخرى انه أخطأ فى حمل حقيبته من البيت الى المحطة فى صباح ذلك اليوم ، وانه لا بد له من الراحة بضعة أيام . فنهض متعبا ، وطلب ان يرسل اليه الافطار فى الساعة العاشرة صباحا ، ومشى بخطى ثقيلة وئيدة الى السلم ، فصعده متباطئا الى غرفته

وقع نظره على الكتب الايطالية مرصوصة على الخزانة الصغيرة بجانب السرير ، تعلوها نسخة « الرجل الكامل» . وفكر كامبيون فى موضوع هذا الكتاب الذى يطالعه ، فأدرك انه لن يستطيع فى تلك الليلة ان يتحمل هذا السيل الجارف من الثرثرة التى يمتاز بها المؤلف ، وانه من الخير ان لا يقرأ ، بل أن يضع قلمه ودفتر مذكراته بجانبه ، ليدون ما يخطر له من أفكار ، فى حالة الأرق . لكنه بحث عن الدفتر فلم يجده ، ولم يذكر جيدا انه وضعه فى الحقيبة قبل سفره، وظن أنه قد لفه فى قطعة من ثيابه ، وفى هذه الحالة يكون الدفتر فى أحد أدراج الخزانة

فتح كامبيون الدرج الأول بعناء، فلم يجد فيه الدفتر الضائع ، وفتح الدرج الثانى فلم يجده فيه أيضا ، فضاق صدره ، ونفد صبره ، وراح يقلب الأدراج الواحد بعد الآخر، ويبعثر الثياب التى رتبها ساعة وصوله ، ولم يعد يملك قياد أعصابه، فألقى كل شىء على الأرض هنا وهناك، وعزم فى النهاية على أن يأوى الى فراشه ، فأخذ لباس النوم ، واذا

الدفتر والقلم يسقطان من داخله . وعندما انحنى ليلتقطهما ، تبين له ان الموقدة لا تزال مملوءة بالرماد وأعقاب السيجار . فسخط على ذلك وضاق به ، ولكنه استلقى على سريره متوتر الاعصاب ، منزعجا ، وأطفأ النور

* * *

طرق الخادم باب الغرفة فى الساعة العاشرة صباحا ، فلم يرد عليه كامبيون . فدخل الرجل ، ووضع طعام الافطار على المنضدة ، ونظر الى السيد الانجليزى فوجده لا يزال نائما ، وكان النور النافذ الى داخل الغرفة ضعيفا ، ولكن الخادم تمكن من تمييز وجه كامبيون الشاحب ، ويديه الجامدتين ، وغطاء السرير الملقى جانبا فذهب الى النافذة وفتحها ، ثم التفت الى السرير ، ووقف مصعوقا ، لأنه تبين ان السيد الانجليزى ليس نائما بل ميتا ..! ولم يكن هناك شك فى ذلك . فألقى الخادم نظرة حواليه فى الغرفة ، ورأى زوجا من الأزرار الذهبية على المنضدة ، فتلقفهما بسرعة البرق وأخفاهما فى جيبه ، ثم خرج وأغلق الباب بالمفتاح ..

وعند ما باشرت السلطات المختصة التحقيق فى الحادث ، رؤى ان وجود الرجل الانجليزى الآخر قد يساعد المحققين ، الذين لم يتمكنوا من معرفة شخصية الميت الا بعد البحث الدقيق بين أمتعته وأوراقه

* * *

وأثار خبر وفاة كامبيون فى انجلترا الاهتمام الذى تثيره عادة وفاة كاتب مشهور . ونشرت المجلات الاسبوعية والشهرية ، والجرائد اليومية التى تدعى انها تهتم بالحركة الادبية ، مقالات عديدة مشحونة بالتفاصيل عن كامبيون، وأسلوب معيشته ، ومؤلفاته وآرائه . ولما كان الناس لا يعرفون غير القليل عن حياة الكاتب ، فقد طلبت الصحف من الرجل الانجليزى الذى تناول معه العشاء الأخير ، وشهد التحقيق فى حادث وفاته ، ان يدون ملاحظاته الشخصية عن الفقيد . فنزل الرجل على رغبة الصحف ، وكتب يروى الحديث الذى دار بينه وبين كامبيون على المائدة ، الى ان قال :

« قد يبدو غريبا لبعضهم ان يقدم رجل لم يعرف كامبيون الا مدة ساعتين فى الفندق ، على وصف حياة ذلك الكاتب ، وميوله وآرائه . غير ان وجودى معه قبيل وفاته ، وقيامى بواجب الاشتراك فى التحقيق والبحث فى أمتعته ، بالغرفة التى رأيته مستلقيا على سريرها ، فى الوضع الذى فاجأه فيه الموت ، واتصالى الوثيق فى تلك

اللحظة بحياته الخاصة ، كل ذلك جعلنى اطلع على تفاصيل لا يعرفها أحد عن ميوله وعاداته

« فان كامبيون كان ، كمعظم الرجال من ذوى الشعور الفنى ، لا يعرف النظام والترتيب . فثيابه كانت مبعثرة فى الأدراج وعلى الأرض بكيفية تحمل على الاعتقاد بأن ذلك كان مقصودا . ولم يكن كامبيون قد دخن بعد العشاء فى الليلة السابقة ، ولهذا فاننى دهشت اذ تبين لى فى غرفته انه من المدمنين على التدخين ، فقد كانت الموقدة مملوءة برماد اللفائف وأعقاب السيجار . ووجدنا فى الغرفة رزمة فيها ما لا يقل عن خمسين سيجارا ايطاليا

« وقد يدهش الذين قرأوا مؤلفات كامبيون ، عند ما يعلمون انه كان شديد الورع والتقوى . فانه كان يحمل معه نسخة من التوراة تدل حالتها على انه كان يكثر من مطالعتها، وقد دون على صفحاتها ملاحظاته،وكتب فى ورقة بخط يده هذه الكلمات : « نصوص تعيد الثقة الى النفس » ولا شك فى ان هذه التوراة تعد كنزا من الكنوز النفيسة التى خلفها الفقيد، وقد عنى بتجليدها تجليدا فاخرا فى فلورنسا ، ووضع فى داخلها صورة لا بد ان يكون قد اشتراها من احدى المزايدات

« وكان كامبيون من أنصار الأدب الايطالى الحديث المتحمسين . فقد وجدنا بالقرب من سريره كومة من الكتب للمؤلفين الشبان ، بينها مؤلفات بابينى ، وكان يطالع كتابه الأخير « الرجل الكامل » عند ما فاجأه الموت . ووجدنا أيضا فى داخل الكتاب ، فى الصفحة التى بلغها فى قراءته ، قائمة بأسماء جميع المؤلفين الايطاليين المنتمين الى المدرسة الجديدة

« ولم يكتب كامبيون فى حياته سطرا واحدا يستفاد منه انه كان يحب الموسيقى . ومع ذلك ، فانه كان من المولعين بها الى حد بعيد . فقد وجدنا فى غرفته نسخة من كتاب «مقطوعات بيتهوفن الموسيقية» وكانت حالة ذلك الكتاب — مثل التوراة — تدل على ان الفقيد كان يكثر من مطالعته ، ويدون على صفحاته ما يعن له من ملاحظات بالقلم الرصاص . ولست أدرى اذا كانت هذه ملاحظاته أو ملاحظات الأستاذ الذى درس عليه الموسيقى ، ولكن الشىء الذى لا يمكن الشك فيه ، هو ان كامبيون قد تعمق فى درس الموسيقى ، وتحليل عبقرية أشهر الموسيقيين على الاطلاق

« وهذه المعلومات التى تذاع الآن للمرة الأولى تفيد الناس فى ناحية من نواحى التفكير ، وتلفت الانظار الى أنه من الخطل والضلال ان يحكم الجمهور على كاتب من خلال

مؤلفاته ، وان توصف أخلاق مؤلف وعاداته وآراؤه، بالاستناد الى مايكتبه فى مؤلفاته . فطبع الفنان لا يظهر من فنه ! »

* * *

هذا ما كتبه الرجل الانجليزى الذى تناول العشاء مع كامبيون فى الفندق ، وتحدث معه مدى ساعتين . ويحتمل ألا يكون أصدقاء الكاتب المقربون قد اطلعوا على هذا المقال . لأنه لم يرتفع صوت واحد من بينهم بتكذيب ما جاء فيه أو تصحيحه . وبعد مرور مدة من الزمن على ذلك الحادث ، عند ما أراد أحد الكتاب ان يضع قصة حياة كامبيون ، لم يجد أمامه مصدرا « يوثق به » ليعتمد عليه فى وصف أخلاق الرجل وميوله ومعتقداته وآرائه ، غير المقال الذى كتبه الانجليزى ، رفيق الفندق ، بالنظر الى ما يحويه من تفاصيل ثمينة تطابق الواقع !

[عن « مارتن آرمستروغ »]

معدة الفن !

عرف المخرج السينمائى المشهور «ألفريد هتشكوك» بولعه الشديد بالطعام.. ومن المأثور عنه فى هذا الصدد انه دعى مرة الى مأدبة كانت كميات الطعام التى قدمت فيها قليلة لا تشبع . فلما قدمت القهوة بعد العشاء التفت المضيف الى هتشكوك قائلا :

أرجو أن تشرفنى بتناول العشاء هنا مرة أخرى فى أقرب فرصة

فأجابه هتشكوك فى لهفة :

— بكل سرور . . فلنفعل ذلك الآن !

مكره أخاك . . لا بطل !

عند ما اشتد بالملك « فردريك الاكبر » مرض الموت ، وحضرته الوفاة ، سأل القس الذى كان يصلى من أجله : « هل من الضرورى أن أصفح عن جميع أعدائى ، كى يتقبل الله روحى ؟ » فلما أجابه القس بالايجاب التفت الى زوجته الملكة قائلا :

— دوروثى . . اكتبى الى أخيك فانبئيه بانى قد غفرت له كل السيئات التى اقترفها فى حق . . ولكن انتظرى حتى أموت أولا !

منذ القدم والاعتقاد السائد أن النساء يُغمى عليهن أكثر وأسرع من الرجال .. فهل لهذه العقيدة من أساس علمي ؟

لماذا يغمى على النساء ؟

مهما يكن السبب الأساسي للاغماء، فانه يصحبه نقص في كمية الدم الصاعد الى المخ . وينتج عن هذا الانخفاض الفجائي في كمية الدم شيء من الاضطراب في المخ ، يفقد معه الوعي . فاذا مرت الأزمة وعاد الدم الى مكانه العادي في المخ انتهى الاغماء

واضطراب الغدد من أهم أسباب الاغماء . والنساء بنوع خاص ، معرضات للاغماء لما يطرأ على الغدد عندهن من تطورات طبيعية دورية

ويصحب انتقال الفتاة الى دور المراهقة ، ثم الى دور الأنوثة الناضجة تغير جوهري في الغدد : وظيفتها وافرازاتها . كما يصحب الانتقال الى مرحلة الأمومة ارتفاع وانخفاض في افرازات غدد الجهاز التناسلي

وكثيرا ما تصاب النساء الحوامل بالاغماء نتيجة للتغيرات الحيوية التي تطرأ على الغدد والجهاز العصبي ، والتركيب الكيمياوي للدم عندهن

وكثيرا ما يغمى على المصابين بأمراض الغدة الدرقية ، وبخاصة اذا نقص افراز هذه الغدة للهرمونات الضرورية لانتاج الطاقة اللازمة لنشاط الانسان

وتحدث الغدد الصماء تأثيرات كثيرة شديدة التعقيد على الجهاز العصبي والدورة الدموية . فاضطرابها أو نقص افرازاتها أو عدم التوازن بينها يسبب نقصا مفاجئا في ضغط الدم ، ينشأ عنه الاغماء

●

ومرض «السكر» أحد أمراض الغدد، ويتعرض المصاب به للاغماء عادة . والمعروف ان المريض بالسكر يحقن يوميا بهرمونات تسمى الانسولين ، وهي تساعد على احتراق السكر الموجود في الدم . والسكر احدى مواد الوقود في الجسم ، وهو الغذاء المفضل للمخ، ووجوده بنسبة معينة في الدم ضروري للجسم ، فاذا نقص مقداره في دم المريض بالسكر نتيجة لتعاطي الانسولين ، فلا بد للمريض من ان يأكل كمية من المواد السكرية ليعيد التوازن الى التركيب الكيمياوي للدم في الجسم ، والا أغمي عليه

وقد شعر مريض بالسكر يوما

بشىء من « الدوخان » فأدرك ان كمية السكر فى دمه نقصت ، وأسرع الى أقرب صيدلية ، وما ان التفت اليه الصيدلى يسأله ما يريد حتى أغمى عليه وانتفخت شفتاه وترنح ، حتى ظن الصيدلى انه سكير ثمل ، وطرده ، فاشتد غضب المريض لهذه المعاملة غير المقصودة ، وكان من نتيجة غضبه ان زاد افراز غدد الادرينالين ، ومن طبيعة هرمونات الادرينالين ان تزيد كمية السكر فى الدم ، فتحسنت حالة الرجل ، حيث وصل الى مخه ما عوض نقص السكر ، وأوسع الصيدلى تعنيفا وتأنيبا . وهذه الحالة تصور لك أهمية التوازن بين هرمونات الغدد المختلفة، وتأثير هذا التوازن فى الدورةالدموية

واغماء النساء الحوامل غير خطير فى معظم الأحيان ، ويجب ان تستلقى المرأة الحامل فى الحال ولو على الأرض اذا شعرت بأعراض الاغماء ، واذا أحنت المرأة رأسها بين ركبتيها،أمكن ان يستعيد المخ كمية الدم اللازمة له، ومن الخير لها ان تشم بعض المواد الأثيرية فهى مفيدة فى هذه الحالات

وقد ينشأ الاغماء من ضربة على الرأس ، لأنها تسبب ضغطا على الأوعية الدموية فى المخ ينتج منه تقلص فيها ، بسبب نقص كمية الاوكسيجين فى الدم ، ومن ثم فى المخ

والأورام السرطانية وغير السرطانية ، واعتلال الاعصاب السمعية ، كل هذه مسئولة عن حدوث الاغماء

ويصاب كثير من النساء بالاغماء فى هذه الايام نتيجة لنقص الاوكسيجين فى المخ من أثر تعاطى الخمور ، أو المواد المخدرة أو الأقراص المنومة

وقد يكون لتحرر النساء من النظم والقيود الاجتماعية القديمة ، أثره فى قلة الاصابة بالاغماء . ولكن اقبالهن على الخمور والمواد المخدرة يقلل من كمية الدم فى المخ ، ويحد من نشاطهن

وأول ما يعمد اليه الطبيب — اذا دعى الى علاج الاغماء — هو ان يجس نبض المريض ليتأكد من حالة الدورة الدموية . ويطمئن اذا كان النبض قويا ، بين ٧٦ ، ٩٠ . ومن ثم يفحص المريض ، ويتبين لون وجهه ليتعرف على درجة نقص الاوكسيجين فى الدم . ويفحص جلده ليرى فى أى المواضع يكون جسمه باردا رطبا ، وفى أيها يكون جافا ساخنا . ولا بد من اختبار العينين جيدا لانهما قد تكشفان عن اصابة فى المخ . فاذا بدت احدى العينين أكبر من الاخرى فقد يكون هذا دليلا على انفجار داخلى فى المخ . ولا بد من فحص الجمجمة للتأكد من سلامتها وسواء كان سبب الاغماء خطيرا أم تافها ، فمعناه ان المخ لا يصل اليه المقدار الكافى من الاوكسيجين وسائر المواد المغذية

[عن مجلة « ذى أمريكان ويكلى »]

ســـرّ غـــرام بيتهوفن

..ا يدعو الى الدهشـة . اقدم واحد من المؤرخين الكثيرين الذين كتبوا سيرة حياة بيتهوفن على كشف الستار عن حقيقة تلك « السيدة الشابة » التى تحدثوا عنها فى كتبهم، والتى أحبها بيتهوفن وهو فى السادسة عشرة من عمره ، ويبدو الدور الذى لعبته فى حياته فى طائفة من الرسائل التى تركها ، مما لا يترك موضعا للشك فى أهمية ذلك الدور

وقد ظهرت الحقيقة الآن..وكان ظهورها فى مدينة تيميشوار الرومانية، بمقاطعة بانات . ففى هذه المدينة جمعية اسمها « جمعية أصدقاء الموسيقى » ، ورئيس هذه الجمعية الاستاذ جارزروس، هو الذى رفع القناع عن شخصية المرأة التى أحبها الموسيقى الخالد . وذاق بسببهـا ألوان العذاب طول حياته ، فعاش شقيا تعسا بذلك الحب

ومما يجدر ذكره ان ذلك العالم الباحث قد عثر على مفتاح السر الذى أراد معرفته فى حجرة مهملة ، ببيت قديم ، كان ملكا فى وقت من الأوقات للقسس البروتستانت فى تيميسوار

جاءت الحسناء

كان بيتهوفن يعمل عـازفا عـلى

يعد بيتهوفن أشهر نوابغ الموسيقى الألمان ، وقد أحب هذا الرجل ، ولعب الحب فى حياته دوراً هاماً . وهـذا المقال يكشف الستار عن حقيقة حبه وغرامه

« الأرغن » فى مدينة « بون » مسقط رأسه بألمانيا.وكان ذلك سنة ١٧٨٣، أى عند ما بلغ الموسيقى الشاب السابعة عشرة من عمره . وكان جميع أعيان المدينة ووجهائها يدعونه الى بيوتهم لسماع عزفه على « البيان » . ومن العائلات التى كانت تكثر من دعوته، وتحيى له حفلات خاصة فى فترات منتظمة ، عائلة أحد مستشاري الحكومة واسمه « برونينج » . ولما كان ذلك المستشار يعلم ان حالة بيتهوفن المادية لا تدعو الى الارتياح ، فقد عهد اليه فى اعطاء أبنائه دروسا فى الموسيقى

وفى بيت برونيج التقى بيتهوفن بالفتاة التى شاءت الاقدار ان يتعلق بها قلبه ، ويشعر بأنه يحبها حبا لا هوادة فيه ، وذلك بعد مرور ساعات فقط على اللحظة التى صافحها فيها للمرة الأولى

جاءت الفتاة من مدينة كولونيا

حيث تقيم عند أسرة تربطهـا بأسرة برونيج أواصر القرابة . وهى تنوى قضاء عيد الميلاد فى مدينة بون، وشاء طالع بيتهوفن ان يراها فى هذه الفترة!

كانت فى التاسعة عشرة ، تكبره بسنتين ، واسعة الاطـلاع ، جميلة ، ذكية ، تميل الى الموسيقى وتهواها . واسمها « جانيت هونورات » ، وهى من أسرة هنغارية معروفة ، وأهلها من كبار التجار . وقد أرسلوها الى المانيا لاتمام علومها ، والتعمـق فى درس اللغات الأجنبية وتاريخ الفنون الجميلة

هى فتاة مرحة لعوب ، راقها ما أبداه نحوها الموسيقى الشاب من ميل، فشجعته على المضى فى تحببه اليهـا . وجعل بيتهوفن يكاشفها بعاطفته الفياضة فلقى منها قبولا. وسجل فى مذكراته، فى الأيام الأولى التى تلت لقاءهما فى بيت برونيج ، السعادة العظيمة التى كان يشعر بها وهو فى صحبتها

ونقل بيتهوفن فى تلك المذكرات جميع الكلمات التى كان يسمعها منها، ووصف جميع حركاتها وسكناتهـا ، وأهدى اليها المقطوعات الموسيقية التى وضعها ، والتى تقبلتها جانيت بفرح لم تخفه عن الناس

ولكن يبدو انهـا لم تنظـر بعين الاعتبـار والجـد ، الى غـرام الفتى الموسيقى ، الذى لا يملك ثروة، والذى كان أصغر منها سنا بعامين. والدليل على ذلك انها لم ترفض مصاحبة ضابط جميل من الضباط النمساويين فى فينا. يجيد الرقص والمنازلة ، وقد أصبح ذلك الضابط ـ مع الأيام ـ أكثر أصدقائها ملازمة لها

وبدأ بيتهوفن يتألم . فقـد ولجت الغيرة صـدره ، وجعلت تمزق قلبـه كسائر العشاق الشبـان ، عنـد ما تصاب قلوبهم بصدمة من هذا النوع!

ولكن ، ما السبيل الى التغلب عـلى مزاحمه ؟ ان الموسيقى الفقير المعدم لا يملك غير الحقد على ذلك الضابط الجميل « كارل جروت » فحقد عليه ، وجعل يسميه فى مذكراته « قرمة الكرنب البشعة » وكان فرح بيتهوفن عظيما عند ما تلقى غريمه أمرا بنقله الى احدى مدن النمسا للالتحاق بحاميتها

الموسيقى : عزاؤه الوحيد

غير ان ذلك الفرح لم يدم طويلا. فقد حدث بعـد نقل الضـابط كارل جروت ، وترقيتـه رتبـة فى سلك الجندية ، ان غادرت جانيت هونورات أيضا مدينة بون للعودة الى كولونيا، عند أقارب أسرة برونيج ، لاستئناف دراستها . وفى اليوم الذى رحلت فيه ، دون بيتهوفن فى مذكراته هـذه الكلمات : « لا شيء يمكن ان يخلق فى نفسى العزاء على هذا الفراق ، غير الموسيقى ! »

ولكن الشاب والفتاة ظلا مدة من الزمن يتبادلان الرسائل ، ثم حـل

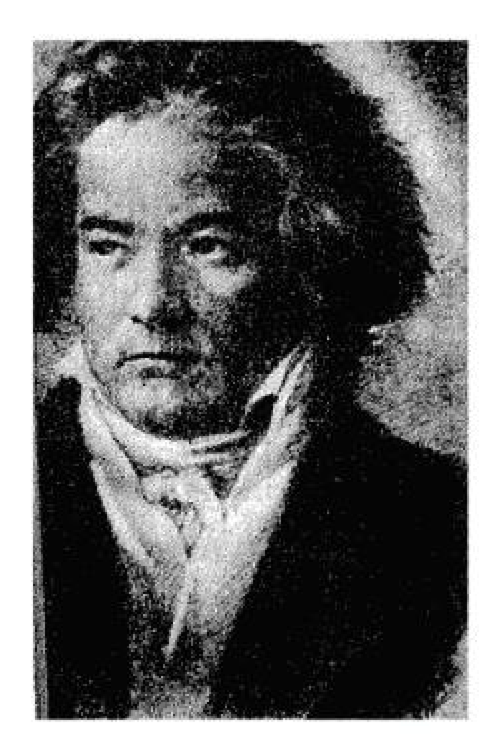
البريد ذات يوم الى بيتهوفن ورقة مطبوعة تنبئه بخطبة صديقته الحسناء والضابط النمساوي كارل جروت .
وهكذا تم انتصار « قرمة الكرنب البشعة » على العبقرية !

حزن بيتهوفن واستولى عليه اليأس، فرفض مواصلة اعطاء الدروس لأبناء برونيج ، مخافة ان يتضاعف حزنه ، ويتفاقم جرح قلبه الذي لا أمل في شفائه ، اذا ما وجد نفسه كل يوم وحيدا في الجو الذي شهد سعادته المفقودة

وكتب في مذكراته يقول: «لا أريد ان أرى بعد اليوم المكان الذي عرفت فيه أعظم حب وأعظم ألم في حياتي !»

ومرت الأعوام، فتألق نجم بيتهوفن وتذوق الموسيقى الشاب حلاوة الشهرة والمجد ، في حين ان غريمه السابق ، الضابط كارل جروت ، كان يرتقي من ناحيته مدارج التقدم ، فيتولى قيادة القلعة في مدينة تيميسوار الحصينة ، التي كانت في ذلك الوقت تابعة للنمسا

ولم يتمتع الضابط بالسعادة والهناء في حياته الزوجية مع جانيت هونورات فقد دب الخلاف بينهما ، وقتل الزوج في حادث اصطدام سنة ١٨٢٠ .
وبقيت الزوجة مقيمة في البيت الذي اشتراه في المدينة ، حيث ماتت بعده بقليل ، في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٢٣ ،



عاش شقياً حزيناً بسبب اخفاقه في الحب

ودفنت في مقابر البروتستانت في تيميسوار

وليس هناك ما يدل على ان جانيت هونورات عادت ، بعد وفاة زوجها ، الى الاتصال بالعاشق الذي احتقرته .
والشيء الثابت ، هو ان بيتهوفن علم بموت المرأة التي أحبها الى حد العبادة، بعد الحادث بأيام ، أي في عيد الميلاد سنة ١٨٢٣ ، فدون في مذكراته هذه السطور : « لقد مات معها حبي العظيم الأول .. الحب الذي لم أنسه في حياتي ، لأنني ظللت أفكر فيها دائما بعاطفة واحدة لم تتغير ! »

[عن مجلة « ايسي باري »]

يا ليل!

ماذا حملت لذى هم وتسهيد   يا أيها الليل فى أثوابك السود ؟
أتيت يا ليل ، ما للقلب من سهر   إلا على أمل فى الحب مفقود
وذكريات ليال كلما سنحت   أطلقن من حزن قلبي كل مصفود
يا ليل قد جئتنى لا فيك موعدة   ممن أحب بوصل منه منشود
ولا عزاء سوى الماضى أردده   وهل يعود إذا ما طال ترديدى ؟
يا ليل أين مواعيدى التى سلفت   يا ليل قد ذهبت منى مواعيدى !
يا ليل صرخة مفؤود يرددها   يا ليل هل رحمة ترجى لمفؤود ؟
أقطع الليل أنات مولهة   كأنه فى ظلام البيد مجهود !
ورب ليل مضى أسهرت أنجمه   بروائع سمعته من أغاريدى
ونادمتنى فتاة بعض فضلتها   حسن الصبا وليان الخرد الغيد
تشدو على وتر كالسحر رنته   بمنطق كنظيم الدر منضود
فالآن لا الشعر تشجينى لذاذته   ما فى الضمير ولا ترنيمة العود
فيالواعج حزن ترتعى كبدى   زيدى كما شئت فضاع الهوى زيدى
يا ليل أين ظلام كنت أشهده   حلو التقاسيم منضور التجاليد
تخذت منه مداد الشعر أنظمه   وصغت من سهرى فيه أناشيدى
يا ليل يا أبد المعانى ومحنته   ولحظة تنقضى فى عمر مجدود
لم تبق لى فيك أوطار ألذ بها   فاذهب كما جئت عنى غير محمود
وذكريات إذا ما ساورت خلدى   عصرننى أدمعا عصر العناقيد
أذكرننى الأمل المرجو كيف قضى   فى دامس من ظلام اليأس مفقود
وقد صبرت فما بلغت من أمل   ولا ظفرت من الدنيا بموعود

كمال النجمى


كتاب الشهر
سارة برنارد
للأديب الفرنسي لويس فرنوي
تزوج الأديب الفرنسي لويس فرنوي ، مؤلف هذا الكتاب ، حفيدة سارة برنارد ، فسجل هذه القصة الرائعة كما سمعها وشاهدها ، دون أن تمنعه أسرة النسب من اعلان ما حفلت به حياة الممثلة الخالدة من أسرار

أحصى «اميل لودفيج» العظيمات العشر اللاتى ظهرن فى التاريخ ، فكانت سارة برنارد إحدى هؤلاء العظيمات ، وقد رأينا أن نستهل قصة حياة هذه الفنانة النابغة بوقائع من تاريخها ، تكشف عن مكانتها الكبرى عند الملوك وعند الشعوب على السواء

■ فى أدراج خزانه خشبيه بسيطه ، كانت تتكدس ، فى غير ترتيب وعنايه ، بعض الهدايا التى قدمت الى سارة برنارد . فهذه حلية من الماس أهداها اليها الفونس الثانى عشر ملك اسبانيا، وهذا عقد من الجواهر وضعه امبراطور النمسا، فرنسوا جوزيف ، بيديه حول جيدها ، وهذه مروحة قدمها امبرتو ملك ايطاليا وعليها رسم جميل يمثل ليلة من ليالى الرقص بمدينة البندقية فى عهدها الزاهر . وعشرات من أمثال هذه الهدايا تلقتها من رجال السياسة ، والحرب ، والادب ، والفن ، والمال ، الذين لو أحصيت أسماؤهم لكانت سجلا للشخصيات البارزة فى أوربا طوال نصف قرن من الزمان

■ وعند ما ذهبت الى فينا وضع الارشيدوق فردريك قصره رهن أمرها ، طوال مدة اقامتها ، لانه « لا يريد أن يرى ملكة تعيش فى فندق » ! وعندما ذهبت الى كوبنهاجن دعاها الملك كريستيان التاسع الى رحلة فى « يخته » يبحر بهما الى قبر «هاملت» الذى خلدت اسمه بتمثيلها مثلما خلده شيكسبير فى شعره . ولما كانت فى بطرسبورج دعاها القيصر اسكندر الثالث مرتين الى قصر الشتاء ، ولما انتهت من التمثيل تقدمت الى القيصر وارادت أن تنحنى أمامه، فبادر بانهاضها قائلا لها أمام رجال دولته : « لا يا سيدتى .. اننى أنا الذى أنحنى لك » ! وانحنى القيصر طاغية الروس أمام الممثلة الفرنسية !

■ ولما اعتزم قيصر روسيا نقولا الثانى أن يزور فرنسا سنة ١٨٩٦ زيارة رسمية ، عرض عليه سفير فرنسا فى بطرسبورج برنامج زيارته. طالبا اليه باسم الحكومة الفرنسية أن يبدى ملاحظاته ، فقال القيصر فى بساطة : أريد أن أشاهد سارة برنارد !

■ ولم تكن الملكات أقل من الملوك اعجابا بها واعزازا لها . ففى أثناء الحرب

الكبرى الاولى أرادت أن تمثل في انجلترا فاعترضت الرقابة على بعض مسرحياتها، وتوسط لها أرستيد بريان رئيس وزارة فرنسا ، ولويس بارتو وزير العدل فيها ، فرفض الرقيب الانجليزى وساطتهما ، فأرسلت الى الملكة مارى ، ملكة انجلترا ، هذه البرقية التي يدل أسلوبها على مكانتها العظيمة :

« صديقتى العزيزة : ان هذه المسرحيات « باريسية » ولكنها ليست منافية للاخلاق ، وسأحمل لك جميلا عظيما اذا تفضلت بالتوسط ، بصفتك الشخصية ، حتى يسمح الرقيب بتمثيلها ، ولك ألف شكر عميق » (سارة برنارد)

وفى اليوم التالي سمح الرقيب ، اللورد كرومر ، برفع الرقابة عن مسرحيات سارة برنارد

■ وكانت الشعوب أكثر من ملوكها اعتزازا بهذه الفنانة الخالدة ، التي نشأت في غبار الشعب والفقر ، ثم رفعها فنها الى حيث صادقت الملوك والملكات. وقد حدث في خلال شيخوختها ، وبعد ان بترت ساقها وغدت قعيدة لا تذهب ولا تجىء ، أن سافرت الى اسبانيا لتمثل ، فلما بلغ القطار محطة مدريد كان هناك خمسة آلاف نسمة قد احتشدوا لانتظارها .. ونزلت اليهم يحملها رجلان على كرسيها ، فاشرأبت اليها الاعناق ، ودوى باسمها كل صوت هاتفا محييا ! ثم اذا بكل هذا الجمع من الرجال والنساء والشبان يخلعون معاطفهم ، ويفرشونها على الارض ، من عربة القطار الى السيارة .. وعلى بساط من ألف معطف سار الرجلان اللذان ظفرا بشرف حمل سارة برنارد الممثلة الخالدة ..

■ ومرضت فكانت الصحف الفرنسية جميعا تنشر كل يوم نشرة طبية عن مرضها ، وكان الناس يقرأون هذه النشرة أول ما يقرأون . ثم ماتت في السابعة والسبعين من عمرها ، فشهدت باريس جنازة من أروع جنائزها وأحفلها . فمنذ الصباح الباكر ورجال باريس ونساؤها مصطفون على جوانب الطرق الكبرى، ليحيوا هذا المشهد الرهيب الذى سار أمامهم ثلاث ساعات.. وكانت الهامات تنحنى أمام نعش الفنانة في تجلة وخشوع ، بينما تتراءى الدموع وهى تنهمر على وجوه الرجال والنساء على السواء ..

من هى سارة برنارد

كثيرا ما دار فى أندية باريس ، وفى صحف أوربا ، جدل طويل حول المكان الذى ولدت فيه سارة برنارد ، فهناك من يقول انها فرنسية أو ألمانية أو هولندية أو مجرية او امريكية ، أو حتى مغربية من بلاد الجزائر ! وكانت سبع مدن أو ثمان منتشرة فى أرجاء أوربا ، تدعى كل منها لنفسها شرف انجاب هذه الممثلة ، مثلها مثل شاعر الاغريق هوميروس ، الذى تنازعت شرف مولده فيها مدن كثيرة من مدن اليونان . وعند ما زارت أمريكا أول مرة فى سنة ١٨٨٠ ذهب عدد من الامريكيين ممن يحملون اسم برنارد يدعى كل منهم أنه أبوها ، وأصر أحدهم ، وكان من سكان فيلادلفيا ، على دعواه ، وطالب بضمها اليه

فكيف اختلف الناس ، وتجادلوا ، ثلاثين عاما طوالا حول مولد سارة برنارد ، بل حول أبوتها ، مع أن سجلات الحكومة تثبت انها « ولدت فى باريس فى ٢٣ اكتوبر سنة ١٨٤٤ لوالد فرنسى مسيحى ، اسمه ادوارد برنارد » ؟ ذلك أن أبويها لم يكونا زوجين ، بل كانا عشيقين ، التقيا فى زاوية من زوايا الحى اللاتينى ، ولبثا معا أمدا قصيرا

كانت أمها ، جولى فان هارد ، امرأة هولندية لا دين لها ، لأن أباها كان مسيحيا وأمها يهودية ، فاختلفا أينصران أبناءهما أم يهودانهم ، فحلا الخلاف بتركهم يشبون بغير دين . . ومات الوالد عن ست بنات فقيرات ، فنسعت جولى تكسب رزقها بيديها ، وهاجرت ، وهى فى الرابعة عشرة ، من هولندة الى ألمانيا ، تعمل فى متاجر أزياء النساء ، وهناك تعرفت بقنصل فرنسى أخذها معه فى عودته الى باريس . فلما رغب عنها تركها فتاة فقيرة وحيدة ، لا تكاد تتكلم الفرنسية ، ولا تجد عملا يعصمها من التشرد فى طرقات باريس ، فأوت الى الحى اللاتينى ، ترقص فى مقاهيه وحاناته ، ثم تنصرف آخر الليل مع أحد هؤلاء الطلاب الذين جاءوا الى باريس يطلبون العلم حينا ، ويلتمسون العبث حينا . . ثم توثقت العلاقات بينها وبين واحد منهم ، اسمه « ادوارد برنارد » ، جاء من ريف فرنسا يدرس الحقوق فى جامعة باريس ، فأقامت معه أكثر مما أقامت مع سواه ، ثم افترقا ، فعاد هو الى الريف يزاول المحاماة ، وبقيت هى فى باريس ، مع طفلة وضعتها ، واتخذت لها اسم سارة برنارد . . وأقر ادوارد برنارد هذه التسمية ، وأخذ يمد الطفلة وأمها بشىء من المال ، ولما مات أوصى لسارة ببعض ثروته ، ومع هذا فقد ظلت الأم تقول فى سخرية واستهتار ، انها هى نفسها لا تدرى من هو برنارد الذى نسبت اليه ابنتها : أهو هذا الشاب الريفى الذى كان يدرس الحقوق فى باريس ، أم هو بحار فرنسى عرفته بضع ليال خاطفة لاهية ؟

وكان مولد سارة فاتحة حظ أقبل على أمها ، فاتخذها الجراح الفرنسي « البارون لارى » خليلة يغدق عليها المال والهدايا ، ونقلها من غرف الطلبة ، وفنادق البحارة ، الى بيت مؤثث أنيق ، وأخذ يصطحبها فى رحلاته الى أرجاء أوربا ، حيث يدعى لاجراء العمليات الجراحية الخطيرة . ولم تستطع الأم فى هذه الحياة المترفة اللذيذة أن تحتمل ابنتها طويلا ، فألقت بها الى خادم فى الريف تكفلها وتربيها ، لقاء أجر واظبت على دفعه حينا ، ثم تزوجت الخادم وانتقلت الى باريس ومعها الطفلة فى سنتها الرابعة ، واقامت مع زوجها فى غرفة واحدة ، جعلت فى ركن منها فراش الطفلة ، وفصلته بستار عن فراشهما . ولم تطق الطفلة البقاء فى هذه الغرفة الضيقة المعتمة ، فى حضانة خادم تعيش من غسل ملابس الناس ، فألقت بنفسها من النافذة فهوت على الأرض جريحا مرضوضة ، وأعيدت الى بيت أمها حيث بقيت عليلة هزيلة سنتين متصلتين

ولم تستطع الأم ، وهى فى حياتها المبتذلة هذه ، أن تحيا وابنتها فى بيت واحد ، فألقت بها الى دير من أديرة الراهبات .. وبين الضحكات الصاخبة ، والكؤوس المترعة التى تتبادلها الأم مع عشاقها ، كانت تقول لهم :

ــ تصوروا اننى سأكون أما لراهبة تقية ورعة ؟!

فيرد عليها عشاقها :

ــ اذن فافعلى ما تشائين .. فستكفر ابنتك عن كل ما تأتين من الخطايا والآثام !

ولكن أيمكن أن تكون سارة راهبة ؟ كلا ! فقد عجزت راهبات الدير عن اصلاح هذه الطفلة اللاهية اللعوب ، وغسلتها بالماء المقدس ليخرجن الشيطان من قلبها ، فلم يجد هذا نفعا . فهى تغرى بنات الدير بأن يتسلقن أسواره ، ويهبطن الى المزارع المجاورة ، يعبثن مع صبيان الفلاحين . وهى تستلقى أحيانا على الأرض ، وتسبل جفنيها وتجمد أطرافها ، كأنها قد فارقت الحياة ، فاذا أسرعت اليها الراهبات فتحت عينيها ، وهى تضحك منهن هازئة . واذا وضعوا عليها رقابة شديدة ، انتظرت حتى يقترب الظلام ، فتصعد الى سطح الدير ، حيث تتبادل القبلات عن بعد مع أحد الشبان ، فلم يكن بد من أن يعيد راهبات الدير هذه البنت الى أمها ، حتى لا تفسد أخلاق من فى الدير من فتيات ناشئات

عادت البنت الى أمها بعد ثلاث سنوات ، فوجدتها امرأة ناضجة فى السادسة والثلاثين ، تقيم فى مسكن فاخر بأرقى أحياء باريس ، ويتردد عليها نفر من علية المجتمع الفرنسى : فهذا الجنرال « دى بوله » الذى استولدها بنتا أخرى ، وهذا

الموسيقى « روسيني » مؤلف « أوبرا حلاق اشبيلية » ، وهـذا « الدوق دي مورني » أخو الامبراطور نابليون الثالث ، الذي أمضى السنوات الأخيرة من حياته في رفقتها .. فكيف توفق الأم بين حياتها وسط هؤلاء العشاق، والرفاق المتنازين ، وبين أمومتها لهذه البنت التي بلغت خمسة عشر عاما ؟ وماذا تفعل بها وهي لا تملك شيئا يغرى أحدا بزواجها ، ولا تدرى شيئا تكسب منه رزقها ، ثم هي تسعل سعالا حادا كأنها مصابة بذات الرئة ، وقد اسود ما حول عينيها لشدة ما تعاني من فقر الدم وهزال البدن ؟

وأراد الدوق دي مورني أن يخلو له بيت عشيقته . فاقترح عليها أن ترسل ابنتها الى معهد من معاهد التمثيل . ولعله كان يبدو عليها ، وما تزال في هذه السن ، أنها تصلح لفن التمثيل . ففى عينيها بريق لامع وضاء .. وعلى شفتيها تعبير حى بليغ ، وبين سمات الوجه وأعطاف القوام تجاوب واتساق ، يبدو فيهما ما يضطرم في نفسها من خلجات الشعور ... وفوق هذا كله فان في صوتها نبره واضحة منغمة ، تستلفت الاذن الى أدائها الواضح الرقيق

وعلى كره من الفتاة ذهب بها الدوق الى «الكونسرفاتوار» الذي يعد خريجاته للانضمام الى « الكوميدى فرانسيز » أكبر المسارح الفرنسية جميعا ، ولم يكن دخول هذا المعهد يسيرا ، لولا وساطة الدوق أخى الامبراطور ، فاكتفوا بقصيدة ألقتها بصوتها المتهدج الرنان . واذا كان كل فنان موهوب ينجذب الى فنه منذ طفولته بشعور خفى وقوة قاهرة ، فان سارة برنارد تشذ عن هذه القاعدة ، فانها أقبلت على معهد التمثيل مكرهة مرغمة ، وأخذت تدرس فن التمثيل في ضيق ومشقة ، ولم تبد منها أول الأمر براعة ملحوظة . ولولا رعاية الدوق ، عشيق أمها ، لما أتمت دراستها ، ولا وصد في وجهها باب « الكوميدى فرانسيز »

دخلت سارة هذا المسرح العظيم ، وكل ممثل فرنسى يعتقد أنه اذا دخل « الكوميدى فرانسيز » فقد قطع نصف الطريق الى المجد والشهرة . فكان حريا بسارة أن تزهى بهذا النجاح الذى لا تستأهله ، وأن تحرص أشد الحرص على وظيفتها في هذا المسرح ، ولكن سارة لم تفعل ، وفى نزوة من نزوات غضبها وشراستها ، ألقت بنفسها الى عرض الطريق

ففى كل سنة يحتفل « الكوميدى فرانسيز » بذكرى ميلاد « موليير » فيوضع تمثال الشاعر وسط المسرح ، ويدخل الممثلون والممثلات مثنى ، فيضعون عليه سعف النخيل ، ثم يصطفون جميعا حوله ويستمعون الى قصيدة من شعر موليير يلقيها أحد أفراد الفرقة البارزين . وجاءت سارة تشترك في هذه الحفلة ومعها أختها الصغيرة « ريجينا » التي لم تتجاوز تسع سنوات . وبينما كانتا تنزلان

درج المسرح ، وأمامهما « مدام ناتالى » احدى الممثلات المشهورات، داست الطفلة على ذيل ثوبها الفضفاض .. فالتفتت اليها الممثلة ودفعتها بيدها دفعة قوية الى الحائط ، فلم يلبث الدم أن سال على جبهتها

لم تتمالك سارة نفسها ، فصاحت فى وجه الممثلة الكبيرة ، ووصفتها بأنها وحش قذر ، وفى سورة غضبها صفعتها مرتين على وجهها !

وساد المسرح ضجيج واضطراب ، وتأخر بدء الحفل بضع دقائق ، وفى اليوم التالى أرسل مدير المسرح الى سارة يطلب اليها أن تعتذر الى الممثلة الكبيرة أمام زملائها ، على أن ينظر فى أمرها بعد ذلك . فاما أن تدفع غرما معينا ، واما أن تقدم استقالتها . ولكن سارة ، حتى عند ما كانت فتاة فقيرة مبتدئة ، لم تكن تفهم معنى الاعتذار ، فذهبت الى مدير المسرح وقالت له : « اننى سأعفيك من اختيار العقوبة التى توقعها على ، فقد قررت ان اترك مسرحك ، وأظنك ستطلب منى العقد الذى بينى وبينك ، فدونك هو .. » وأخرجته من حقيبتها ومزقته ، وألقت بقصاصاته فى وجهه .. ثم تركته فى دهشته وذهوله ، وولت خارجة !

امبراطور يثور وأمير يعشق

وعادت سارة الى حيث بدأت ، فتاة فقيرة تحيا على حساب أمها ، شرسة لا يقبل أى مسرح استخدامها ، ولكنها قد بلغت التاسعة عشرة ، وبدا فيها نضج الأنوثة والفتنة، ثم هى تعيش فى بيت تحرر من الاخلاق والتقاليد ، فلماذا لا تسير سيرة أمها ، ولماذا لا يكون حظها من الحياة كحظ أمها ؟ ووجدت من أمها رضى وتحبيذا ، فكانت تدفع لها عن سخاء ما تنفقه على زينتها وملابسها ، وكانت تهش لها كلما ظفرت بصيد جديد سمين !..

وهكذا بدأت سيرتها الغرامية ، فأعرضت عن حياة المسارح ، واقبلت على حياة الرجال . وكأنما كانت تقول لنفسها : لقد اخفقت سارة « الممثلة » ولكن ستنجح سارة « المرأة » .. وأقبل عليها الرجال ففتحت لهم صدرها ، ولكنها كانت تستقبلهم فى غير فرح وبهجة ، ثم تودعهم فى غير أسف وندم ، فقد تبينتهم رجالا بلا عاطفة ولا احساس ، فلم يعنها من أمرهم الا ليال لاهية تمضيها، وهدايا سخية تتلقاها ..

وفى ذات يوم انبأت أمها أنها حامل ، فما كان من الأم التى حملت ثلاث مرات سفاحا الا أن استشاطت غضبا ، وطردت ابنتها من بيتها ، واتخذت سارة لنفسها سكنا مستقلا ، استقبلت فيه أسعد حادث فى حياتها ، وهو مولد ابنها « موريس »



سارة برنارد وولدها « موريس » سليل أمير من أعرق الأسر المالكة فى اوربا

ابن من « موريس » هذا ؟ أهو ابن واحد من هؤلاء العشاق الذين كانت تبذل لهم نفسها بلا تحفظ أو اهتمام ؟ لا ، انه سبايل أمير من أعرق الأسر المالكة فى أوربا ، ارتبط بسارة بصلة أقرب الى الزواج منها الى الهوى ..

أقام الامبراطور نابليون الثالث حفلة فى قصر « التويلرى » تحية لامير أجنبى كان يزور فرنسا ، وكانت سارة برنارد ــ قبل أن تترك الكوميدى فرانسيز ــ احدى الممثلات اللاتى دعين لاحياء هذه الحفلة ، وكان عليها أن تلقى قصيدة من الشعر ، فان صوتها المتهدج الرنان ، واداءها الفنى المتدفق ، كان يكسب الشعر من المعانى أكثر مما فيه ..

وظهرت سارة على المسرح ، وانحنت أمام الامبراطور والامبراطورة . ثم بدأت تلقى القصيدة فاذا بها قصيدة « الاشعة والظلال » لفيكتور هوجو . وهى تبدأ هكذا :

« كم من بحارة وكم من جنود

« قد أبعدوهم ، فرحين ، الى أقصى الأرجاء

« ثم اختفوا فى الآفاق المجدبة الرهيبة »

واهتز نابليون الثالث فى مقعده غاضبا ، وأدرك الضيوف ما جاش به صدر الامبراطور ، وأخذ بعضهم ينظر الى بعض ، مندهشين متحيرين ، فقد كان فيكتور هوجو خصما لدودا للامبراطور ، وكتب عنه رسالة لاذعة مريرة ، اسمها « نابليون الصغير » . ومنذ تولى نابليون العرش فى سنة ١٨٥٢ ترك هوجو أرض فرنسا ، واعتصم بالمنفى ، حيث أقام ثمانية عشر عاما ، ولم يعد الى وطنه الا بعد ان نزل نابليون عن العرش ، واعلنت الجمهورية الفرنسية فى سنة ١٨٧٠ . فالقاء احدى قصائده فى قصر التويلرى ، أمام الامبراطور وضيوفه ، كان جرما يبلغ حد العيب والاهانة !

فلما انتهت سارة من القاء القصيدة لم يصفق الامبراطور ، وكذلك لم يصفق أحد من الضيوف ، فظنت سارة ــ وهى عندئذ دون العشرين من عمرها ، ولا تكاد تعرف شيئا من أمور السياسة ــ أن هذا لانها اختارت قصيدة حزينة ، فأرادت أن تختم الحفل بقصيدة مرحة بهيجة .. وبدأ صوتها العذب الرنان ينشد :

« عند ما بدا الطفل الجميل .. »

مطلع قصيدة « أوراق الخريف » لفيكتور هوجو أيضا ! وعندئذ اعتقد الامبراطور أن هذه الفتاة ، تريد عن قصد منها ، أو عن ايعاز اليها ، أن تعرض به أمام ضيفه وحاشيته، فهب واقفا، وأخذ الامبراطورة فى ذراعه، وغادرا المسرح

ومن ورائهما الضيوف.. بينما وقفت سارة مشدوهة الذهن ، معقودة اللسان، تواجه مسرحا خاليا !

وأسرع مدير الفرقة اليها يسبها ويشتمها ، فبادلته سارة الشتم والسب ، وهم بها يريد أن يؤذيها فصاحت غاضبة متألمة ، وعندئذ انطلق من أقصى القاعة صوت حازم يقول :

ـ دع الصبية يا هذا

ونظرت سارة الى الصائح ، فاذا هـو شاب وسيم وجيـه ، كان آخر من انصرف وراء الامبراطور . وصاح به مدير الفرقة :

ـ ما شأنك وهذا ؟.. ومن أنت ؟

ـ أنا الامير هنري دي لين .. ولن اسمح بأن تهان امرأة أمامي.. ولاسيما اذا كانت فتاة جميلة ، وديعة ، كهذه الفتاة

وأوقف لقب « دي لين» مدير الفرقة عند حده ، فهو لقب أسرة من أعرق أسر بلجيكا . وصحب الامير سارة عند انصرافها حتى بيتها ، والتقيا في اليوم التالي وفي اليوم الذي تلاه ، وفي كل يوم وكل ليلة ، شهورا تلو شهور ، ونشأ بين القلبين الشابين حب خالص عنيف ، كانت ثمرته هذا الطفل الجميل « موريس »

كانت سارة تحب « دي لين » حبا خالصـا جارفا ، وكان هو يبادلها مثل حبها وهواها ، فقر رأيه على أن يتزوجها ، وكان قرارا خطيرا ، اذ كيف يتزوج أمير من أمراء أسرة « دي لين » العريقة ، المجيدة ، من فتـاة ذات ماض حافل بالنقط السوداء ، وتمثل ممثلة مغمورة لا اسم لها ولا مال ، وتنحدر من أسرة مجهولة بعضها يهودي وبعضها بغير دين ؟ ولكنه يحبها وتحبه ، فليمض ما يريد ، على شرط أن تترك التمثيل . وكان شرطا يسيرا ، فهي لا تحب التمثيل ، ولم تصب فيه نجاحا ما

وسـافر الامير الى بلجيكا وفاتح أسرته فيمـا أراد .. ولو أن سربا من الطائرات ، قبل أن تخترع الطائرة بخمسين سنة ، ألقي أثقال القنابل على بلجيكا في تلك الليلة ، لكان أهون على أسرة « دي لين » من هذا الامر الذي اعتزمه ابنها الامير هنري !

وخف ابن عمه « الجنرال دي لين » الى باريس ، وذهب الى سـارة برنارد ، وقد حسب أنه سيلقى امرأة لعوبا حلوكا ، تفتن الرجـال عن رشـدهم وتغشى بصائرهم . فاذا به يلقى فتاة صغيرة غريرة ، وادعة هزيلة ، فتحدث اليها في رفق وهدوء ، وأبان لها ما وراء هذا الزواج من ضرر يصيب الشـاب الذي تحبه ، فسيفقد لقبه ، ومنصبه ، وميراثه ..




« سارة » الممثلة الموهوبة التي كانت تلهب بأفئدة النظارة وهى على المسرح . فى موقفين رائعين من مواقفها الخالدة فى مسرحية « هاملت » ومسرحية « العابر »

ولم تشأ سارة أن يطول الصراع بين عاطفتها وضميرها ، فهرعت الى مسرح « الاوديون » تطلب عملا بأى أجر وأى شرط ، وبذلك تتحلل من وعدها للامير « دى لين » .. فلما عاد الى باريس وجدها قد عادت الى التمثيل ، وأبت أن تبوح له بأنها فعلت ذلك مؤثرة أن تضحى بقلبها وعاطفتها على أن يضحى هو بأسرته ولقبه .. وتركته يتهمها كيف شاء ، ويقطع ما بينه وبينها من الصلات، محتفظة له فى قلبها ، وفى ابنها موريس ، بأخلص الحب وأجل الذكرى !

وطوت سارة بهـذا صفحة المرأة العاشقة ، وفتحت من جديد صفحة الممثلة الموهوبة

يحيا هوجو ويسقط دوماس

نحن الآن فى مسرح « الاوديون » ثانى مسارح فرنسا بعد « الكوميدى فرانسيز » . والشعب الفرنسى لا يريد أن يسمع شيئا الا شعر فيكتور هوجو ، ولا أن يرى شيئا الا مسرحيات فيكتور هوجو . والامبراطور نابليون ، عدو هوجو اللدود ، ما يزال على عرشه ، ولكن الحزب الجمهورى قد خضد كثيرا من شوكته وأرغمه على أن

يسمح بتمثيل قصص هوجو على مسارح باريس . فالكوميدى فرانسيز يقدم قصة « هيرناني » ، أما الاوديون فيقدم قصة لالكسندر دوماس . والاديبان هما عبقريتا الادب الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، الا أن نفى هوجو أظهره فى مظهر الوطنى الشهيد ، فمكانته لدى الشعب الفرنسى اسمى من مكانة دوماس

ويرفع الستار فى مرسح الاوديون ، ويبدأ الممثلون يؤدون قصة دوماس ، فتنطلق الاصوات المدوية من أرجاء المسرح : نريد هوجو .. نريد هوجو

ويرفع الممثلون أصواتهم قدر ما يستطيعون ، لعلها تغطى على هذه الضجة الصاخبة ، ولكن الجمهور ما يزال يهتف باسم هوجو .. ودوماس حاضر يتمشى جيئة وذهابا ، والعرق يتصبب من جبينه ، والدهشة تتملك أعصابه . انه يحب هوجو ويجله ، ويتمنى عودته الى فرنسا ، ولكن الامر ليس بيده ، وهو يحب أن يسمع الناس تهتف باسم زميله هوجو ، ولكنه يكره أن ينقلب هذا الهتاف الى هتاف بسقوط دوماس البرىء !

وتشفق سارة برنارد على الاديب الكبير فى هذه الساعة الحرجة ، فتقول له : هون عليك يا استاذى .. فسألقى عليهم درسا قاسيا

ويسدل الستار ، وتصعد سارة الى المسرح ، ويتعالى الهتاف بحياة هوجو وسقوط دوماس ، فتبتسم ، ثم تقول فى نبراتها القوية الواضحة :

« انكم تريدون أن تدافعوا عن العدالة . فهل لى أن أسألكم : أين عدالتكم أنتم ، حين تلقون على الكسندر دوماس مسئولية نفى فيكتور هوجو ؟ »

ونفذت العبارة البسيطة ، المنطقية ، الى أذهان الناس ، فلم تلبث ان انطلقت أكفهم تصفق لسارة ، واستقروا فى أماكنهم هادئين ، ورفع الستار مرة أخرى عن قصة دوماس ..

وأقبل دوماس يقبل سارة ويقول : « سأكتب لك يا بنيتى قصة خاصة .. فانى مدين لك دينا لا أنساه »

فاتنة فرنسا تمرض جنودها

أمضت سارة برنارد أربع سنوات فى مسرح الاوديون ، حتى كانت الحرب بين فرنسا وألمانيا، فظلت باريس بضعة أسابيع فى غمرة من الحماسة والاقدام ، تشهد مواكب الجند والشباب تسير فى أرجائها هاتفة : الى برلين ! ولكن لم تلبث أن وردت أنباء الهزيمة والاندحار ، فأخذت جموع الناس تهجر باريس مولية الى الجنوب . أما سارة فأبت أن تترك عاصمة وطنها ، أو تبقى فيها بلا عمل ، فتطوعت ممرضة تخدم الجرحى فى مستشفى خاص بها .. فقد حولت مسرح الاوديون الى مستشفى

متسع لمائة وخمسين جريحا ، تلازمهم سارة ليل نهار ، وتأتيهم بمن تعرفهم من الأطباء والجراحين

المارشال الجريح وفى ذات يوم طرق باب المستشفى جندى بسيط فى العشرين من عمره ، أصابته شظية فى كتفه، ولم يكن بالمستشفى متسع له فأرادت سارة أن ترسله الى مستشفى آخر ، ولكن شيئا فى عينيه اللامعتين وقوامه النحيل عطفها عليه ، فأخذته الى غرفتها الخاصة . ونشأت بين الجريح وممرضته صداقة ومودة ، فكانت تقضى بعض وقتها الى جانبه تمرضه وتحدثه ، فعرفت انه كان طالبا بالمدرسة الحربية ، فلما قامت الحرب ترك المدرسة وتطوع جنديا

ولم يكن جرحه خطيرا ، فغادر المستشفى بعد اسبوعين ، وطلب الى سارة قبل أن يذهب أن تهدى اليه صورتها ، فأهدتها اليه ، وكتبت على ظهرها :

« الى فرديناند فوش ، ذكرى صداقته ، لسارة برنارد »

ومرت الايام وجاءت سنة ١٩١٤ ، وأرادت فرنسا أن تثأر لنفسها من العدو الذى هزمها فى سنة ١٨٧٠ ، فعبأت أبناءها وحشدت جنودها ، تحت امرة .. فرديناند فوش .. الذى ظل طوال هذه السنين صديقا وليا لسارة برنارد، فلما أرسلت سارة فى سنة ١٩١٥ الى المستشفى لتبتر ساقها ، انسل فوش من ساحة الحرب فترة من الوقت ليؤدى لها واجب الزيارة ، ولما أعلن نبأ وفاتها كان المارشال فوش أول من ذهب الى بيتها ، ليحيى جثمان المرأة العظيمة التى مرضته وواسته ، منذ اثنين وخمسين سنة ..

نصر جديد وانتهت الحرب — حرب ١٨٧٠ — وعادت فرنسا تضمد جراحها، وتقيم ماتهدم من بنائها، وحشد كل فرنسى وكل فرنسية قواه ، كل فى ناحيته ، ليستعيد وطنه مجده الغابر . فآلت سارة برنارد على نفسها ، ان تجعل المسرح الفرنسى سيد مسارح الدنيا ، وان تتبوأ هى عرش هذا المسرح الرفيع . وقد عاد الى فرنسا ، بعد أن زال عرش نابليون الثالث وأعلنت الجمهورية ، شاعرها العظيم فيكتور هوجو ، فأشار عليه صحبه أن يعهد بتمثيل مسرحياته الى هذه الفتاة الموهوبة ، التى « تنشد الشعر كما يغرد البلبل ، أو كما تصفر الريح ، أو كما يهدر الموج ، أو كما يكتب هوجو شعره ! »

وكان نصرا لسارة أن تظفر بثقة شاعر فرنسا الكبير ، وأعظم شخصية فى

فرنسا فى تلك الأيام . ولكنه كان نصرا تستأهله ، فبعد أن شهدها هوجو على المسرح تلقت منه فى اليوم التالى هذه الرسالة :

« سيدتى

« كنت عظيمة وكنت فاتنة . لقد حركتنى أنا نفسى — أنا المجاهد القديم العجوز . وفى احدى اللحظات ، عند ما كان الشعب الذى أثرت كمين نفسه ، يصفق لك تحية واجلالا ، بكيت . والدمعة التى أسلتيها من عينى هى دمعتك أنت . فاسمحى لى أن أقدمها لك . . » (فيكتور هوجو)

وكان مع الرسالة علبة فيها سلسلة من الذهب تعلقت بها قطعة من الماس على شكل دمعة ! واحتفظت سارة بهذه الماسة حتى يوم مماتها ، ذكرى عظيمة ، من رجل عظيم ، وبعد أربع وخمسين سنة ، عند ما كانت تمثل وهى فى السابعة والسبعين ، كانت تضع على صدرها هذه الماسة التى تمثل دمعة من دموع أحد الخالدين : سارة برنارد ، وفيكتور هوجو . .

شهد الناس من سارة نوعا فذا من التمثيل ، ينفذ الى أفئدتهم فيهيجها ويثيرها . وكان أمضى سيوفها نفاذا هو هذا الصوت المتهدج الرنان ، وهذه الاشارة الحية المعبرة ، وهذه الموهبة التى تبعث ابطال مسرحياتها من مراقدهم فى قصص الأدباء وقصائد الشعراء ، أحياء يمثلون فى سارة برنارد ، سواء كانوا نساء أو رجالا ، فتيات أو عجائز ، فى أدوارها الخالدة : غادة الكاميليا ، وفيدر ، وتيودورا ، وكليوباترة ، وهملت ، والنسر ، وجان دارك . .

وكان أروع ما تمثله مشاهد الموت ، حتى انها كانت تموت فى ثلاث مسرحيات من كل أربع تمثلها . ذلك ان سارة التى كانت ممتلئة حياة ونشاطا ، كانت تحب أن تتمثل الموت فى عينيها وخيالها ، وتحب أن تشهد قبور الموتى وتناجيها ، فكانت تذهب فى الليالى المقمرة الى القبور الموحشة ، تتسلل اليها فى هدوء وخشوع ، وتجثو أمامها فى سكينة واستسلام ، وتظل هكذا ساعات وساعات تتمثل الموت وتناجى الموتى . ولعل مرجع هذا الى أنها كانت هزيلة نحيفة ، تكاد تسقط اعياء عقب كل مسرحية تمثلها ، كانت تتوقع أن تموت فى نضرة شبابها ، فأعدت كفنها ، وهو هذا التابوت الجميل الذى صنعته من خشب الورد ، المبطن بالحرير الابيض ، والذى كانت تحتفظ به الى جانب فراشها ، بل كانت تنام فيه أحيانا ، وكانت تقدم عليه القهوة والشاى الى بعض ضيوفها الأخصاء !

وكانت سارة برنارد على بينة من مواهبها الفذة ، وأدركت أنها وان كانت لا تمثل الا باللغة الفرنسية ، الا أن فنها فن عالمى من حق العالم كله أن يشهده




الى اليمين ــ صورة التابوت الذى أعدته سارة من خشب الورد وجلته بالحرير ، والى اليسار صورتها فى أحد أدوارها على المسرح

ويستمتع به . فسافرت الى انجلترا حيث لقيت نجاحا لعله أعظم من النجاح الذى لقيته فى فرنسا ، فأغراها هذا بأن ترحل الى ما وراء أوربا ، الى الدنيا الجديدة

الى الدنيا الجديدة

وحلت سارة الى أمريكا فسبقتها دعاية أمريكية ضخمة : مقالات فى الصحف والمجلات ، اعلانات فى الصحف والطرقات ، وكتاب من مائة صفحة عن قصة حياتها ودقائق أسرارها ، طبعت منه عشرات الآلاف ، ووزعت على شتى طبقات الناس .. فتهافتوا يشترون مقاعد المسرح الذى ستمثل فيه ، المقعد بعشرين دولارا ، وثلاثين ، واربعين .. ثم اشتد تزاحم الناس ، فصارت المقاعد تباع فى « المزايدات » !

ونزلت سارة من السفينة ، فاذا أفواج من الناس يستقبلونها ، وفرق من الموسيقى تنشد المارسيليز ، وخطباء يحيونها بالانجليزية ، فترد عليهم سارة بالفرنسية . ولو ان القادمة كانت ملكة متوجة ، لما لقيت من الحفاوة بها أكثر مما لقيت سارة برنارد ..

وسارت فى عربتها بين صفين من الناس متزاحمين ، فلما وصلت الى الفندق

كان فى انتظارها خمسون صحفيا .. يسألونها : ماذا تأكلين عند ما تستيقظين ؟ ماذا تشربين فى فترات الاستراحة أثناء التمثيل ؟ هل انت مسيحية أم يهودية أم ملحدة أم بوذية ؟ ما هى الخرافات التى تؤمنين بها ؟ ما هى قيمة الجواهر التى تملكينها ؟ ما مقاس حذائك ؟ ما وزنك بملابسك وما وزنك وأنت عارية ؟ هل أحضرت كفنك معك لاننا نريد أخذ صورتك وانت ممددة فيه ؟!

وكانت سارة طويلة البال مع هؤلاء الصحفيين ، فانها كانت تحب الدعاية وتعرف أثرها . وشهدها الجمهور الامريكى وهى تمثل ، فتبين حقا أنها فذة فى فنها ، حتى أن ستارة المسرح رفعت فى الليلة الاولى سبعا وعشرين مرة ، لتطل منها سارة على الجمهور الذى يصفق لها . ولكن رجال الدين من ناحية ، وأندية النساء من ناحية ، ثاروا على هذه « الفاتنة الاوربية التى جاءت لتفسد أخلاق الشعب الامريكى » . فقامت حملة منظمة فى الصحف الامريكية تدعو الشعب الى مقاطعتها ، وظهر فى كل ركن فى نيويورك كتاب اسمه « غراميات سارة برنارد» التى مؤلفه فى حشوه بالاقوال المزيفة المثيرة ، فذكر أنها لم تتزوج ولكنها جاءت بأربعة أولاد ، ذكر اسماءهم وأعمارهم ، وأنها هى نفسها بنت سفاح ، حملت بها أمها فى ليلة خاطفة قضتها مع أحد اثنين : الامبراطور نابليون الثالث أو البابا بيوس التاسع !

وضاقت سارة برنارد بهذه الحملة ، وأرادت أن تقاضى مؤلف الكتاب ولكنها أفهمت أن هذه هى طرائق الامريكان فى الدعاية والتأليف ، فاكتفت بأن قالت فى حديث صحفى : « انهم يتهموننى بأننى لم أتزوج ولى أربعة أولاد . وهذا كذب ، ولكنه على أية حال أحسن من أن يكون للمرأة أربعة ازواج ولا ولد لها ، كما هو شأن كثير من نساء أمريكا » !

مخترع وممثلة

وجمعت سارة من هذه الرحلة مبلغا ضخما ، ولكن كان من خير ما حققته فيها ، أنها زارت المخترع الكبير توماس اديسون فى معمله ، وقد رحب اد . ون بهذه الممثلة التى تتحدث عنها أمريكا كلها ، وأبدى أسفه على أن عمله ليل نهار لم يمكنه من مشاهدة تمثيلها ، ثم أراها بعض مخترعاته الجديدة وأهمها الفونغراف ، وسجل صوتها وهى تلقى قصيدة من الشعر على اسطوانة ، ثم أدارها فسمعت سارة بأذنها صوتها الذهبى الرنان .. ولا شك ان الذى يملك الآن هذه الاسطوانة يملك ذخرا ثمينا من فن الألقاء البديع !

رئيس الجمهورية يبكى ويهتف

عادت سارة من أمريكا ممتلئة الجيب ، موفورة النشاط . ولكنها لقيت الشعب الفرنسى منصرفا ،

معرضا عنها ، فعند ما سافرت كان في وداعها جمع حاشد من خاصة القوم وعامتهم، وعند ما عادت لم يكن يستقبلها الا خمسة من خاصة أهلها . وبعد أن كان « الكوميدى فرانسيز » و « الاوديون » يتنازعان شرف انتساب سارة الى ايهما، عادت فوجدت أبواب المسارح موصدة ، ووجوه مديري الفرق متجهمة في وجهها .. ذلك أن حملة قوية من الدعاية دبرها ونظمها خصومها ، ظلت تثير عليها نفوس الشعب الفرنسي ، وتوغر صدره موجدة على هذه الفرنسية التي آثرت الامريكيين على الفرنسيين ، والتى استقبلتها أمريكا في فتور واعراض ، لانها تبينت فيها ممثلة عادية لا فن لها ولا ذكاء ، ولن يكون الفرنسيون أقل ذكاء وقدرا من الامريكيين ، وما من شيء يثير الفرنسي ويغيظه أكثر من ان تتهمه بقلة الذكاء ، وما من شيء يغرى الفرنسي بأن ينساق وراءك كما تريد مثلما تطرى فيه حاسة الذكاء

أرادت سارة أن تثب الى المسرح مرة أخرى رغم أنف خصومها ، ولم تتحرج في هذا من ان تبرر غايتها بأية وسيلة تتخذها . ففي يوم ١٤ يوليو ١٨٨١ كانت دار الاوبرا تعد حفلا باذخا ، احتفاء بمرور عشرة أعوام على تحرير فرنسا . ودعيت الممثلة الفرنسية الكبيرة مدام أجار لتلقى في هذا الحفل الذى يشهده رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة نشيد المارسيليز ، وكان لهذه الممثلة عاشق من الضباط يقيم في بلد ناء عن باريس ، فدبرت سارة أمرا ليخلو لها جو باريس في هذه الليلة الحاسمة

بينما كانت مدام اجار في بيتها تتأهب للحفلة الكبرى ، اذ دخل عليها من أنبأها أن عشيقها سقط عن صهوة جواده وجرح جرحا خطيرا ، وأنه يريد أن يراها قبل أن يموت .. وما هى الا دقائق حتى كانت مدام اجار في طريقها الى حيث يقيم عشيقها، وبينما مدير الفرقة وأفرادها ينظرون الى ساعاتهم قلقين جزعين ، اذ بسارة برنارد تأتى الى دار الاوبرا ، واذا بها تطلب الى أحد الممثلين أن يعينها على خلع معطفها ، فتبدو من تحته في الثوب التقليدى الذى ترتديه ممثلات فرنسا عند ما ينشدن نشيد المارسيليز : رداء أبيض طويل ، عليه ثلاثة أشرطة تمثل العلم المثلث الالوان ..

وقالت سارة : ان مدام أجار قد غادرت باريس منذ ساعة ، وندبتها لتلقى عنها نشيد المارسيليز .. ولم يجد مدير الفرقة بدا من هذا .. وظهرت سارة برنارد على المسرح وفى يدها العلم ، وبدأت تنشد ، بصوتها الذهبي الرنان :

« هيا ، يا أبناء الوطن

« ان يوم النصر قد جاء .. »

ان هذه السطور التى يحفظها كل فرنسى وكل فرنسية ، والتى ينشدها منذ يكون صبيا يتعلم النطق الى أن يصير شيخا يصعب عليه الكلام ، قد اكتسبت فى هذه الساعة معانى جديدة بليغة ، وقد سرت فيهـا روح عنيفة لاهية .. فلما قالت :

« الى السلاح .. يا أبناء الوطن جميعا »

كانت الدموع قد انهمرت من أعين الرجال والنساء على السواء .. ولما انتهت من نشيدها، وهى رافعة يدها الى أ ر. جاثية أمام العلم الفرنسى المثلث الالوان، هتف لها ثلاثة آلاف صوت، ومنهم صوت رئيس الجمهورية ، هتافا عاليا مدويا . وهكذا استعادت سارة اسمها ومجدها

دون جوان فى الميدان

سارة برنارد الآن فى قمة مجدها ، لا تستقر فى فرنسا الا ريثما تتأهب لرحلة تطوف فيهـا أرجاء أوربا وأنحـاء أمريكا ، تشـهد ا' اخير ، وتجمع الاموال ، وتتلقى الاوسمة والهدايا .. ولكن ما من امرأة بلغت مبلغ سارة من المجد والصيت الا تعرضت فى حياتها للمحن والمآسى . وكأن القدر يريد أن يسلبها من الرضى والسعادة بقدر ما منحها من المجد والاسم ..

وكانت مأساة سارة برنارد نزوة حب طائش مجنون

كان يقيم فى باريس دون جوان يونانى ، اسمه جـاك داماﻻ ، يعمل موظفا فى المفوضية اليونانية . وكان شابا فى الثالثة والثلاثين ، جميلا كأنه أبولو اله الاغريق ، شرقى السمات ، خمرى اللون ، طويل الاهداب، أسود العينين ، وكان مع هذا الطراز الذى تنفذ نظراته وكلماته الى أعماق المرأة أول ما يلقاهـا ، حتى اذا صرعها بحرارته الدافقة ، انصرف عنها فى اعراض وازدراء !.. كان دون جوان مثاليا ، فطلقت سيدتان من سيدات المجتمع الفرنسى اذ وقعتا فى هواه، وانتحرت سيدة ثالثة اذ هجرها وسلاها! فلما استفاضت أنباء مغامراته وغرامياته طلبت الحكومة الفرنسية الى حكومة اليونان ، ان تبعده عن باريس ، فنقلته الى روسيا

ولقيته سارة برنارد ، ودار بينهما حديث قصير ، سألته : ألا يحب أحـدا ؟ قال : لا !.. سألته : ألم تحب من قبل ؟ قال : لا !.. ثم سألها : ألا تودين أن تحبى مرة فى حياتك .. لتعلمى ما اذا كان الحب ممتعا أم مؤلما ؟

وأدرك « داماﻻ » بغريزته ، انه قد نفذ الى قلب سيدة المسرح الفرنسى ، بل سيدة فرنسا الأولى ، فقال :

ـ كنت أود أن أبقى فى باريس ، ولكنى ذاهب الى بطرسبورج وأنت تطوفين بارجاء الدنيا ، فلماذا لا تأتين الى هناك ؟

انه أول رجل يقول لها « تعالى الى » . . أما جميع الرجال فقد جاءوا هم اليها : انه طراز جديد من الرجال لم تلق مثله من قبل ، وانه الطراز الذى يصرع قلب المرأة أحيانا !

وما هى الا اسابيع حتى كانت سارة برنارد تشد رحالها الى روسيا فى اثر هذا الشاب اليونانى الفاتن . . وفى بطرسبورج يعتزل داماالا وظيفته فى السلك السياسى ، ويعمل مع سارة ممثلا وعاشقا ، ثم تعقد عليه زواجها

لا شك فى أن سارة لم تتبين نقيصة « داماالا » الكبرى الا بعد أن نفذ سهم الحب الى قلبها ، وعندئذ عرفت انه مدمن « مورفين » لا يكاد يفيق الا اذا سرى هذا السم فى دمه . وقد حاولت سارة أن تنقذه من هـذا الوبال ، فأبرزته فى مسرحها وعيأت له الادوار الـكبرى ، رغم اعتراض مؤلفيها أحيانا وسخرية ممثليها أحيانا ، فلم يجد هذا نفعا ، فقد بلغ منه الداء مبلغا لا شفاء معه ، اذ كان يحقن نفسه بنفسه سبع مرات فى اليوم ، وكان يهب من نومه فى غسق الليل ، ويدخل مخدع زوجته يهينها ويهددها حينا ، ويتوسل اليها ويبكى عند قدميها حينا . . ومرت بسارة ليال رهيبة مخيفة ، فلم تر بدا من أن تقبر حبها وقلبها ، وتفصل ما بينها وبين زوجها الشقيق !

وبعد سبع سنوات خر داماالا مريضا ، فقيرا ، وحيدا ، شأنه شأن هذا الطراز من الرجال الذى يعيش على قلوب النساء ، ولم يجد حوله واحدة من هؤلاء اللاتى ترامين عند قدميه أيام فتوته وشبابه . . فأرسل الى سارة برنارد ، فأقبلت تراه ، وآلمها أن يمضى حياته هكذا . . فذهبت به الى مصحة بمستشفى ، وأخذت تزوره كل يوم ، حتى اذا استعاد صحته قليلا ، لم تبال كلام الناس شيئا ، فأظهرته أمامها فى احدى مسرحياتها

وظلت تتعهده وترعاه بعطفها ومالها ، حتى قضى نحبه صريع هـذا المخدر السام

زائر غريب

وفى ذات يوم من أيام سنة ۱۸۸۷ جاء يزورهـا فى المسرح زائر غريب ، واستقبلته فعرفته . انه الأمير هنرى دى لين ! الذى لم تشهده منذ عشرين سنة ، والذى يبلغ الآن خمسين سنة أرسلت فى شعره خيوطا بيضاء ، ورسمت على وجهه تجاعيد حزينة . .

جاء يقول لها : انها كانت على حق حين آثرت التمثيل على الزواج . فما

كان فى وسعه أن يهيىء لها فى بيته من المجد ما حققته على المسرح !

وأرادت أن تذكر له الحقيقة، ولكن كبرياءها منعها من أن تمن عليه بتضحيتها،
ولما رأى فى اليوم التالى ابنهما موريس ، صارحه بحقيقة صلته به ، وعرض عليه ان يتبناه ، ويورثه لقبه وماله . فأبى الابن قائلا : ان أمى وحدها لها الفضل على ، سهرت على فى أيام فقرها ، واسعدتنى فى أيام مجدها ، فلن أنتسب الا اليها

ولما أراد الامير أن يعود الى بلجيكا ذهب موريس يودعه ، وكانت المحطة مزدحمة بالناس فطلب الى بعض موظفيها أن يهيئوا له مكانا يستريح فيه . فسألوه من أنت ؟ فقال : أنا الامير هنرى دى لين ! فقالوا : عليك أن تنتظر هنا كما ينتظر سائر الناس ! فقال لهم موريس : أرجوكم أن تهيئوا لنا محلا ، فأنا ابن سارة برنارد !..

وعندئذ قاموا جميعا يفسحون له الطريق ويهيئون له المكان !

فقال الامير : الآن عرفت أنك على حق فى أن تفخر باسم أمك لا باسم أبيك!

* * *

ما من مدينة فى أوربا وأمريكا الا هتفت بسارة برنارد ، فى رحلاتها التى طوفت فيها أرجاء الدنيا مدى خمسين عاما ، منذ كانت فى نضرة الصبا الى أن أخذتها غمرة الشيخوخة ، ومنذ كانت تنتفض صحة وحياة الى أن صارت مقعدة مبتورة الساق . فغربت حتى بلغت أقصى أمريكا ، ومثلت فيها مدينة مدينة ، أربع مرات . ثم شرقت حتى بلغت الاستانة والاسكندرية والقاهرة . وشمألت حتى ذهبت الى السويد وروسيا ، وجنبت حتى رحلت الى أمريكا الجنوبية وأقامت فيها طويلا . وجمعت من هذا كله ما لم تجمعه فنانة فى التاريخ ، جمعت قرابة مليونين من الجنيهات ، ولكنها انفقت كل ما جمعت فلم تورث ابنها شيئا . فقد ظلت تعيش فى بذخ وترف كما تعيش الملكات ، فى قلعة تحيط بها فيلات جميلة أقامتها لابنها ، وحفيدتها، وأهلها، ويعمل فيها عدد من الموظفين والخدم والحشم وتملك أربع سيارات وستة جياد ، وتستضيف على مائدتها كل يوم عشرة أو عشرين من أبرز رجال أوربا وسيداتها



الامبراطور هيروهيتو

الأله الذى أصبح إنسانا !

يخشى امبراطور اليابان هيروهيتو أكثر ما يخشى ، شيئين ألقيا فى نفسه الرعب فى وقت من الأوقات : القنبلة الذريه والمصورين ! فالقنبلة الذرية أرغمته على القاء السلاح وطلب الصلح فى الحرب الأخيرة . أما المصورون ، فانهم أنزلوه من سمائه الى هذه الارض ، وجعلوا من « الامبراطور — الاله » رجلا مثل غيره من الرجال !

وقف هيروهيتو أمام المصورين وجها لوجه ، فى الثالث من شهر سبتمبر ١٩٤٥ ، وهو خارج من منطقة قصره المحرمة ، حيث كان قد ذهب لينبىء أجداده الذين تحوم أرواحهم هناك بأنه خذل فى الحرب ، وبأن كارثة هائلة قد حلت باليابان

كان المصورون واقفين فى أسفل السلم المؤدى الى القصر . فوقف هيروهيتو لحظة ، وعلى وجهه امارات عدم الرضى ، ثم خفض رأسه الى الارض ، فصوره المصورون على تلك الحالة

والتقى بهم مرة ثانية فى سفارة أمريكا ، حيث ذهب للمرة الاولى لزيارة الرجل الذى انتصر عليه وهزمه : الجنرال ماك أرثر . وهناك ، ابتسم هيروهيتو فى وجوه المصورين ، وفى اليوم التالى ظهرت صورته فى الصحف والمجلات ورآها اليابانيون فأدركوا ان الامبراطور لم يعد الها بل أصبح نصف اله !

أما فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٥ ، فقد زالت عنه صفة الألوهية تماما ، عندما وقع بيده على وثيقة أعلن فيها ان الربة اميراتسو ، آلهة الشمس ، ليست جدته ، وانه ليس من سلالتها !

ومنذ ذلك الوقت ، لا يخشى الامبراطور المصورين ورجال الصحافة ولا يمنعهم موظفو القصر من اجتياز أبوابه

١٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه ضرائب

ويدفع الامبراطور هيروهيتو ضرائب لخزينة الحكومة ، كغيره من رعاياه . وان كان المبلغ الذى يدفعه

أكثر مما يدفع سواه ، اذ يبلغ مقدار ما يحق عليه من ضرائب على دخله وعلى أرباح الحرب التي جناها نحو مليون ونصف مليون من الجنيهات . فالاسرة الامبراطورية تملك ٣٥ مليونا من الجنيهات نقدا وجواهر وسندات ، عدا الاراضي الشاسعة والقصر الامبراطوري الفسيح ، ولا تدخل في هذا التقدير ثروة الأمراء المنتمين الى الأسرة

والامبراطور هيروهيتو اليوم في الخامسة والأربعين من العمر . وهو يعيش مع أفراد عائلته في الجناح الذي بقي سليما من القصر الامبراطوري . أما القصر ، فهو يشبه مدينة داخل طوكيو ، ويشغل مساحة تبلغ أربعين فدانا من الأرض تقريبا ، تحيط بها أسوار مرتفعة . وقد أذيع خطأ ان الامريكيين دمروا القصر بالقنابل . والواقع ان الجزء الذي دمر منه صغير وقد أصلح سريعا وأصبح صالحا للسكن

غير أن الامبراطور لا يحتل من القصر الواسع غير جناح مؤلف من عشر حجرات ، يعيش فيها هيروهيتو عيشة بسيطة كأحد أفراد رعيته

انه ينهض من نومه في السادسة صباحا ، فيستحم بالماء الساخن ، ثم يخرج للنزهة في حديقة القصر ، فيمشي بخطوات واسعة ، ويقطف بعض الأزهار والورود

ويحدث مرة أو مرتين في الأسبوع ، ان يركب هيروهيتو جواده « هانكي » — وهو غير الجواد الابيض الذي ذاع صيته من قبل — ويسير في طرقات حدائق « هاراكيري » الواقعة خلف القصر ، والتي لم تفتح بعد للجمهور ، في صحبة ياوره واثنين من رجال البوليس العسكري الامريكي

وفي منتصف الساعة التاسعة ، يعود الى القصر حيث يتناول فطوره مع الامبراطورة ، وهو يتكون عادة من الشاي والزبدة

ثم يشتغل ساعتين ، ويستقبل مستشاريه ، ورجال السياسة ، والصحفيين الامريكيين ، فيتحدث معهم ببساطة عن أحدث الانباء ، ويقرأ الصحف الامريكية ، ولا سيما ما كان متعلقا منها بالكواكب والازياء ، ثم يتركها — مرغما — للذهاب الى حيث يجتمع مجلس الوزراء برياسته ، ولكن المجلس لا يجتمع غير مرتين في الأسبوع

أما في الأيام الأخرى ، فالامبراطور يطالع الأخبار ثم يخرج الى حديقته الخاصة ، التي يعنى بها بنفسه ، والتي تشبه غيرها من حدائق اليابان ففيها البطاطس والخضار والازهار والفاكهة . وكانت أوامره من قبل تصدر الى المشرفين عليها بوساطة « مدير بساتين الامبراطور » أما اليوم ، فان هيروهيتو ينزع عنه سترته ، ويشتغل بيده ، فيقلم أزهاره ويسقيها . .



نزل من « علياته » ليعيش كبقية البشر .. وها هو يسقي زهور القصر بنفسه

أما الأرانب والدجاجات البيضاء، التى يعتز بها ، فان كريتيه الاميرتين ايفري وتاكا هما اللتان تسهران عليها، وعمر الاولى ١٤ عاما والثانية ١٧ عاما

ويرتدى الامبراطور عند ما يخرج للنزهة كسوة رمادية اللون وقبعة مقاربة لها ورباط رقبة من لون قاتم . والناس يعرفونه بسهولة من نظاراته الذهبية ، وشواربه السمراء الصغيرة ، والعصا التى لا تفارق يده . وكثيرا ما ينحنى له اليابانيون أثناء سيره

وتسير الامبراطورة معه جنبا الى جنب، مرتدية ثوبا رماديا ، عاقصة شعرها الى الوراء ، وتذهب مع الامبراطور مرة فى الاسبوع الى قصر أكاساكا ، مقر ولى العهد ، فيسوق هيروهيتو السيارة بنفسه ، وهناك ، حول ذلك القصر ، تستطيع مئات من النساء اليابانيات ان يشاهدن الامبراطور بلا خوف من الموت كما كانت الحال فى سابق الزمن !

ولا تحرص الامبراطورة على استقبال نساء القصر والوصيفات ، ومشاركتهن الرقص والاصغاء الى الموسيقى ، وانما تعنى بأن تجتمع ببناتها، وتشاركهن أعمالهن اليدوية، وتتبادل الاحاديث معهن فى أحدث الازياء وألوان الطعام ، أو فى آخر أخبار المجتمع اليابانى بطوكيو

هل من جديد فى «تاى كوكن» ؟

هذا هو السؤال الذى يتردد فى الافواه ، ثم تنحنى الرؤوس نحو من تعرف شيئا جديدا ، وغالبا ما تكون الاميرة تاجا هى التى تتكلم ، لأن لها أصدقاء فى « تاى كوكن » وهو « الفندق الامبراطورى » الهائل ، الذى تعلوه قبة تجعله أشبه بمعبد من معابد اليابان ، والذى اتخذه الجنرال ماك آرثر مقرا له

حقا ، ان تاجا تعرف كل شىء . وهى التى تنقل آخر الاخبار عن « القضية » اذ ان لليابان أيضا قضية « مجرمى الحرب » مثل البلدان الاخرى والناس يتتبعون باهتمام محاكمة أولئك « المجرمين » . .

ومن يدرى : فقد تركع الامبراطورة فى المساء ، وتصلى من أجل أولئك « الضحايا » الذين يقدمون ذبيحة على هيكل المعبود الجديد : ماك آرثر :

الليل يسدل ستره على طوكيو . والمارة يغادرون الواحد بعد الآخر حدائق هاراكيرى . وقبل ان يبتعدو يرفعون أنظارهم الى القصر الامبراطورى ، وينحنون رؤوسهم

نعم ، أن هيروهيتو لم يعد ربا معبودا . ولكنه فى نظر تسعين من كل مائة من اليابانيين ، لم يصبح بعد انسانا كبقية البشر .

[عن مجلة « بارى اكتواليتى »]